إلى السّلام يـا أمة السّلام

المسامح كريـــم

جمع وتـأليف الفقير إلى الله تعالى

عابـر السّبيل

أبو محمّد

يا أمّةَ القرآنِ أين نحن من القرآن؟

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النِّساء: ٨٢]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الفُرْقَان: ٧٣]

وأين نحن من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ ؟ [آل عِمْرَان: ١٣٤]

أين نحن من قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾ ؟ [النِّسَاء: ١٤٩]

أين نحن من قوله تعالى: ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ ؟ [المَائِدة: ١٣]

أين نحن من قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعْرَاف: ١٩٩]

أين نحن من قوله تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ ؟ [المُؤْمِنُون: ٩٦]

أين نحن من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ ؟ [فُصِّلَت: ٣٤، ٣٥]

أين نحن من قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ ؟ [الشُّورَىٰ: ٤٠]

أين نحن من قوله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ ؟ [الشُّورَىٰ: ٤٣]

أين نحن من قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الجَاثِيَة: ١٤]

أين نحن من الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم-: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ ؟ [الحَشْر: ٩]

أين نحن من التابعين: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ ؟ [الحَشْر: ١٠].

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحَدِيد: ١٦].

أين نحن من هذا الهدى؟ أين نحن من هذا النـــــــور؟

الـمـــسامـح كريـــم

الشفا

بتعريف ما يحبه الله و المصطفـــــى ﷺ

اسم الكتـــــاب : المسامح كريم

اسم المؤلـــف : الفقير إلى الله تعالى أبو محمّد

رقـم الإيـــداع : 2011/4228

ردمـــــــــــك : ISBN 998-9961-9911-1-0

عدد الصفحـات : 185

سنة الطبـــــع : في ربيع الأول 1432 هـ

المسامح كـــــريم

الشفا : بتعريف ما يحبه الله و المصطفى - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ -

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

بسم الله الرّحمن الرّحيم وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم

بعد حمد الله والصّلاة والسّلام على سيّدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

وبعد:

فحصلى وإجالتي نظري في هذه الموسوعة من هذا الكتاب الفذّ في نصّه الفريد في نوعه ومضمونه، وحسب ظنّي أنّه لم يسبق مثله المسمّى « المسامح كريم » لصاحبه الأستاذ الأديب اللّبيب ذي القلب المنيب والقول المصيب: أبو محمّد سامي يوسف حفظه الله ورعاه وزكّى سعيَه وبلّغه مبتغاهُ ومُناهُ فوجدته بساتين رائعة وثمار يانعة من كلّ ما تشتهيه نفس المؤمن التّقي النّقي المتأثّر حقّا بما يجري حوله في العالم الإسلامي من مشاهد منكرة ومآسي فلم ترض نفسه الزّكية بالسّكوت ولا السّكون والرّكون فتحرّك بهذه الخطوة المباركة وكأنّى به يهمس ويجول في خاطره وسويداء قلبه قول سيّدنا رسول الله ﷺالرّحمة المهداة: «من لم يهتمّ بشؤون المسلمين فليس منهم».

فالتمس من القرآن ما يهزّ المشاعر والألباب، وقد وفّق لذلك أيّما توفيق ومن السّنّة المطهّرة ما لذّ وطاب من البراهين والأدلّة، ومن أقوال الأئمّة الأعلام ما ينير للحيارى سبيل الصّواب، كما وشّح كتابه بطائفة من كلام الحكماء وفوائد النّصحاء من جهابذة العلماء علمًا منه بأنّه لا خير في قوم لا يتناصحون ولا خير في من لا يقبل النّصيحة كما جاء في الأثر فهذا الكتاب ينبغي أن يقرأ ويقتنى وهو مملوء بالنّصائح الثمينة. أوجّه نصيحتي لكلّ مسلم و أهيب بالأخصّ الشّباب من هذه الأمّة فهو درعها وحصنها الحصين ومستقبلها الباسم فيجد فيه الوجهة الصّائبة الصّالحة الّتي يتطلّع لها المسلم الّذي ينشد الإسعاد له ولأمّته ووطنه في أمن وأمان وسلامة واطمئنان بارك الله في المؤلّف وما قام به من مجهود جعل الله العمل خالصا لوجهه الكريم، ونفع به النّفع العميم، آمين وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

كتبه عبد القادر بن سالم إمام مسجد

الفتح «سي علي بن دنيدينة» بالجلفة

بتاريخ: يوم الإثنين 26 ربيع الثّاني 1436هـ

يوافق 16/ 02/ 2015م

الإهـــداء

بكلِّ تواضعٍ ، وعلى استحياءٍ ، لم أجدْ أحقَّ و لا أَجْدَرَ منكَ يا حبيبي يا رسولَ اللهِ بهذا الإهداءِ، فأنت قدوتُنا و معلِّمُنا. يا من بعثَك اللهُ رحمةً للعالمين ، و نَذيرا وَ هَادِيًا و سراجًا منيرًا. إليك أُهْدي عملي هذا بكلِّ معاني الإهداءِ، و أسألُ اللهَ العظيمَ ألّا يحرمَنا لذّةَ النظرِ (1*) إلى وجهِه الكريمِ في الآخرةِ ،و صحبتِك في الجنّة وَقَدْ حُرِمْنَا منها في هذه الدنيا. فتقبل هذا الإهداءَ ممَّن أحبَّك في هذه الدنيا، إذْ حُبُّكَ فاق كلَّ حُبٍّ.

أفديك بنفسي و أهلي و ولدي محمد سامي يوسف الذِي ولد في اليوم الذي وُلِدْتَّ فيه يا أحبَّ النّاسِ صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ وَسَلَّمَ تَسْليما، وَ عَلَى آلِك و أصحابِك و أزواجِك و محبِّيك و السالكين منهجَك إلى يوم الدّين و الحمدُ لله ربِّ العالمينَ .

... و أنت سيّدي يا رسول الله من سنّتك أَنَّكَ تَقبَلُ الـهديةَ و تكافئُ عليها :

يَا أَكْرَمَ الرُّسْلِ مَالِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ ** سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْـحَادِثِ الْعَمِمِ.

صلَّى اللهُ عليكَ و سلّمَ و مجّدَ و كرّمَ و والَى وأنعمَ.

أبو محمّد

❊ ❊ ❊

(1*)قَالَ تَعَالَى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القِيَامَة: ٢٢ ، ٢٣] ، وقَالَ تَعَالَى:﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يُونس: ٢٦].

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

المقدمة

الحمد لله الهادِي إلى بابِه ،الموفِّقِ مَن شاءَ لصوابِه،وَالْـمُنْعِمِ بإنزال كتابه، الذِي يشتمل على محكَمٍ و متشابِه، لا يعلمُهُ إلا اللهُ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [1]،و أَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً أرجو أن أنجُوَ بها من عقابــه وشديد عذابه، و أشهدُ أنّ سيّدَنَا و معلّمَنَا و حبيبنَا و نبيَّنَا و عظيمَنَا محمدًا رسولُ الله ﷺ المصطفى و المثَلُ الأعلى في السماحـــة ،و الوفــاء، و على صاحبه في الغار، سيّدنا أبي بكرٍ الصدِّيق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أفضلِ أصحابه، و على سيّدنا عمرَ بْنِ الخطّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- الذِي أعزَّ الله به الدينَ و استقامت به الدُّنيا ، و على سيّدِنا عثمانَ بنِ عفَّانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- شهيدِ دارِه و محرابه، و على سيّدنا عليٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- المشهورِ بحلِّ المشكلِ من العلومِ و كشفِ نقابِه، و على آله و أصحابه و من كان أولَى بهِ و سلَّمَ تسليماً كثيرًا.

وبعــد:

فقد جاءَ هذا الكتاب الموسوم بـ(المسامح كريم) بعدَ حِقْبةٍ تاريخيةٍ قاتمةٍ فارقةٍ مرّ بها هذا الوطنُ العزيزُ الغالي، و هي ما اصطُلِحَ على تسميتها **"بالمأساةِ الوطنيّة"** و بعد البلاءِ و الامتحان أتى اللهُ بزمانٍ ضمَّد جِرَاحَ الأوطانِ، وأعاد بناءَ اللُّحمةِ بين أبنائِه ، فأشاعَ فيهم السِّلْمَ والأمان.

---

(1) [آل عِمْرَان: ٧].

ومع ذلك لا نزالُ نعاني من العنفِ الَّذي تَفَشَّى (*1) في مجتمعِنا؛ نجدُهُ في شوارِعِنا، و بيوتِنا، وحتى في مدارسِنا ومساجِدنا بشَكْليهِ : الجسَدي و اللَّفظي ،فما أحوجَنا اليومَ إلى ثقافةِ التَّسامحِ ! و ما أحوجَنا إلى العفوِ و التَّصافحِ !

فابتسمْ أخي في وجه أخيك ، فالإبتسامةُ مفتاحُ القلوب .

و ابتسَامَتُك في وجه أخيك صدقةٌ (*2). يجزيك عنها علاَّمُ الغيوب،ستّارُ العيوبِ ،غَفَّارُ الذّنوب،كاشفُ الكروبِ .

وتجنَّبْ قَوْلَ اللَّفظِ المنفِّر ، و اختَرْ كلامًا جميلاً ليِّنًا ،لقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٩].

فللمُتَلَقِّي مشاعرُ و أحاسِيسُ ،فكنْ سهلاً لطيفًا هيِّنًا ،و اعلم أنَّ النَّاسَ ثلاثُ مراتبَ: مسيءٌ، ومقتصدٌ، و مُحسِنٌ ، فكن من زمرةِ المحسنين تفزْ بسعادة الدَّارَيْنِ (*3).

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى:﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [فَاطِر: ٣٢ – ٣٥].

(*1) تفشَّى أي : انتشر و اشتهر.. *** و تجنّبْ قَوْلَ اللَّفظِ المنفِّر أي تجنّب الْمُنَفِّرَ مِنَ الْقَوْلِ.

(*2) جاء في الحديث : « تَبَسُّمُكَ في وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ ، ... »؛ الْحَدِيثَ... و معنى كلمة الْحَدِيث أي : إلى آخر الحديث. [التّرمذيّ (1956)]، و انظر : [تحفة الأشراف (11975)]، و انظر : [«السلسلة الصحيحة» (572)].

(*3) لأن التسامحَ خلقٌ كريمٌ ، اقتداءً و اهتداءً و تأسيًا بالنّبي العظيم ﷺ ، الذي قال له الله العظيم ، في كتابه العظيم : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القَلَم: ٤]، كما وصفه الرحيم الحليم بقوله : ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التَّوبَة: ١٢٨] ...الآية.

ما أحْوجَنَا اليومَ إلى القيمِ الإنسانيةِ الّتي تناولَ [*1] بعضَها هذا الكتابُ لإطفاءِ بَرَاكِينِنَا الباطنيَّة و نوازعِنا الداخلية النَّاتجة عن الغضَبِ! فيا أخي و يا عزيزي القارئِ ،آثرْنا أن نقدِّمَ لك دواءً يكون – بحول الله – فيه شفاءٌ من كلّ دَاءٍ، يتمَاشَى مع روح العصر ذي الإيقاع السَّريعِ ،لعلَّنا بذلك نكون قد قدَّمْنا شيئاً مفيداً لإخوانِنا –بإذنِ الله – عزَّ وجلّ–.

وَقد تضمَّنَ هذا العملُ المتواضعُ : آياتٍ قرآنيةً، و أحاديثَ نبويَّةً ،وخُلَاصةَ تجارِب طبّيةٍ ، و وَصَفاتَ استشفائيةٍ من الرّبَّانيين العاملين بكتاب الله، المتّبعين نورَهَدْيِ رسول اللهﷺ بالفَهْمِ والعملِ.

و إن الحديثَ عن التَّسامحِ بين المؤمنين شيءٌ يَمْلَأُ النَّفسَ شعورًا بالتّقصير تنحنِي له الهاماتُ خَجَلاً من التعصّب و الغفلة عند المصير، و لو عَرَّجَ التّسامحُ على القلوب لأبكاها ، وجعلَ العفوَ مرماها والصَّفحَ مبتغاها، وبذلَ الجهد في إسعاد الإخوان، و خفضَ الجناح والتذلُّلَ لهم دون هوانٍ.وإيَّاك أيُّها الأخُ المؤمنُ أنْ تأخذك العزّةُ لقولِ (وتَذَلَّـلْ لهم) لأنَّ التذلُّلَ في الله عِزٌّ وأمانٌ، وخَفْضَ الجناح للمؤمنين صفةٌ لا تنفكُّ عن عباد الرَّحمن ،اِتِّباعا لسيِّدِ المرسلين، جيلاً بعد جيلٍ إلى يوم الدِّين .

أليس الله –عزَّ وجلّ–هوالقائل:﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المَائِدَة:٥٤].؟!

إنَّك حين تتذلَّلُ لِأخيك في الله ،وَتَعْفُو عنه،وتستغفرُ له، وتشاوِرُهُ في الأمر، وتحاوِرُهُ بالحكمة والموعظةِ الحسنة،وتقولُ له قولاً كريماً ميسورًا،وتخفِضُ جناحَك له من اللين والرحمة والإحسان والرأفةِ ، فإنَّما تفعل ذلك لا لذاته وقوّتِهِ، وإنَّما لحرمتِه وإيمانِه، واقتداءً

(1*)القيمِ الإنسانية الّتي تناولَ أو يتناولُ.

و اهتداءً و تأسيًّا بالنّبي العظيم ﷺ الذي قال: «تَطَاوَعَا وَلَا تَـخْتَلِفَا... »،[1] الْـحَدِيثَ.

و لأن أخاك هذا من أصحاب شهادة التوحيد "لا إله إلا الله محمد رسول الله" الّتي تجمع بينكما... و كذلك من أجل الإيمان الذي يَمْلَأُ قلْبَهُ، و العقيدَةِ التي يحمِلُها فِكْرُهُ، و تحقيقًا لكمالِ الإيمان لقوله ﷺ : «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ».[2] فاجتهد في ذلك يرحمُك اللهُ و يغفرْ لك و يُعِنْك على نفسك، واضعا نُصْبَ عينيْك الحكمةَ الذهبيّةَ: (إذا عَـزّ أخـوك فَهُـنْ) أي أن تتواضعَ[3*] له و تتحمّلَ ما صدر منه فيَلينُ ويرجعُ إلى طبعِهِ الطيِّبِ الأصيلِ الـمُتّسِمِ بالـمُوالاةِ و المصافاةِ :

" لا يُبْعِدَنَّكَ مِنْ صَدِيقٍ نَبْوَةٌ *** يَنْبُو الْفَتَى وَهُوَ الْجَوَادُ الْـخِضْرِمُ

فَـإِذَا نَبَـا فَا سْتَبْقِـهِ وَتَأَنَّـهُ *** حَتَّـى تَفِـيءَ بِـهِ وَطَبْعُـك أَكْـرَمُ "[4].

---

(1) (صحيح ،متفق عليه):أخرجه البخاري في:64 – كتاب المغازي: 61 – باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع. [رقم(4344)، (4345)، مسلم (1733)]. وانظر [«السلسلة الصحيحة »(1151)]باب العلم والسنة والحديث النبوي .

(زاد مسلم « ولاَ تَخْتَلِفَا »وهي عند البخاري، 3038) وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 63 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير] .

(2) أخرجه التِّرْمِذِيّ في « الشمائل النبوية » 35 – كتاب : صفة القيامة و الرقائق و الورع : 59 / 124 –باب : [ساعة و ساعة ، و احفظ الله يحفظك]. [رقم (2515)، صحيح : البخاري (13)، مسلم (71–45)، و النسائي (5016)، ابن ماجه (66)، و أحمد (3 / 278 : 13965 ..)، و الدارمي (2782)] . وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ : « هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ ».

شرح المفردات : * لاَيُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ : لاَيَكُونُ كَامِلَ الإِيمَانِ.

(3*) كما صحَّ في الحديث : «..... وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»؛الْحَدِيث[رواه مسلم(2588)،و التِّرْمِذِيّ (2029)، و أحمد (2/ 235:7238)، و الدارمي (1718)، و النووي (16/ 109)] .

وقال لقمان الحكيم -عَلَيْهِ السَّلامُ- « الشَّرِيف إِذَا تزهَّد تواضع.....» نزهة الحكماء: 273.

* لا يُبْعِدَنَّكَ ... لَا يُؤَيِّسَنَّكَ ... *** الْـخِضْرِمُ : الجواد.

(4) من كلام الأَزْدِيّ ، انظر : أَدَب الدُّنْيَا والدِّين : 235،(البحر الكامل).

و تأنّه : لأنَّ في التَّـأَنِّـي السلامة...و عن ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال قال رسول الله ﷺ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْس:«إِنَّ فيكَ خَصْلَتَيْنِ يُـحِبُّهُمَا اللهُ : الْـحِلْمُ وَ الأَنَاةُ»... * الأناة : التثبت و ترك العجلة .. اثبت تنبت .. [رواه مسلم]. وللاستزادة انظر : «رياض الصالحين للنووي» باب الحلم و الأناة و الرفق.

و قال حكيم آخر :

« إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبَا صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الذِي لَا تُعَاتِبُهُ »

- إنّ أخاك ليس له غيرُك و أنت ليس لك غيرُه إنّه أخوك -

ونلجأُ إلى الحِصْنِ الحَصِينِ كتابِ اللهِ المبينِ ، فمنه نعرفُ الدّاءَ ، وفيه نَجِدُ الدّواءَ ، و به يكونُ الشّفاءُ.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾[الإسْرَاء: ٣٧ ، ٣٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾[الفُرْقَان: ٦٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[القَصَص: ٨٣](1*).

قال الله تعالى فيما يرويه عنه رسولُ الله ﷺ: « العِزُّ إزَاري، والكبرياءُ رِدائِي فَمَن يُنَازِعُني في وَاحِدٍ منهما فَقَد عَذَّبتُهُ»(2).

و هذا لقمانُ الحكيمُ اتَّخذَهُ الله في القرآن الكريم مَثَلًا و أثنَى على حكمتِهِ و آدابِه و قَصَّ لنا حوارَه مع ابنِه ... ومن بليغ حكمِ لقمانَ ما أسنده صاحبُ الفردوسِ عن ابن عمرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ،أن النّبي ﷺ قال:«حقاً أقول! لم يكن لُقْمَانُ نبيّاً ،ولكن كان عبداً ضَمْضامةً (3*)،كثيرَ التفكُّرِ حسَنَ اليقينِ،أحبّ اللهَ -عزَّ وجلّ- فأحبَّه ، فمنَّ عليه بالحكمة ، كان نائماً نصفَ

(1*)* وَ بِعَوْدِنا إلى الحِصْنِ الحَصِينِ انظر : [القَصَص: ٧٩ - ٨٣] قصة الطّاغية قارون وأتباعه، وما قاله العلماء و الصّالحون في زمانه ... **

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ : أي قارون ... الآيات في ذلك : [النِّسَاء: ١٧٢، ١٧٣]-[المَائِدَة: ٥٤]-[الأَعْرَاف: ١٣]-[الحِجْر: ٨٨]-[الإسْرَاء: ٢٤]-[الكَهْف: ٦٦ - ٧٠]-[مَرْيَم: ٣٢] -[الفُرْقَان: ٧ - ٢٠]-[الشُّعَرَاء: ٢١٥]-[القَصَص: ٢٤] ...

(2)[رواه مسلم].

(3*) ضمضامة : أي جسيمًا شجاعًا ، انظر : «لسان العرب»، دار صادر بيروت ، ط 2008.6 / ج 9 ، ص 64.

النهارِ إذ جاءه نداءٌ، يقول له : يا لُقْمَانُ، هل لك أن يجعلَك الله – عزَّ وجلّ – خليفةً في الأرض تحكمُ بين الناس بالحق؟ فأجاب : إن خَيَّرَنِي ربي قبلتُ العافيةَ ولم أَقْبَلِ البلاءَ ، وإن عزَمَ عليّ فسمعاً وطاعةً، فإنّي أعلم أنّه إن فعل ذلك ربّي عَصَمَني وأعانَني ،فقالت الملائكةُ بصوتٍ لا يراهم : لِـمَ يا لُقْمَانُ؟ قال :لأن الحاكمَ بأشدِ المنازلِ وأكدرِها، يغشاه الظلمُ[1*] من كلّ مكان، إنْ يَعدِلْ فبالحريِّ أن ينجوَ، وإن أخطأ ، أخطأَ طريقَ الجنّةِ ، ومن يكن في الدنيا ذليلاً طائعا لله خيرٌ من أن يكون شريفاً عاصيا لله،ومن تخير الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولا يصيب الآخرة، فعَجِبَتِ الملائكةُ من حسْنِ منطقِه ، فنامَ نومةً فأُعطِيَ الحكمةَ فانتَبَهَ يتكلّمُ بها »[2].

وفي هذا يقول الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- :

أُهِينُ لَـهُمْ نَفْسِي وَأُكْرِمُها بِهِم *** وَلا تُكْرَمُ النَّفسُ التِّي لا تُهِينُهَا[3]

و لا ننسى قولَ سيدِنَا أبي بكر الصّديق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- حيث قال :«وجدْنا الكرَمَ في التَّقوَى، و الغنى في اليقينِ ،و الشَّرَفَ في التواضعِ . نسألُ اللهَ الكريمَ حسنَ التوفيقِ »[4].

... إنَّ أكبرَ مصائبِنا اليومَ تكمُنُ في أنّ بعضَ المسلمين جماعات و أفراداً يعيشون في خصوماتٍ و أحقادٍ و نزاعاتٍ مُنكرةٍ، تَفصِلُ بينهم المسافةُ التّي تفصلُ بين دِينٍ و دين آخرَ، لأنّهم فرَّطوا في الاعتصامِ بحبلِ اللهِ المتينِ ، فقد قصَّروا في العمل بكتابِ ربِّ العالمينَ

(1*)يغشاه الظلم : أي يأتيه الظالم والمظلوم فكيف يستخرج الحقّ إلّا بتوفيق ونور من الله.

(2)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي. وأخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن أبي مسلم الخولاني.

(3)دِيوانُ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص:142مُـحَمَّدٌ تَبَرْكَانُ أَبُو عَبد الله)،(الطّويل).

(4)إحياء علوم الدين «ص : 467»، وللاستزادة في بيان فضيلة التواضع ، و آفات التكبر ، انظر : «إِحْيَاء عُلوم الدِّينْ» للإمام أبي حَامِد الغزالي – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – كتاب ذم الكبر و العجب و هو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين باب : فضيلة التواضع : ... ج3 / «ص 463..... 467»، و انظر الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ المصْطَفَى ﷺ للعَلَّامَةِ القَاضِي أَبِي الفَضْل عِيَاضِ بن مُوسَى اليَحْصُبِي / الباب الثاني « فصل في تَوَاضُعِهِ ﷺ ص : 77، 78، 79».

واتخذُوهُ[*1] وراءَهم ظِهْرِيًّا ، وكانوا عنه غافلين ، واتَّبعوا سُبل المفسدين ، وسلكوا طُرُقَ الغاوين، ونَسُواً حظًّا ممّا ذكِّروا به، وكانوا في حظِّهم من الزّاهدين، وخاضوا مع الخائضين. و طال عليهم الأمَدُ ،فَنَسُوا أهمَّ عُنصرٍ يحافظ على كيانِهم، و يؤلِّف بين قلوبهم، ألا و هو : الأُخوّةُ الإسلاميَّةُ الشَّاملةُ.

حين نَسْتَقْرِئُ التاريخَ نَجِدُ أنَّ شهادة :"أن لا إله إلا الله محمد رسول الله" هي التي وَلَّدَتْ ذلك التآخي الفَذَّ الفريدَ في تاريخ البشريّة الّذي أَلَّفَ بين المهاجرين و الأنصار ، فَـأَوْجَدَ في أنفُسِهم رُوحَ السَّماحةِ و الكرمِ و الإيثارِ، و من تلكَ البقعةِ الطَّاهرةِ[*2] اِنْطلَقَ شُعَاعَ التّوحيدِ لِيُنيرَ العالمَ سماحةً ظاهرةً و باطنةً. و لْنَتَأَمَّلْ ذلك الموقفَ الكريمَ من الرّسول الكريمﷺفي فَتْحِ مكة ، حين أَطْلَقَ تلك الكلمة الـمؤلِّفة الّتي جمعَ بها شتاتَ العربِ : « ...اذهبوا فأنتم الطُّلَقاءُ » ؛الْحَدِيثَ [3].في عفْوٍ و تسامحٍ قَلّ مِنه المِثْلُ والنَّظيرُ ، عفا عنْ قدرةٍ و تسامحٍ بكرمٍ مع من نَبَذُوه و آذَوْه بالقول والكيد والتَّدبير. فَعِش أخي المسلِم بالسَّماحة والصَّدرِ الرَّحب ، و عش بالإيمانِ ، و بالحبِّ ، والأمل وعِشْ بالمجاهدة [*4] والكفاح ، وقَدِّرْ قيمةَ الحياةِ تظفرْ بالنّجاحِ .

– أمَّا الباعثُ الذي دفعَني إلى الإدْلاَءِ بِهَذَا الانْطِبَاعِ فهو شِدَّةُ تألُّمي وأسفي على أرواح أُزْهِقَتْ و مزارعَ أُتلِفتْ، ومؤسَّساتٍ خُرِّبت، وَمَسَاجِدَ يُذْكَرُ فِيــهَا اِسْمُ الله هُدِّمَتْ ، وبيوتٍ دُمِّرت ، وحُرُماتٍ انتُهِكتْ، وبلدانٍ وأوطانٍ قُصِفَتْ ،و دماءٍ سُفِكتْ،وأطفالٍ

(1*) واتخذوه وراءهم ظِهْرِيًّا .. أي تركوه وراءهم ظِهْرِيًّا.

(2*)أقصد المدينة المنورة .

(3) [النسائي (10/ 134)] ..حين أَطْلَقَ قولته التي سارت بها الركبان ..للاستزادة انظر : « باب العفو عند المقدرة من هذا الكتاب الذي بين يديك ». * في عفْوٍ و تسامحٍ قَلّ مِنه المثل و النَّظير يعني قَلّ نظيره.

(4*)و عش بالمجاهدة و الكفاح أي جهاد النّفس الأمّارة بالسّوء...** تظفر بالنّجاحِ أي : بالسعادة .

يُتِّمُوا، ونساءٍ رُمِّلت،و أمهاتٍ ثُكِّلَت، و أنفسٍ بريئةٍ بلا ذنب قُتِلتْ؟! إنّها نيرانُ الفِتَنِ الّتي عمَّت كلّ بلادِ المسلمين وأَرَادُوهَا جاهليَّةً، يضرِبُ بعضُهم رِقابَ بعضٍ.

إلى متى ؟.إذا كبَّرَ هؤلاء ... كبَّر هؤلاء؟ .. و إذا هلَّلَ هؤلاء ... هلَّل هؤلاءِ؟ - تَحسِبُهم جميعًا وهم على طَرَفَيْ نقيضٍ - أقول : يا معشرَ المسلمين مَن للنِّساءِ إذا رُمِّلْنَ ؟ و من للأولادِ إذا يُتِّمُوا ؟ و من للأمَّهاتِ إذا أُثكِلْنَ ؟ من للدِّينِ و الأعراضِ ؟...و ماهو الجوابُ عند السؤالِ و إذا المؤودةُ سُئِلَتْ بأيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ؟؟؟ الله الله يا معشرَ المسلمين الأمانَ الأمان يا الله يا أمانَ الخائفين ...

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الرُّوم: ٤١].

... أخي هذه الدُّنيا وَعْرَةُ الدُّرُوبِ والمَسَالكِ، والشَّيطانُ بالمرصادِ يدعُو إلى المهالكِ، والنَّفسُ بطبعِها خوَّارةٌ[1*] في تلك المعاركِ، والدَّليلُ للسَّالكِ موجودٌ، والفوزُ للمُستَمسِكِ بحبل الله موعودٌ، وقد جَمَعْتُ لكَ من كتاب الله حبلِ النجاةِ ما فيه الوقايةُ والعلاجُ، وجئتُكَ من الأحاديثِ بما يوضِّحُ المِنهاجَ، ويقوِّمُ النَّفسَ من كلِّ خَطَلٍ واعوجاجٍ. فأحسنِ استعمالَ الحِمْيَةِ والدَّواءِ، تجدْ بحولِ الله النَّقاهةَ والشِّفاءَ :

«وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا *** وَإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ»[2].

وإذْ يَعترِفُ الْمَرْء بفضل سابقيهِ على دروبِ المعرفةِ ، من السَّاعينَ في بَذْرِ التّوحيدِ والخيرِ والإصلاح والمغفرةِ، من مَشَايخِنَا العامِلِينَ المتواصين بالصّبر والمرحمةِ ،فإنَّه يعتذرُ عمّا

(1*) و النّفس بطبعها خوَّارة في تلك المعارك أي ميالة للمعاصي و الشهوات ... متكاسلة.

(2) من كلام أبي ذُؤَيْبٍ انظر:«لسان العرب»،(البحر الكامل).

يَتَرَاءَىٰ[1*] في هذا الكتابِ من نَقْصٍ أو تقصيرٍ،أو ضيْقِ باعٍ في التَّحليلِ والتَّفسيرِ، ولله الواحدِ وحدَهُ الكمالُ ، والأمَلُ بعد ذلك معقودٌ على جُهْدِ جَوَاهِرِالرِّجَال ، ممَّن يسعون في تبليغِ كلمةِ التّوحيدِ في مشارقِ الأرضِ ومغارِبها، وبذرِ الخير والصَّلاح والفلاح بين النّاس في مناكِبِها، و بالتَّالي أدعوكم أن تَتَنَاولُوا معي – إخواني – فصولَ هذا الكتابِ ،واللهُ الموفّقُ و هو يهدي إلى سبيل الصّوابِ.

وكما يقالُ في المثل :"مَنْ أَلَّفَ فَقَدِ اسْتَهْدَفَ " "فَإِنْ أَحْسَنَ فَقَدِ اسْتَعْطَفَ " "وَإِنْ أَسَاءَ فَقَدِ اسْتَقْذَفَ "ولكنّ حسنَ النِّية –إن شاء الله – يشفعُ لي عند ذوي القلوبِ السَّليمةِ ،ومع ذلك:(فَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا ***كَفَى الـمَرْءَ نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهْ)[2].

و إنِّي أسألُ اللهَ الكريمَ رَبَّ العرشِ العظيم حسنَ التَّوفيقِ، و أن يجعلَ عَمَلي هذا خالصاً لوجهِه الكريم وزادًا للوقوفِ بين يديه ، و عَتادًا ليوم العرضِ عليه ، و أن يجعلَه لي ذُخراً و رحمةً يوم القيامة :﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[الشُّعَرَاء: ٨٨ ، ٨٩] ، ...لا تَنْسَوْنا من دعائكم أحياءً و أمواتًا[3*]:

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[القَصَص: ٢٤] ...الآية.

❊ ❊ ❊

(1*) يتراءىٰ أي : يَبْدُو.

(2) ... (البحر الطّويل)... * سَجَايَاهُ كُلُّهَا أي طبائعه كُلُّهَا ... **نُبْلًا أي نجابة و فضلا... النُّبل : الذكاء و النجابةُ و الفضلُ / «لسان العرب»،مج14 ص 179.

(3*) ... لا تنسونا من دعائكم أحياءً و أمواتًا : و دعوة الأخ للأخ بظهر الغيب مستجابة يقول الملك و لك بالمثل أو بمثله ... كما صحّ بذلك الحديث عن المعصوم عليه أفضل الصّلاة و أزكى التّسليم.

التمهيد :

لقد حثّنا ديننَا الحنيفُ على تركِ الغضبِ : « لاَ تَغْضَبْ... »[1]، الْـحَدِيثَ. وَنَهَانَا عَن الفُرقة و الإختلافِ فقال اللهُ تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٥]،و أمرَنا بالصَّفح حين قال: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾[الحِجْر: ٨٥]،كما أوصانا بالصَّبر أيضًا، فقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[البَقَرَة: ٤٥]، وَقَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عِمْرَان : ٢٠٠]، وَقَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[2]

ونهانا الله – عزّ وجلّ – عن الفساد بجميع أنواعه قولاً وفعلاً ،وأمرنا بالسّلم العامة[3*]

وَلْتكُنْ عضواً صالحاً في أمة الإسلام ،يا أَخَا الإسلام، قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن

---

(1) (صحيح): أخرجه البخاري في: 78 – كِتَابُ الأَدَب: 76 – بَابُ الحَذَرِ مِنَ الغَضَبِ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٣٤]، وَ قَوْلِهِ – عَزَّ وَ جَلَّ –: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الشُّورَىٰ: ٣٧] . [رقم (6116)، التِّرْمِذِيّ (2020)].

(2) [العَصر: ١ – ٣]... الآيات في ذلك: [البَقَرَة: ١٥٣ – ١٥٧]–[البَقَرَة: ١٧٧]–[آل عِمْرَان: ١٤٢]–[آل عِمْرَان: ١٤٦]–[الأَنْفَال: ٤٦] –[يُونس: ١٠٩] –[هُود: ٩ – ١١]–[هُود: ١١٥] –[يُوسُف: ٩٠]–[الرَّعْد: ٢٢ – ٢٤] –[النَّحْل: ٤١، ٤٢]–[النَّحْل: ٩٦]–[النَّحْل: ١٢٥ – ١٢٨]–[الكَهْف: ٢٨]–[لقْمَان: ١٦، ١٧]–[الأَحْزَاب: ٣٥، ٣٦]–[الزُّمَر: ١٠] –[الأَحْقَاف: ٣٥]–[الإِنْسَان: ١٢ – ٢٥].

(3*) لقوله – عزّ و جلّ –: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾[الأَنْفَال: ٦١]... الآية.

﴿ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾ مؤنث.

زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٨ ، ٢٠٩]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأَنفَال: ٦١]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يُونسُ: ٢٥](*1).

..... و الحكمةُ من ذلك قطعُ الطرُقِ الّتي تُؤَدِّي إلى الفتنة.

و لقد كان للفضائل و الأخلاق و الآداب و العبادات و المعاملات الحظُّ الأوفر من مُؤَلَّفات علمائنا و فضلائنا السَّابقين. وأُعْجِبنا بما فيها من الخير الكثير الْـمَأْثُورِ عَنْ مشايخنا جزاهم الله عنَّا كلَّ خيرٍ،نَذْكُرُهُمْ وَ نُذَكِّرُ بِهم، و منهم :

ـ إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ لحجَّة الإسلام الإمام أبي حَامِد محمَّد بنْ محمَّد بن محمد الغزالي .

ـ وكتاب خُلُقُ المسلم .... للشيخ محمد الغزالي الْـمُعَاصِر الذي درّس و حاضر في جامعات الجزائر فترات عديدة رحم الله علماءَ المسلمين.

ـ وكتاب إصلاح ذاتِ البَيْنِ أفضلُ من درجة الصِّيام والصَّلاة والصَّدقة... للشيخ علي الجاموس .

ـ وكتاب خلق المسلم والمسلمة ..... للدكتور عمر عبد الكافي .

(بَيْدَ أننا نُذَكِّر وننصح ونُحَذِّر * من فتنة العدوِّ الْمُدمِّرِ)

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذَّارِيَات: ٥٥](*2).

(1*) الآيات في ذلك : [النِّسَاء: ٩٢ - ٩٤]-[المَائِدَة: ٢٧ - ٣٢]...

(2*) هذا و إنّ مهمتَنَا أن نذكّر و ننصح و نحذِّر من فتنة العدوّ المدمِّر ...

الآيات في ذلك : [البَقَرَة : ٢٦٩] -[آل عِمْرَان:٧] -[قٓ : ٤٥] -[الطُّور:٢٩] -[الأعْلى: ٩ -١٥]-[الغَاشِيَة: ٢١-٢٦].....

ومما يؤكّد فتنةَ الشَّيطان و تحريشَه بين المسلمين ما أخرجه مسلم من قول رسول اللهﷺ:« إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الـمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَـكِنْ رضي بالتَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ »[1]... فما السَّبيلُ؟ و من يُذكِّرُنا بأنَّنا أمَّةٌ واحدةٌ ؟ أَمَا آنَ لَنَا أنْ نطفِئَ نِيرَانَنَا المتأجِّجةَ؟

وَلْيَكُنْ شِعَارُنَا :لا لِلفتنة لا لِلفتنة ...لا لِسفك الدِّماء ، لا لقتل الصِّبيان والأبرياء ، لا لِلحُزْنِ لا لِلحزن

...إنَّ الحزنَ دولةٌ لا تعيش فيها سوىٰ الدّموع والحزن إنّهَا دولةُ الدّموعِ، فلْنتحدْ جميعاً ضِدَّ الفتنةِ!

وبالجملة إنَّ هذه الفتنة عمَّت بلادَ المسلمين وجعلتها جاهلية يُقاتل بعضُهَا بعضاً

أليس الله – عزَّ وجلّ – هو القائل:﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ ؟ [البَقَرَة: ١٩١]

أليس الله – عزَّ وجلّ – هو القائل:﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ ؟ [البَقَرَة: ٢١٧]

والقائل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ ؟ [البُرُوج: ١٠]

ألـم يقل النّبيّ ﷺ :فِيمَا رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: «سِبَابُ*الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[2].؟

---

(1) أخرجه مسلم في : 50 – كِتَاب صِفَةِ القِيَامَةِ و الجَنَّةِ و النَّارِ : 16 – بَاب تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَ بَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ ، وَ أَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا .[رقم (2812)، أحمد (3/ 313:14373)،و النووي (16/ 85)] ، وانظر :[«السلسلة الصحيحة »(1608)]باب : الإيمان والتوحيد والدين والقدر .

* السباب : السب و هو الشتم و التكلم في عرض الإنسان بما يعيبه.

(2)(صحيح ،متفق عليه):أخرجه البخاري في:02 – كتاب الإيمان : 36 –بَابُ خَوْفِ الـمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ.

[رقم(48)،مسلم (64)،و أحمد (1/ 176و178و385)، و النووي (2/ 241 –242)،و التِّرْمِذِيّ (2635)].

وَ ما رَوَاهُ جَرِير بْنُ عَبْدِ الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- من أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ» ، فَقَالَ: « لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا ، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» [1].

وَ ما رَوَاهُ ابْنُ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ: «وَيْحَكُمْ» أَوْ «وَيْلَكُمْ لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا ، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[2].

وَما رواه أَبو بَكْرَةَ ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ : «[الزَّمَانُ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَةِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ،السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا؛ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ :ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ ؛ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» . قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ ؟» .قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» . قُلْنَا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ،فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ : «أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ الحَرَام؟» . قُلْنَا: بَلَى، قَالَ : «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟» .قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» . قُلْنَا: بَلَى قَالَ: « فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ- قَالَ أبو بكرة :وَأَحْسِبُهُ قَالَ :- وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ،فِي شَهْرِكُمْ هَذَا؛ وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَسَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ» . [فَكَانَ مُحَمَّدٌ بن المثنى إِذَا ذَكَرَهُ يَقُولُ :صَدَقَ مُحَمَّدٌ ﷺ ثُمَّ قَالَ: « أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟» . مَرَّتَيْنِ] [3].

---

(1)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:03 -كتاب العلم : 43 -بَابُ الإِنْصَاتِ لِلْعُلَمَاءِ. [رقم(121)،مسلم (65) وأحمد (4/ 358:19188 ..)].

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:78 -كتاب الأدب : 95 -بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الرَّجُلِ : وَيْلَكَ. [رقم(6166)،مسلم (66)، و النووي (2/ 243)]. وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 32 ، محمّد فؤاد عبْد البَاقي)، باب بيان النَّبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كُفر] .

(3)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:64 - كتاب المغازي : 77- بَابُ حَجَّةِ الْوَدَاعِ. [رقم(4406)، مسلم (1679) ، و أحمد (5/ 37:20408 و 20409..)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 348 ، 349، محمّد فؤاد عبْد البَاقي)، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال] .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»(1).

ولنَنْظُرْ إلى فتنة وَقَعَتْ بين الأَوسِ والخزرجِ، ولما عَلِمَ بها النّبيُّ ﷺ ماذا صنع؟ تعالَوْا، لِنستمعَ لطبيبِ الأرواحِ وهو يعالجُ المرضَ لِنَسِيرَ عَلَى نور هديه ﷺ.

"روى الطبراني عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: كَانَتِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَيَّيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا عَدَاوَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَهَبَ ذَلِكَ، فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَهُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ قُعُودٌ فِي مَجْلِسٍ لَهُمْ إِذْ تَمَثَّلَ رَجُلٌ مِنَ الْأَوْسِ بِبَيْتِ شِعْرٍ فِيهِ هِجَاءٌ لِلْخَزْرَجِ وَتَمَثَّلَ رَجُلٌ مِنَ الْخَزْرَجِ بِبَيْتِ شِعْرٍ لِيَهُودِي فِيهِ هِجَاءٌ لِلْأَوْسِ، فَلَمْ يَزَالُوا هَذَا يَتَمَثَّلُ بِبَيْتٍ وَهَذَا يَتَمَثَّلُ بِبَيْتٍ حَتَّى وَثَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَأَخَذُوا أَسْلِحَتَهُمْ، وَانْطَلَقُوا لِلْقِتَالِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، فَجَاءَ مُسْرِعًا قَدْ حَسَرَ عن سَاقَيْهِ، فَلَمَّا رَآهُمْ نَادَاهُمْ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢]

حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْآيَاتِ، فَوَحَّشُوا* بِأَسْلِحَتِهِمْ، فَرَمَوْا بِهَا، وَاعْتَنَقَ** بَعْضُهُمْ بَعْضًا يَبْكُونَ"(2).

وهذه القصة تفيدنا في سرعة المبادرة في الإصلاح. وقد أمرنا الله – عزَّ وجلّ – بالإصلاح (*3) فقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]، وقال أيضاً: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾

---

(1) حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ راجع رقم: 2341، وَالدَّارَقُطْنِيّ رقم:4/ 228،و أحمد (1/ 313 : 2867..)، وَغَيْرُهُمَا مُسْنَدًا. وَرَوَاهُ مَالِكٌ 2/ 746 فِي "الْمُوَطَّإِ" عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنِ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا، فَأَسْقَطَ أَبَا سَعِيدٍ، وَلَهُ طُرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا.

* فوحّشوا بأسلحتهم أي: ألقوها بقوة ...** و اعتنق: أي و عانق.

(2) المعجم الصغير للطبراني، باب العين، من اسمه عبد الله، الجزء 1، الصفحة 217، قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَزِيزٍ الْمَوْصِلِيُّ بِبَغْدَاد، حَدَّثَنَا غَسَّانُ بْنُ الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ عَبْدَةَ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ، وَثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ .للاستزادة انظر إلى كتاب سيرة النبي ﷺ لابن هشام. «سيرة ابن هشام».

(3*)للمزيد انظر صفحات إصلاح ذات البين من هذا الكتاب.

إلى قوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحُجرَات: ٩ ، ١٠].

ويبقى الجهد الأكبر على عَوَاتقنا جميعاً ، دعاةً مؤلِّفين ، وناشرين موزِّعين، وقُرَّاء مستوعبين و عاملين .علينا إذن أن نتعاوَنَ(*1) في بذر الاتِّحاد والخير والإصلاحِ ، وبثِّ الطُّمأنينةِ وإبراز مَعَالـم الفَلاحِ .ونكرِّرُ المرّةَ بعد المرّةِ بالكلام الطَّيِّبِ والتّضرّع إلى الله -عزّ وجلّ - و نعتقد (*2)ونُوقِنُ بأنّ الله لا يضيع أجرَ المصلحينَ.

❊ ❊ ❊

* و نكرِّرُ المرّةَ بعدَ المرّةِ بالكلامَ الطَّيِّبَ و بالتِي هيَ أحسن ...

(1*)علينا إذن أن نتعاون ..... لقوله تعالى :﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾[المـائدة: ٢]... الآية.

وَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ ...» الْـحَدِيثَ.

أخرجه التِّرْمِذِيُّ في : 37 - كتاب العلم عن رسول الله ﷺ :14 - بَاب مَا جَاءَ الدَّالُّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ . [رقم (2670)].وَ قَالَ : « هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ».

و لبعض الشُّعَراء في التعاون : و كُنْ على الدّهرِ مِعْوَانًا لذي أملٍ ***يرجو نَداكَ فإنّ الحُرَّ مِعْوانُ.

قصيدة لشاعر الحكمة «أبو الفتح علي بن محمد الكاتب البستي».

و جاء في الأمثال الشعبية : كل موزّع بين الرّجَالْ خَفِيف.

(2*)و نعتقد : الإعتقاد هو الجزم و في المثل « اعتقِد و لا تنتقد »... و نُحْسِن الظّنّ بالله فهو الاعتقاد و هو الجزم و من ظّنّ وجد و من لا فلا.

" الإصلاح بين الناس يتناول ما يأتي :

الإصلاح بين طائفتين أو حزبين أو أُسرتين .

أو «الزّوجين ».

أو «فردين متخاصمين ».

و يراعى في المصلح : أي يُشترَطُ فيه أن يكونَ مُؤَهَّلًا لـمـا يلي :

(1) أن يَعْدِل بين المتخاصمين .

(2) أن يكون الإخلاص باعثه على الإصلاح.

(3) أن تكون له مكانةٌ عند الـمتنازعين .

(4) الانضمام إلى الـمظلوم إذا أبى الظالـمُ الصُّلحَ.. أي ينضم إلى الـمظلوم.

و الإصلاح بين النّاس يثمر ما يأتي:

(1) إحلالَ الألفة مكانَ الفرقة، و استئصالَ داءِ النِّزاعِ قبل أن يستفحلَ (*1) .

(2) حَقنَ الدِّماء الّتي تراق ** بين الطّوائف المتنازعة.. بين الـمتنازعين فردين أو جماعتين أو حتّى دولتين.

(3) توفيرَ الأموال الّتي تنفق للمحامين بالحقِّ أو بالباطل، وتوفيرَ الرُّسومِ، والنفقات الأخرى.

(1*) قبل أن يستفحل أي قبل أن يعظم ... **تراق أي: تسيل الدماء بالقتل ... *** تنفق سوقها أي : تمشي و تدور و تكثر.

(4) تجنُّبَ إنكارِ الحقائق التي تجرّ إليها الخصومات و تركَ شهادة الزّور الّتي تَنْفُقُ سوقُها في دور القضاء.

(5) تجنُّبَ المشاجرات و الاعتداء على الحقوق التي قلَّما يَسْلَمُ منها متخاصمان.

(6) تفرُّغَ النُّفوس للمصالح بدلَ كَدِّهَا و انْهِمَاكِهَا في الكيْدِ للخصوم.

(7) رحمةَ الله لِعباده و أجرَهُ العظيم للمصلحين و المتصالحين، إلى غير ذلك."[1]

...و أعظمها و أولاها أنّك أدّيت الواجب الدّيني و الشّرعي ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ بإراحة ضميرك و حمدِك و شكرك لربّك الذي هداك ووفّقك وأعانك.

❊ ❊ ❊

(1) إصْلاحُ الوعْظِ الدّينيّ للأستاذ محمد بن عبد العزيز الخولي، المكتبة التجَارية الكبرى بمصر ص.ب 578، 1388هـ، 1969م، ط: 7، ص 74، 75.

الفصل الأول :

في معنى التسامح ومقاصده وفوائده

(وما يسعنا إلا الرجوع إلى :

كتاب الله – عزّ وجلّ – ، فنتخذُ منه حكمًا عادلاً ؛ وإلى عقولنا ومصلحتنا عَلَّنَا نجِدُ فيها رادعًا).

1 -مفهوم التّسامح

أولا : المعنى اللُّغوي

السَّماحة لغةً : ماضيه سَمَحَ «بالسِّين، والميم، والحاء: أصلٌ يدلُّ على السّلاسةِ والسّهولةِ»[1].

ويُقال أيضًا: سَمُحَ وأَسْمَحَ: إذا جاد وأعطى عن كرمٍ وسخاءٍ؛ لسهولة ذلك عليه.

قال الجوهري في «الصِّحاح»: «السَّماحُ والسَّماحَةُ: الجود، وسَمَحَ به: أي جَادَ به، وسَمَحَ لي: أعطاني، وما كان سَمْحًا..، والمُسامحةُ: الـمُساهلة، وتسامحوا: تساهلوا».

ثانيا : المعنى الاصطلاحي :

السَّماحة في الاصطلاح تقال على وجهين:

الوجه الأول :السماحة هي :الجودُ عن كرمٍ وسخاءٍ.

الوجه الثاني:التَّسامح مع الغير في المعاملات المختلفة، ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها والَّتي تتجلَّى في التَّيسير وعدمِ القهر. وسماحةُ المسلمين تبدُو في تعاملاتهم المختلفة، سواء فيما بينهم، أو مع غيرهم من أصحاب الدِّيانات و النِحل الأُخرى.

و في لغةِ المعاصرين شَاعَ التَّسامحُ بمعنى العفو و الصّفح ، حَتَّى غَدا[2*] لَهُ معنى متعارَفٌ عليه اجتماعِيًّا و ثقافِيًّا وسياسِيًّا .

ومن الأقوال الحكيمة في التَّسامح : قول عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: إذا سمعت كَلِمَةً تؤذيك ، فطأْطِئْ لها حتى تتخطاك .

وقول الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- :

---

(1) انظر : «معجم مقايس اللّغة».

(2*) حَتَّى غَدا أي : حَتَّى صَارَ.

وَعاشِرْ بمَعْروفٍ ، وَ سَامِحْ مَنِ اعْتدَىٰ ❊❊❊ وَدَافِعْ ولَكِنْ بالَّتي هِيَ أَحْسَنُ [1].

وقول أبي قلابة الجرمي : إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه ، فالتمس له العذر جهدك ، فإن لم تجد له عذراً ، فقل : لعل له عُذْرًا لا أعلمهُ [2*]:

تَأَنَّ وَ لَا تَعْجَلْ بِلَوْمِكَ صَاحِبًا ❊❊ لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا وَ أَنْتَ تَلُومُ [3]

ومن فوائد السماحة الّتي يُحِبُّهَا اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ وَالمَلائِكَةُ الـمُقَرَّبُونَ.

مَا يُفيـضُهُ اللهُ – عزَّ وجلّ – عَلَىٰ وُجُوهِ الْمُؤْمِنِينَ لِتكُونَ لَـهُمْ عَلَامَةً مُـمَيزَةً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحَدِيد: ١٢].

- السَّمْحُ مَحْبُوبٌ لَدَىٰ أَهْلِهِ ومُجْتَمَعِهِ في معاشرته وصحبته.
- السَّمَاحَةُ فِي البَيْعِ والشِّرَاءِ بَابٌ عَظِيمٌ، لِكَسْبِ وَتَكْثِيرِ الرِّزْقِ الكَرِيمِ .
- السَّمَاحَةُ تَجْلِبُ التَّيسيرَ فِي كُلِّ الأُمُورِ، وتَجْلِبُ الانْشِراحَ لِلصُدور .
- بالسَّمَاحَةِ يَغْنَمُ الإِنْسَانُ أَكْبَرَ قَدْرٍ مِنَ السَّعَادَةِ وَهَنَاءَةِ الْعَيْشِ ، ويَتَجَنَّب الهوَىٰ وَالطَّيْش.
- يَجْلِبُ سَمْحُ النَّفْسِ الخَيْرَ الدُّنْيَوِيّ حَيْثُ يَمِيلُ النَّاسُ إِلَىٰ التَّعَامُلِ مَعَهُ فَيَكْثُرُ عَلَيْهِ الخَيْرُ بِكَثْرَةِ مُحِبِّيهِ وَالْمُتَعَامِلِينَ مَعَهُ [4].
- السَّمَاحَةُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ أَصْحَابِ الدِّيَانَاتِ و النِحل الأُخْرَىٰ تَجْلِبُ لَهُمُ الطُّمَأْنِينَةَ وَالأَمْنَ فَيُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَىٰ حُبِّهِم لِلْمُتَسَامِحِينَ مَعَهُمْ وَمُعَاوَنَتِهِمْ ثُمَّ الدُّخُولِ فِي هَذَا الدِّينِ ،الَّذِي يُقِرُّ

(1) دِيوانُ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص: 139 مُـحَمَّدٌ تَبَرْكَانُ أَبُو عَبد الله)،(الطّـويـل).

(2*) و من الأعذار مالا يذكر .

(3) (البحر الطويل).

(4) اقتبسنا هاتين الفائدتين من – الأخلاق الإسلامية للميداني – 2/ 460.

مَبْدَأَ التَّسَامُحِ مَعَ الآخَرِينَ ،و في تاريخنا الإسلامي و موروثنا الحضاري ما يدلّ على ذلك و أكبر شاهدٍ على ذلك الفُتُوحات الإِسْلاَمِيَّةِ[1].

❊ ❊ ❊

(1) انظر أثر سماحة الإسلام في نفوس أهل البلاد المفتوحة ص (2288).

وانظر الموسوعة في سماحة الإسلام (1/ 425-442) باختصار ،وانظر تاريخ إفريقيا وآسيا.

وانظر الأخلاق الإسلامية للميداني (2/ 471) باختصار .

للاستزادة : انظر صفات تكريم الإنسان : التيسير – الجود – السخاء – الكرم – المروءة – اللين – المواساة – الإحسان – الصفح – الشهامة .

وانظر موسوعة نضرة النعيم في أخلاق المصطفى الكريم ﷺ الّتي فتح بها القلوب ومازالت تفتح وتفتح القلوب فيكون ذلك الفتح سبب دخولهم في الإسلام .

حسنُ الظّنِّ

1ـ قبل البدء : تأمّل و تدبّر هذه الآيات العظيمة :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النُّور: ١٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحُجُرَات: ٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[1].

وَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ... ﴾ [إبْرَاهِيم: ٣٦] الآية. وقَالَ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[المَائِدَة: ١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: « اللَّهُمَّ !أُمَّتِي أُمَّتِي» وَبَكَى. فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: **يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟** فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، فَسَأَلَهُ. فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ - وَهُوَ أَعْلَمُ - فَقَالَ اللهُ - عَزَّ وَ جَلَّ -: **« يَا جِبْرِيلُ ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوؤُكَ »**[2].

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، قَالَ الْقَائِلُ :

---

* ﴿ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾ : أي ظن السوء بالمسلمين.

(1)[الحُجُرَات: ١٢] ... الآيات في ذلك : [المَائِدَة: ١١٨]-[التَّوْبَة: ٥١]-[التَّوْبَة: ١٠٠]-[التَّوْبَة: ١١٧، ١١٨]-[يُوسُف: ٨٧-٩٦]-[إبْرَاهِيم: ٣٦]-[إبْرَاهِيم: ٣٧ -٤١]-[غَافِر: ٧]-[الحَشْر: ٩، ١٠]-[نُوح: ٢٨] ...

(2)أخرجه مسلم في: 1 - كِتاب الإِيمَانِ: 87 - بَاب دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لأُمَّتِهِ وَ بُكَائِهِ شَفَقَةً عَلَيْهِمْ. [رقم (202)، و النووي (3/ 437، 438)].

فقال: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبدِ الأَعْلَى الصَّدَفِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الحَارِثِ: أَنَّ بَكْرَ بْنَ سَوَادَةَ حَدَّثَهُ، عَنْ عَبْدِ الرَّحمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ. عَنْ عَبدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بنِ العَاصِ،به.

مَـــنْ نَالَ مِنِّي أَو عَلِقْتُ بِذِمّتهْ ❊❊❊ أَبــرأْتُـهُ للـه شـَاكِرَ مِنَّتِهْ

أَأُرَىٰ مُعَوِّقَ مؤمِنٍ يومَ الْـجَزَا ❊❊❊ أَوْ أَنْ أَسُوءَ محمّداً في أُمَّتِهْ[1].

" و قد نهى الله تعالى عن كثير من سوء الظنّ بالمؤمنين .فقال تعالى:﴿ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[2]وذلك كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة ، وكظن السوء الذي يقترن به كثيرٌ من الأقوال والأفعال المحرَّمة ، فإنَّ بقاءَ ظنِ السوء بالقلب ، لا يقتصر صاحبه على مجرّد ذلك ، بل لا يزال به حتى يقولَ ما لا ينبغي،ويفعلَ ما لا ينبغي.وفي ذلك أيضاً إساءةُ الظنّ بالمسلم ، وبغضِه وعداوته ،والمأمورُ به خلاف ذلك ." [3] قال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ و السَّلَامُ - : « ثَلَاثَةٌ لَا يَسْلَمُ مِنْهُنَّ أَحَدٌ : الطِّيَرَةُ، وَالظَّنُّ ، وَالْحَسَدُ . فَإِذَا تَطَيَّرْتَ فَلَا تَرْجِعْ ، وَإِذَا حَسَدْتَ فَلَا تَبْغِ ، وَإِذَا ظَنَنْتَ فَلَا تَحَقَّقْ»[4] ، وَ قَالَ ﷺ: « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا ،وَلَا تَبَاغَضُوا ،وَلَا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»[5].

و قال علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -:"لا تظننَّ بكلمة خرجت من أحدٍ سوءاً،وأنت تجدُ لها في الخير مُحتمَلًا"،

و قال أيضاً : " ليس من العدل القضاءُ على الثقةِ بالظنِّ . "[6]

---

(1)دِيوانُ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص: 42مُـحَمَّدٌ تَبَرْكَانْ أَبُو عَبد الله)، (الكامل) .

(2)[الحُجرَات: ١٢].

(3)تَفْسِير العلاَّمَة الشَّيخ عبد الرّحمن بْن نَاصِر السَّعديّ لجزء من الآية الكريمة [12]من سورة [الحُجرَات] .

(4)أخرجه ابن حجر العسقلاني من حديث إِسْمَاعِيل بن أُمَيَّة في فتح الباري الصفحة / 224 / 10، [رقم (13572)،العراقي (13483)].

* «ولا تَـجَسَّسُوا» : أي لا تجسسوا عن عيوب الناس ولا تتبعوها.

(5)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-في:78 – كتاب الأدب: 58 – باب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾ [الحُجُرَات:١٢]. [رقم(6724) ،مسلم (2563)، أحمد (2/ 342: 8542..)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 553 محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب البِرِّ والصِّلة والآداب ، بَاب تَحْرِيمِ الظَّنِّ والتَّجَسّسِ والتَّنَافُسِ و التَّنَاجُشِ ونَحْوِهَا] .

(6)من كَلام الصحابي الجليل عَلِيّ بْن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - (ص: 378 محمد رضا).

و روىٰ «ابن كثير» "عن أميرِ المُؤمنين عُمَرَ بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال :و لا تَظُنَّنَّ بكلمةٍ خَرَجت من أخيك المُسلِم إلا خيراً ،و أنت تَجِدُ لها في الخير مَحمَلاً، وهي منسوبة للإمام علي كما سبق. وقال أيضا : لا يَنْتَفِعُ بِنَفْسِهِ مَنْ لا يَنْتَفِعُ بِحُسْنِ ظَنِّهِ"(1).

وَ قَالَ بَعْضُ الْـحُكَمَاءِ : " لاَ يُفْسِدُكَ الظَّنُّ عَلَىٰ صَدِيقٍ أَصْلَحَكَ الْيَقِينُ لَهُ "(2).

و قال أحدهم : "حُسْنُ الظَّنِّ فِطْنَةٌ * وَ سُوءُ الظَّنِّ فِتْنَةٌ ".

وَالْأَجْمَلُ أَنْ نُدْرِكَ الْأُمُورَ عَلَىٰ حَقَائِقِهَا وَنُحْسِنُ الظَّنَّ بِالله وَخَلْقِهِ لِأَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ مِنْ حُسْنِ الْعِبَادَةِ . فَلِينُ الْجَانِبِ ، وَ أُلْفَةُ الصَّاحِبِ ،وَ الْـمُلَاطَفَةُ فِي الْأَقْوَالِ وَ الْأَفْعَالِ وَ الْحَالِ ، وَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ وَ تَرْكُ الْـمُنْكَرَاتِ ،وَبَذْلُ النَّدَىٰ، وَاحْتِمَالُ الْأَذَىٰ ، وَبَذْلُ الْجَمِيلِ ،وَكَفُّ الْقَبِيحِ، وَحُسْنُ الشَّمَائِلِ ،وَالتَّخَلِّي عَنِ الرَّذَائِلِ، وَالتَّحَلِّي بِالْفَضَائِلِ،أَخْلَاقٌ حَسَنَةٌ يَجْمَعُهَا كُلُّهَا :حُسْنُ الظَّنِّ .

وَصَاحِبُ حُسْنِ الظَّنِّ لَهُ نَعِيمٌ فِي شَقَاءٍ،وعِزٌّ فِي ذُلٍّ، وغِنًىٰ فِي فَقْرٍ ، وَصَبْرٌ فِي بَلَاءٍ، وَ سَلْوَةٌ فِي عَنَاءٍ (*3)، وَ حُسْنُ عَزَاءٍ ، وَلَهُ يَقِينٌ وَإِيمَانٌ مَعْلُومٌ ظَاهِرٌ ،يَدْفَعُ عَنْهُ كُلَّ الظُّنُونِ الْبَاطِلَةِ ، مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ مِنْهَا وَ كَبُرَ فَاسْتَرَاحَ إِلَيْهِ،وَسَوَّلَتْ لَهُ النَّفْسُ أَمْرًا وَصَبَتْ إِلَيْهِ، وَلَوْ لَا أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ غَطَّىٰ ذَلِكَ ،وَعَقْلُهُ كَانَ لِعِلْمِهِ مُصَاحِبًا ،وَإِيمَانُهُ كَانَ لِنَفْسِهِ قَائِدًا، وَعَمَلُهُ كَانَ لِنَفْسِهِ سَائِقًا و لِعِلْمِهِ مُصَدِّقًا وَ لِغَيْرِهِ قُدْوَةً ،لَوْ لَا ذَلِكَ كُلُّهُ لَكَانُوا : جَمِيعًا مِنَ الْخَاسِرِينَ .

(1)انظر : تَفْسير العالِم الفقيه المفتي المحدث الحافظ ابن كثير للآية الكريمة [12]،من سورة [الحُجُرَات].

(2) أدب الدّنيا و الدّين : 478.

(3*)و سلوة في عناء : وَ قِيلَ لِلشَّعْبِيِّ فِي نَائِبَةٍ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ قَالَ : «بَيْنَ نِعْمَتَيْنِ : خَيْرٌ مَنْشُورٌ وَ ضُرٌّ مَسْتُورٌ . – فسبحانك اللّهمّ يا من أظهرت الجميل و سترت القبيح – أدب الدّنيا و الدّين : 406.

وَصَاحِبُ حُسْنِ الظَّنِّ يَعِيشُ الْفَرَحَ قَبْلَ وُقُوعِهِ:

" فَانْظُرْ إِلَى أَخِيكَ نَظْرَ الـمُحْسِنِ ❊❊❊ وَ أَحْسِنِ الظَّنَّ بِهِ وَ حَسِّنِ

وَ إِن تَـجِدْ عَـيْـبًا فَسُدَّ الخَلَلاَ ❊❊ ❊❊❊ فَجَلَّ مَنْ لا فِيهِ عَيْبٌ وَ عَلَا " [1].

❊ ❊ ❊

(1) .....(بحر الرجز).❊❊ فَسُدَّ الخَلَلَا أي : فأصلحه.

تشخيص الدّاء واللجوء إلى الدّواء:

إِنَّ أيّةَ أمّةٍ لا تُشيعُ ثقافةَ التسامحِ بينَ أفرادها و لا تشجّعُ على ذلك : أمَّةٌ قدْ تُوُدِّع منها، هي فئة تَنْتَحرُ قبل أن ينالَ منها عدوُّها فتكونُ هي وعدوُّها على نفسها...و نحن نقول هذه أُخُوَّتُنَا لا يشوبها تلبيسُ إبليسَ و لا غموضُ المنافقين من شياطين الإنس، و لا يمكن لهذه الأمّة أن تَسْتَعِيدَ مَجدَها، وتبنِي حضارتَها إلَّا إذَا رجعت إلى تنزيل العزيز الرحيم، الذي يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيمٍ ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1] به نزل رُوحُ الْقُدُسِ الأمين، على قلب سيدِ المرسلين، عليه أفضل الصّلاةِ وَأَزْكَى التّسليمِ، الذي أرسله إلى الثقلين، بشيرا ونذيرا

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[2] ليُخرجَ العالمين من ظلماتِ الجهلِ والشركِ والشرّ والقسوة و الانتقام، إلى نور المعرفةِ والعلمِ وتوحيدِ الله الواحد الأحدِ [*3] وقد هدى خير الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام خلقا كثيرًا بتسامحه و لينهِ و رفقهِ.

و قد أنزل الله على رسوله نوراً مبيناً ، وتبياناً وتفصيلاً لِكل شيء وأحسنَ تفسيرًا ،وتذكرةً لأولي الألباب تثبّتهم على طريقه المستقيم.إنذارا و وعيداً وتخويفاً وتهديداً للكفار والمنافقين. وهدًى ورحمةً و بشرى وموعظةً وذكرى وشفاءً للمؤمنين .ولقد جاء في التنزيلِ بيانٌ لذلك وتفصيلٌ ، فَقِفْ عند هذه الآياتِ و تأمّل و تدبرْ !

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[آل عِمْرَان: ٧]،

---

(1)[فُصِّلَت: ٤٢].

(2)[الأحْزَاب: ٤٦].

(*3) راجع صفحات: كيف نعيش إيجابيًا مع الحياة و نعالج نتائجها السلبية من هذا الكتاب صفات توحيد الله الواحد الأحد .

وَقَـالَ تَعَـالَىٰ:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسْرَاء: ٩]،وَقَـالَ تَعَـالَىٰ:﴿ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[1] .

الآن حَصْحَصَ الحق،و أصبح من آكدِ الواجبات الرجوع من جديد إلى كلام الله – عزَّ وجلّ – إلى سفينةِ النَّجاةِ ،وخريطةِ النجاح في الحياةِ وبعد المماتِ.

قال التّرمذيّ : حدَّثنا عَبْدُ بنُ حُمَيْدٍ ، حدَّثنا حُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ الـجُعْفِيُّ قال : سمعتُ حَمْزَةَ الزَّيَّاتَ ، عن أَبي الـمُخْتَارِ الطَّائِيِّ ، عن ابنِ أَخي الْـحَارِثِ الأَعْوَرِ ، عن الحارِثِ قالَ : مَرَرْتُ فِي الـمَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ يَـخوضُونَ فِي الأَحَادِيثِ،فَدَخَلْتُ عَلَىٰ عَلِيّ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الـمُؤْمِنِينَ ، أَلاَ تَرَىٰ أَنّ النَّاسَ قَدْ خَاضُوا فِي الأَحَادِيثِ ؟قالَ : وقد فَعَلُوهَا ؟ قلْتُ : نَعَمْ ، قالَ : أَمَا إِني قد سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ :« أَلاَ إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ »، فَقُلْتُ : مَا الـمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ الله ؟ قالَ : «كِتَابُ الله ؛فِيهِ نَبَأُ مَنْ قَبْلَكُمْ ،وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ ،وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْـهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ الله، وَمَنْ ابْتَغَى الـهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ الله ،وَهُوَ حَبْلُ الله الـمَتِينُ ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْـحَكِيمُ ،وَهُوَ الصِّرَاطُ الـمُسْتَقِيمُ ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ ،

(1)[الأحْقَاف: ٣٠] ... الآيات في ذلك : [آل عِمْرَان: ٥٨]-[آل عِمْرَان: ١٣٨]-[النِّسَاء: ١٧٤]-[النِّسَاء: ١٧٥]-[الأعْرَاف: ١ ، ٢]-[الأعْرَاف: ٢٦]-[الأعْرَاف: ٥٢]-[الأعْرَاف: ٢٠٣]-[يُوسُف: ٣]-[يُوسُف: ١١١]-[الحِجْر: ٩]-[النّحْل: ٦٤]-[النّحْل: ٨٩]-[النّحْل: ١٠٢]-[الإسْرَاء: ١٠٥]-[الكَهْف: ٥٤]-[طه: ١١٣]-[الفُرْقَان: ١]-[الفُرْقَان: ٣٢ ، ٣٣]-[الفُرْقَان: ٥٠]-[الشُّعَرَاء: ١٩٢ - ١٩٦]-[النَّمْل: ١ ، ٢]-[النَّمْل: ٦]-[النَّمْل: ٧٦ ، ٧٧]-[لُقْمَان: ١ - ٣]-[السَّجْدَة: ١ ، ٢]-[سَبَإ: ٦]-[صَ: ٢٩]-[الزُّمَرْ: ١]-[الزُّمَرْ: ٢٣]-[الزُّمَرْ: ٢٧، ٢٨]-[غَافر: ١ ، ٢]-[فُصِّلَت: ١ -٤+٤١ ، ٤٢+٤٤]-[الشُّورَىٰ: ١٧]-[الزُّخْرُف: ١ - ٤] -[الدُّخَان: ١ - ٦]-[الجَاثِيَة: ٢٠]-[الأحْقَاف: ١ ،٢]-[الأحْقَاف: ١٢]-[الحَدِيد: ٩]...

وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَـمْ تَنْتَهِ الْـجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الـجنّ : ١، ٢]، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرُ »[1].

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحُجُرَات: ١٠].

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه التِّرْمِذِيّ في : 42 – كتاب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ : 14/ 14 – باب مَاجَاءَ فِي فَضْلِ القُرآنِ العظيم . [رقم (2906)، وَقَالَ : «هَذَا حَدِيثٌ لَانَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ، وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ . وَفِي الْحَارِثِ مَقَالٌ » . الدارمي (3374)، أحمد (1/ 91:704)].

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : مَنْ تَفَرَّدَ بِالْعِلْمِ لَـمْ تُوحِشْهُ خَلْوَةٌ ! وَمَنْ تَسَلَّى بِالْكُتُبِ لَـمْ تَفُتْهُ سَلْوَةٌ ! **وَمَنْ آنَسَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ لَـمْ تُوحِشْهُ مُفَارَقَةُ الْإِخْوَانِ!** أَدَبُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ لأَبِي الـحَسَن عَلِيّ بن محمَّد بن حَبيب البصْرِيّ المَاوَرْدِيّ (ص106 تحقيق طه الشَّيْخ).

كيف لعابرِ السبيلِ أَنْ لا يكظِمَ غيظَه ولا يعفوَ عمَّن ظلمه

وكيف له في كلِّ الظروفِ والأحوالِ ،أَنْ يغفُلَ وينسى الْـمَعَادَ والمآل ؟ :

"خُذْ مِن خليلك ما صفَا ** وَ دَعِ * الَّذي فيه الكدَرْ

فالعمرُ أقصرُ مِن مُعَا ** تَبَةِ الخليلِ على الغِيَرْ **"[1].

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عِمْرَان : ١٨٥] ، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] ، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[2].

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ دِينَارٍ قَالَ لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لِابْنِهِ :« يَا بُنَيَّ : كَيْفَ يَأْمَنُ النَّارَ مَنْ هُوَ وَارِدُهَا، وَكَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا مَنْ هُوَ مُفَارِقُهَا ، وَكَيْفَ يَغْفُلُ مَنْ لَا يُغْفَلُ عَنْهُ ؟ يَا بُنَيَّ : لَا شَكَّ فِي الْـمَوْتِ فَإِنَّك كَمَا تَنَامُ كَذَلِكَ تَمُوتُ ، وَلَا شَكَّ فِي الْبَعْثِ فَإِنَّك كَمَا تَسْتَيْقِظُ كَذَلِكَ تُبْعَثُ، يَا بُنَيَّ : إِنَّ الْإِنْسَانَ لَثَلَاثَةٌ ، فَمِنْهُ لله، وَمِنْهُ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُ لِلدُّودِ وَالتُّرَابِ ، فَأَمَّا مَا كَانَ لله فَرُوحُهُ ، وَأَمَّا مَا كَانَ لِنَفْسِهِ فَعَمَلُهُ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا ، وَأَمَّا مَا كَانَ لِلدُّودِ وَالتُّرَابِ فَجَسَدُهُ»[3].

---

* ودع الَّذي فيه الكدرْ أي : أعرض عما لا يعجبك من خليلك ... ** الغِيَرْ أي : الفساد و الظلم.

(1) للاستزادة انظر : إِحْيَاءَ عُلُومِ الدِّينِ ، ج 2/ كتاب آداب الألفة و الأخوة و الصحبة و المعاشرة مع أصناف الخلق و هو الكتاب الخامس من ربع العادات الثاني ، الباب الثاني في حقوق الأخوة و الصحبة ... – فَالعُمرُ ظِلُّ سَحابٍ زائل ←(مَـجْزُوُّ الكامل).

(2) [ٱلرَّحْمَـٰنُ : ٢٦ ، ٢٧] ... الآيات في ذلك : [النِّسَاء: ٨٢]–[الرَّعْد: ٢٦]–[النَّحْل: ٩٧]–[الْمُؤْمِنُون: ١٢ –١٦]–[الْمُؤْمِنُون: ٩٩ – ١١٨]–[العَنْكَبُوت: ٥٧، ٥٨]–[الرُّوم: ٥٤ –٥٨]–[النَّجْم: ٣٩ – ٤١]–[الحَدِيد: ٢٠، ٢١]–[الحَشْر: ١٨]...

(3) المدخل.

... من ثمراتِ كظم الغيظِ أنّه يمنحُ صاحبَه سَكِينةً نفسيّةً و طمأنينةً قلبيَّةً تجعله منشرحَ الصّدرِ مستريحَ الفؤادِ، مُنبسط الخاطر،تراه قد حصر همومَه فِي همٍّ واحدٍ هو أن يُرضِيَ ربَّه، بعفوه عمّن ظلمَه، فما عاقبت من ظلمني بمثل أن أعفوَ عنه و الله يأجُرُني ، فيا أخي : من الكرمِ أن تسارِعَ للصّفح، و تكونَ أنتَ البادئَ بالسّلامِ، لأنّه حانَ الوقتُ أن نتسامحَ قبل أن يفرِّقنا الموتُ ، إنَّنا مجردُ ضيوفٍ في هذه الدُّنيا، و إنّ الحياةَ قصيرةٌ أكثر مـمَّا نتخيَّلُها .

و لا تَنْسَ قولَ لقمان الحكيم -عَلَيْهِ السَّلامُ- :« يَا بُنَيَّ: إِنَّ الدُّنيا قليلٌ، و عمرُك فيها قليلٌ من قليل، وقد بقي قليلٌ من قليل القليل »[1].

فليس لدينا الوقتُ في هذه الدّنيا للحزنِ و الضّيقِ و الغضبِ من شخصٍ معيَّنٍ أو موقفٍ محدّدٍ، فإذا غضِبتَ من شخصٍ مَّا ، فلا تُجهِدْ طاقَتكَ في الغضبِ و الضّيقِ و الحزنِ، و الأفضلُ هو الصَّفحُ و النِّسيانُ، لأنَّ الحياةَ قصيرةٌ، و لن تكون لها إعادة ، و زَادُنَا قليلٌ في تلك الدَّار الدَّائمة دار الآخرة فالدُّنيا ممرٌّ و الآخرة مستقرٌّ، وكيف للضَّيف الغريب عابرِ السّبيلِ أن تمرَّ أيامُه أو ساعاتُه [2]في الأحقادِ ؟ فإذا انتهت الحياةُ الدُّنيويَّةُ فإنَّها لاَ تعود. تـمرُّ الدّنيا وكأنَّها حُلْمٌ، والآتي منها خَيَالٌ « فالدّنيا – وَأَيمُ اللهِ * – حُلْمٌ ،و الآخرة يقظَةٌ،

(1)حكم لقمان الحكيم : 18، وانظر وصايا لقمان وحكمه (ص 94، 95 أحمد بن عاشور).

(2*) الآيات في ذلك: قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [يُونس: ٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النَّازِعَات: ٤٢ -٤٦].

و قال الصحابي الجليل علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:(الدُّنْيَا سَاعَةٌ، فَاجْعَلْهَا طَاعَةً ، والنفس طباعة علمها القناعة) . أَدَبُ الدُّنْيَا وَ الدِّينِ: 161.

و المتوسط بينهما الموت ، و العباد في أضغاث أحلام » [1] فَمَا ماضيكَ إلَّا أضغاثُ أحلامٍ، وَمَا مستقبلُكَ إلاَّ خيالٌ و أوْهَامٌ ، وما تدري ما يُفعَل بك [2*] إن أنتَ إلَّا عابرُ سبيلٍ أو غريبٌ كَمَا قالَ الحبيبُ صلوات الله و سلامه عليه فيما رواه ابْنُ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ،حيث قَالَ :أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي * ،فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ،أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- يَقُولُ : « إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ »[3]. وَ أَعْمَارُنَا في الدنيا هي الحرث الذي نحصد ثمارَه في الآخرة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾

[الحَاقَة: ٢٤]

---

* وَ أَيمُ الله أي : يُقسم بالله تعالى.

(1) انظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ، و انظر قصص التابعين حياة الحسن البصري -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- (ص : 265 الشيخ مَحْمُودٌ المِصْرِي أبو عمار).

(2*)قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[لُقْمَان: ٣٤] ...الآيات في ذلك : [الأنعَام: ٦٠ ، ٦١]-[يُوسُف: ١٠٥ -١٠٧]-[الْمُؤْمِنُون: ٩٩ -١١٨]-[يس : ٤٨ -٥٨] ..عن عثمان بن زائدة قال : قال لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لابنه : « يَا بُنَيَّ : لا تُؤَخِّر التَّوبة فإنَّ الموت يأتي بغتة » ابن أبي الدنيا في "التوبة 57" وفي "قصر الأمل"، والزهد الكبير للبيهقي، وشرح أصول الاعتقاد، و انظر : وصايا لقمان وحكمه (ص:34 أحمد بن عاشور).

* بِمَنْكِبِي و المنكب : مجتمع رأس العضد و الكتف ... ** قالو في شرح هذا الحديث معناه : لاَ تَرْكَنْ إِلَى الدُّنْيَا وَ لاَ تَتَّخِذْهَا وَطَناً وَلاَ تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِطُولِ الْبَقَاءِ فِيهَا وَلاَ بِالاعْتِنَاءِ بِهَا وَلاَ تَتَعَلَّقْ مِنْهَا إِلاَّ بِمَا يَتَعَلَّقُ به الْغَرِيبُ فِي غَيْرِ وَطَنِهِ وَلاَ تَشْتَغِلْ فِيهَا بِمَا لاَ يَشْتَغِلِ بِهِ الْغَرِيبُ الَّذِي يُرِيدُ الذَّهَابَ إِلَى أَهْلِهِ . وَ بِالله التَّوفِيقُ.

(3)(صحيح) : أخرجه البخاري في : 81 -كِتَاب الرِّقَاق : 3 -بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ». [رقم (6416) ، التِّرْمِذِيّ (2333) ، و ابن ماجه (4114) ، و أحمد (2/ 24:4764) ، و انظر تحفة الأشراف (7386) ، و انظر : [«السلسلة الصحيحة » (1157)]،وللاستزادة في بيان حقيقة الدنيا - ظل سحاب زائل - انظر : سنن التِّرْمِذِيّ «34 -كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ » [التِّرْمِذِيّ (2304 ..... 2414)].فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا وَ خَبَرَ أَحْوَالَهَا هَانَ عَلَيْهِ بُؤْسُهَا وَ نَعِيمُهَا .

وَقَدْ أمَرَهُم ربُّهم أَنْ يأخذُوا زَادَهُم من دارٍ يخرجون [*1] منها فقال : ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة: ١٩٧] وَوَعدَهُم بدارٍ مَا هُم مِنْها بمُخرجين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[الحِجر: ٤٥ - ٤٨]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [قٓ :٣١ -٣٥].

و ما أحسن ماقال الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -:

يَا نَفْسُ مَا هُوَ إلاَّ صَبْرُ أيَّامِ *** كَأَنَّ مُدَّتَها أَضْغاثَ أَحْلاَمِ

يَا نَفْسُ جُوزِي عَنِ الدُّنْيَا مُبادِرَةً *** وخَلِّ عَنهَا فَإِنَّ العَيْشَ قُدَّامِي [2].

الدنيا فانيةٌ و لا يبقى منها إلاَّ الحسابُ في الآخرةِ ، فسارعْ أخي إلى العفوِ والتسامحِ قبل فواتِ الأوانِ، و ينبغي أن تَسْتَشْعِرَ كلَّ لحظةٍ من حياتِكَ، و كأنَّها آخرُ لحظةٍ في حياتِك يا (ضيفُ)

(1*) كما قيل: "الدنيا النهار اللّي يوسعها ايزيد يوسعها أي يفارقها": إوسعها الاولى : يشيدها ، إوسعها الثانية : يخرج منها و يتركها:

" إِذَا تَمَّ أَمْرٌ بَدَا نَقْصُهُ *** تَرَقَّبْ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمْ

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا *** فَإِنَّ الْمَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمْ

وَحَامِ عَلَيْهَا بِشُكْرِ الْإِلَهِ *** فَإِنَّ الْإِلَهَ سَرِيعُ النِّقَمْ

حَلَاوَةُ دُنْيَاكَ مَسْمُومَةٌ *** فَمَا تَأْكُلُ الشَّهْدَ إِلَّا بِسُمْ

فَكَمْ قَدَرٌ دَبَّ فِي مُهْلَةٍ *** فَلَمْ يَعْلَمِ النَّاسُ حَتَّى هَجَمْ".

أدب الدّنيا والدّين : 332،(البحر المتقارب).

(2) دِيوانُ الإمَامِ الشَّافِعِي (ص: 33مُحَمَّدٌ تَبَرْكَانُ أَبُو عَبد الله)،(البسيط).

* وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ : كَانَتْ مُدَّتُها أَضْغاث أَحْلَام.

... سمعنا من شيخنا مسعودي عطية -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- أن خطأ الكتب لا يمحى،ويكتب في الهامش لعلّ صوابه كذا.

و يا عابرَ السبيلِ، سَامِحْ كلَّ من ظلمك وأفِضْ عليهِ من حنانِك و عفوِك وإِحْسَانِك له، لكي تفوزَ بأجر الكاظمين، و تكون طاقتُكَ الداخليَّةُ منتظمةً، و تكون في منتهى الراحةِ و الإطمئنانِ. لقد بيَّنَ النّبيُّ ﷺ أن العِزَّ يزيدُ بالعفوِ حينَ قالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ رَجُلاً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزّاً، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ »[1].

فَيَا أَخِي إنَّك تُنْفِقُ في السرَّاءِ و في الضرَّاءِ مِنْ مالِك، وتنفق أيضا من فيض حنانِك و من نفسِك أي كظم الغيظِ ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ و أعلاها إنفاقاً ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ فهذا الإنفاق هو الطريق إلى : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

- أولا : الإنفاق في السرَّاء .
- ثانيا : الإنفاق في الضرَّاء.

ثالثاً : الإنفاق من الذات ،ككظم الغيظ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ ﴾ [يُوسُف: ٧٧].

... ومن القَصَصِ الطريفةِ في بابِ كظمِ الغيظِ ما رواه البيهقي في (شعب الإيمان) (8317) قالَ: أخبرنا أبو محمد بن يوسف ،أخبرنا أبو بكر أحمد بن سعيد بن فرضخ العثماني ، أخبرنا طاهر بن يحي الحسيني، حدّثني أبي ،حدّثني شيخ من أهل اليمن قد أتت عليه بضع وسبعون سنة فيما أخبرني يقال له عبد الله بن محمد قال : سمعت عبد الرزاق يقول : (جعلت جاريةٌ لعلي بن الحسين تَسْكُبُ عليه الماء ليتهيأ للصلاة ،فسقَط الإبريق من يد الجارية على وجهه فَشَجَّه*، فرفع عليُّ بن الحسين رأسَه إليها ، فقالت الجارية: إن الله – عزَّ وجلّ – يقول :

(1) أخرجه التِّرْمِذِيّ في : 25 – كتاب البر و الصلة عن رسول الله ﷺ : 82 – باب مَا جَاءَ فِي التَّوَاضُعِ . [رقم (2029)، وَ قَالَ : « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ »، صحيح : مسلم (2588)، و أحمد (2/ 235:7238)، و الدارمي (1718)، و النووي (16/ 109)].

﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾. فقال لها: قد كظمت غيظي. فقالت: ﴿ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ ﴾ فقال لها: قد عفوت عنك. قالت: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾. قال: اذهَبي فأنتِ حرةٌ)[1].

وقال عبد الله بن عطاء: أذنب غلام لعلي بن الحسين ذنبًا استحق منه العقوبة، فأخذ له السوطَ، ... فقال: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾[2] وقال الغلام: وما أنا كذلك، إني لأرجو رحمة الله، وأخاف عذابه، فألقىٰ السَّوطَ وقال: أنت عَتيق[3].

وقال موسىٰ بن داود: إن علي بن الحسين دعا مملوكه مرتين فلم يُجبْه، ثم أجابه في الثالثة، فقال: يا بني، أما سمعت صوتي؟ قال: بلىٰ. قال: فمالك لم تجبني؟ قال: أَمِنتُك. قال: الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني[4].

وقال عبد الغفار بن القاسم: كان علي بن الحسين خارجًا من المسجد، فلقيه رجل فسبَّه، فثارت إليه الموالِي والعبيدُ، فقال عليٌّ: مَهْلاً علىٰ الرجل. ثم أقبلَ عليه فقال: ماسُتِر عنك من أمرنا أكثرُ، ألك حاجةٌ نُعينُك عليها؟ فاستحيا الرجلُ ورجع إلىٰ نفسه. فألقىٰ عليه خميصةً[*5] كانت عليه، وأمرَ له بألف دِرهمٍ[6].

---

* فشجَّه أي: فجرح وجهه.

(1) تاريخ ابن عساكر: 12/ 22 أ، و البداية و النهاية: 9/ 107، وانظر: قصص التابعين علي بن الحسين بن علي (زيد العابدين) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ - باب عفوه، (ص: 208 الشيخ مَحْمُود المصْرِي أبو عمار)، «دَارُ التَّقْوَىٰ» ط: 1.

(2) سورة الجاثية: الآية: (14).

(3) تاريخ ابن عساكر: 12/ 23 ب و 24 أ.

(4) تاريخ ابن عساكر: 12/ 22أ. * قال: الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني أي شهادة مملوك بحسن السّلوك... -شهود الدنيا هم شهود الاخرة-..

(5*) الخميصة: كساء أسود مربع له علمان. القاموس (خمص).

(6) تاريخ ابن عساكر: 12/ 23 ب، وصفوة الصفوة 2/ 100.

وقال أبو يعقوب المُزني : كان بين الحَسَنِ بْنِ الحسنِ وعلي بن الحسين بعض الأمر ، فجاء الحسن إلى علي وهو مع أصحابه في المسجد ، فما ترك شيئًا إلا قاله له ، وعليٌّ ساكت ، فانصرف الحسن . فلما كان الليل أتاه في منزله ، فقرع عليه بابه ، فخرج إليه ، فقال له علي : يا أخي ،إن كنت صادقًا فيما قلت ، فغفر الله لي ، وإن كنت كاذبًا فغفر الله لك، والسّلام عليكم. وولَّى، فاتبعه الحسن فلحقه ، فالتزمه من خلفه وبكى حتى رَثَى له ، ثم قال : لا جَرَمَ ،لا عُدْتُّ في أمر تكرَهُهُ . فقال علي : وأنت في حِلٍّ مما قلت لي [1].

وقال ابن أبي الدنيا بإسناده : كان عند علي بن الحسين قوم ، فاستعجل له خادم بشِواء كان في التَّنُّورِ ، فأقبل به مسرعًا: فسقط السَّفُّودُ [2*] من يده على بُنَيّ لعلي أسفل الدرجة ، فأصاب رأسه فقتله ، فوثب عليٌّ، فلما رآه قال للغلام : اذهب فأنت حُرٌّ ... أعلم أنك لم تتعمد قتله .... وأخذ في جهاز ابنه [3].

وَأَسْمَعَ رَجُلٌ ابْنَ هُبَيْرَةَ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: إيَّاكَ أَعْنِي ، فَقَالَ لَهُ ابن هُبَيْرَة –الرّجل القرآني–: وَعَنْكَ أُعْرِضُ: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾:

خُذِ الْعَفْوَ و امُرْ بعُرْفٍ كَمَا ❊❊❊ اُمِرْتَ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِين

وَلِنْ فِي الْكَلَامِ لِكُلِّ الْأَنَامِ ❊❊❊ فَمُسْتَحْسَنٌ مِنْ ذَوِي الْجَاهِ لِينْ [4]

وقيل : إن رجلاً خاصم الأحنف ،وقال : لئن قلتَ واحدةً ،لتسمَعَنَّ عشْراً . فقال – أبو بحر – : لكنك إن قلت عشراً لم تسمع واحدة .

---

(1) تاريخ ابن عساكر: 12 / 24 أ، وصفوة الصفوة (2 / 94).

(2*) السفود : حديدة يشوى بها : القاموس (سفد).

(3) تاريخ ابن عساكر: 12 / 34 أ، وصفوة الصفوة: 2 / 100 ، وانظر قصص التابعين حياة علي بن الحسين بن علي (زين العابدين) (ص: 208، 209 الشيخ مَحْمُودٌ المـصْرِي أبو عمار).

(4) (البحر الـمتقارب).

وقيل : إن رجلاً قال للأحنف : بِمَ سُدْتَ ؟ - وأراد أن يَعيبه - قال الأحنف : بتركي ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك [1] .

ولعلّك تتعجب من مدىٰ حلم الأحنف بن قيس ... لكنك إذا عرفت السبب فسوف يزول العجب؛ فلقد كان الأحنف بن قيس منذ طفولته يجالس العلماء والعُبَّاد وكان يتعلم من علمهم وأخلاقهم الكثير والكثير .

... وقد أصبح الأحنف بن قيس سيداً علىٰ بني تميم علىٰ الرغم من أنه لم يكن من أغناهم ولا أقواهم ولا أعلاهم حسبًا ونسبًا، فسأله بعض إخوانه عن السر في ذلك فقال له أحدهم: يا أبا بحر من الذي يستحق أن يكون سيداً علىٰ قومه ؟

فقال : من كان فيه أربع خصال ساد قومه .

فقيل له : وما هذه الخصال؟

فقال : من كان له دين يحجزه [2*]...

وحسبٌ [3*] يصونه ...

وعقل يرشده ...

وحياء يمنعه ...

بل قيل له ذات مرة : كيف أُوتيت الحكمة والوقار؟

فقال: بكلمات سمعتهن من عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- حيث قال :

---

* ... فلقد كان الأحنف بن قيس منذ طفولته يجالس العلماء و العُبَّاد ... عَنْ مَالِك -رضي الله عنه- أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ لُقْمَان الْـحَكِيمَ -عليه السلام- أَوْصَىٰ ابْنَهُ فَقَالَ : « يَا بُنَيَّ جَالِسِ الْعُلَمَاءَ وَ زَاحِمْهُمْ بِرُكْبَتَيْكَ ؛ فَإِنَّ اللهَ سبحانه يُحْيِـي الْقُلُوبَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ كَمَا يُحْيِـي الْأَرْضَ الْـمَيْتَةَ بِوَابِلِ السَّمَاءِ »..
الموطأ : بَاب مَا جَاءَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ.

(1) السير (4/ 92، 93).

(2*) يحجزه : أي يمنعه .

(3*) الحسب : الشرف .

" من مزح استُخِفَّ به [1*]...

ومن أكثر من شيء عُرف به ...

ومن كثر كلامه كثر سَقَطُه [2*]...

ومن كثر سقطه قَلَّ حياؤه ...

ومن قَلَّ حياؤه قَلَّ ورعه ...

ومن قَلَّ ورعه مات قلبه ..." [3]

وفي يوم من الأيام كان الأحنف يمشي وحده في مكان على أطراف البصرة فتعرض له رجل قبيح الخُلق فجعل يسبُّه ويشتمه وهو ساكت لم يلتفت إليه ، فلما اقتربا من الناس ، التفت إلى الرجل وقال : يا ابن أخي إن كان قد بقي من كلامك فضلة [4*] فَقُلها الآن ... فإن قومي إذا سمعوا ما تقول أصابك منهم أذىً .

وعنه : ما نازعني أَحَدٌ إِلاَّ أَخَذْتُ أَمْرِي بأمور ، إِنْ كَانَ فوقي ، عَرَفْتُ لَهُ قَدْرَهُ ، وَإِنْ كَانَ دُونِي رَفَعْتُ قَدْرِي عَنْهُ، وَإِنْ كَانَ مثلي،تَفَضَّلْت عَلَيْهِ؛ "فَأَخَذَهُ الْـخَلِيلُ ، فَنَظَمَهُ شِعْرًا ، فَقَالَ :

سَأُلْزِمُ نَفْسِي الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ *** وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ إِلَـيَّ الْـجَرَائِمُ

فَمَـا النَّاسُ إِلَّا وَاحِدٌ مِـــنْ ثَـلَاثَةٍ *** شَرِيفٌ وَمَشْرُوفٌ وَمِثْلٌ مُقَاوِمُ

فَأَمَّا الَّذِي فَوْقِـي فَأَعْـرِفُ قَـــدْرَهُ *** وَأَتْبَعُ فِيهِ الْـحَقَّ وَالْـحَقُّ لَازِمُ

(1*) استخف به : استهان النّاس به .

(2*)سقطه : خطؤه .

(3) و نسبت هذه النصائح الذهبية للصحابي الجليل عليّ بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، وللاستزادة انظر : كتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن لولي الله تعالى و العارف بربه العلامة الامام الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي دفين مدينة الجزائر – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى و رضي عنه – ج1 / ص: 421.

(4*) فضلة : أي بقية وزيادة .

وَأَمَّـــا الَّـــذِي دُونِـي فَأَحْلُمُ دَائِبًـــا ❊❊❊ أَصُونُ بِهِ عِرْضِي وَإِنْ لَامَ لَائِمُ

وَأَمَّا الَّذِي مِثْلِـي فَإِنْ زَلَّ أَوْ هَفَـــا ❊❊❊ تَفَضَّلْتُ، إِنَّ الْفَضْلَ بِالْفَخْرِ حَاكِمُ" [1].

وعنه ، قال: لست بحليم ولكني أتحالَـمُ [2].

وقيل : إنه كلَّمَ مصعبًا في محبوسين وقال : أصلح الله الأمير، إن كانوا حُبسوا في باطل ، فالعدل يسعهم، وإن كانوا حُبسوا في حق ، فالعفو يسعهم.

هكذا كان حلمه وأخلاقه ... فكيف لايسُودُ مثل هذا الإمام الكبير – رحمه الله رحمة واسعة – وجمعنا به في الفردوس الأعلى ... من المعلوم أن معرفة أحوال الصالحين تؤثر في حياة الإنسان إيجابًا... وأن الرحمات تتنزل عند ذكر الصالحين:

..."إِذَا أَعْجَبَتْك خِصَالُ امْرِئٍ ❊❊❊ فكنه يكن منك ما يعجبك

فَلَيْسَ عَلَى الـمجد وَالْـمَكْرُمَاتِ ❊❊❊إِذَا جِئْتَهَا حَاجِبٌ يَحْجُبُكْ " [3].

- رابعاً : ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ كقوله تعالى على لسان يوسف : ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[يُوسُف: ٩٢]، و كقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾ [يُوسُف: ٩٧، ٩٨]

فبهذه الامتحانات ترتقي ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ وَ قَدْ قِيلَ عِنْدَ الِامْتِحَانِ يُكْرَمُ الْـمَرْءُ

(1) أدب الدّنيا والدّين : 346.

(2) ذكره ابن عساكر 8/ 218ب،219أ.

(3) انظر قصص التابعين حياة الأحنف بن قيس ❊أبا بحر❊(ص354،355،356،357 الشيخ مَحْمُودٌ المـصْرِي أبو عمار).

أَوْ يُهَانُ؟ (1*) و فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ تُعْرَفُ جَوَاهِرُ الرِّجَالِ. تأمل أخي وتدبر في هذه الآيات والأحاديث : قال تعالى مادحًا العافين عن النَّاسِ :﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آل عِمۡرَان: ١٣٢ -١٣٤]

﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ ﴾ أي إذا أثارهم الغيظُ كظموه بمعنى كَتَمُوه فلم يعلنوه، و عفَوا مع ذلك عمّن أساء إليهم. و قد ورد في الحديث القدسي: «**يَا ابْنَ آدَمَ ، اُذْكُرْنِي إذا غَضِبْتَ أَذْكُرْكَ إذا غَضِبْتُ فلا أُهْلِكُكَ فِيمَنْ أُهْلِك**» (2).

و لهذا ينبغي أن نتحلى بأبهى حُلةٍ (حلة الصفح) لأنَّها راحةٌ لقلوبِنا و عقولِنا و أنفسِنا و أبدانِنا و رضًى لربِّنَا و اتِّباعٌ لسنة نبيِّنا ﷺ ، ولهذا بشرَّ النبيُّ ﷺ الصحابي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- الذي قال عنه النبي ﷺ: يدخل علينا رجل من أهل الجنة فيدخل الرجل نفسه ..... عن أنس بن مالك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال : «كان النبي ﷺ يجلس مع أصحابه في المسجد فقال لهم : الآن يدخل علينا رجل من أهل الجنة ، فدخل رجل نعلاه بيديه ولحيته يتقاطر الماء منها ، وفي اليوم الثاني والثالث، كان الرسول يقول يدخل علينا رجل من أهل الجنة فيدخل الرجل نفسه فتبعه عبد الله بن

(1*)قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [آل عِمۡرَان: ١٧٢]

وَقَالَ تَعَالَى:﴿ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴿٧٦﴾ ﴾ [يُوسُف: ٧٦].

قال علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك، فإنه يسعى في مضرته ونفعك، وليس جزاء من سرك أن تسوءه».من كلام وحكم وأمثال الصحابي الجليل علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-(ص:374 محمَّد رضَا).

و قال الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: وَلاَ ثْرِ لِلأَعَادِي قَطُّ ذُلاً *** فَإِنَّ شَمَاتَةَ الأَعْدَا بَلاَءُ

دِيوانُ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص:20مُحَمَّدٌ تَبَرْكَانُ أَبُو عَبد الله)،(الوافر).

(2) رواه ابن أبي حاتم ، وانظر : أَدَب الدّنيا و الدّين: 351،352 .

عمرو بن العاص وقال له إن بيني وبين أبي حال وأردت أن أمكث معك في بيتك ، فوافق الرجل ، فكان عبد الله بن عمرو يراقب الرجل ويرىٰ عبادته فما رآه يزيد من عبادة[1*]...وبعد ثلاثة أيام قال عبد الله بن عمرو للرجل أما والله ليس بيني وبين أبي حال ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول يدخل عليكم رجل من أهل الجنة فتدخل أنت فما رأيتك كثير صيام ولا صلاة فأردت أن أعرف ما الذي بلغ بك تلك المرتبة... فقال الرجل : آوي كل ليلة إلى فراشي وليس في قلبي حقدٌ على مسلم»؛ الحَدِيثَ.

...من قلّد عالـمًا ، لَقِيَ الله سالـمًـا.

و لهذا أمرَ ربُّنا في آيات كثيرةٍ بكظمِ الغيظِ و العفوِ و كل ما يريحنا .فالصفحُ راحةٌ لنَا و ليس لخصومنا بل راحة لجهازنا العصبي.و ما أجمل ما قاله الإمامُ أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -:

1 – لَمَّا عَفَوْتُ و لـمْ أَحْقِدْ عَلىٰ أحَـدٍ *** أَرَحْتُ نفْسِيَ مِنْ هـمِّ الـعَدَاوَاتِ

2 – إِنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي عِنْـدَ رُؤْيَتِهِ *** لأَدْفَـعَ الشَّـرَّ عَنِّي بالتَّحِيـاتِ

3 – وأُظْهِرُ البِشْرَ لِلإِنْسانِ أُبْغِضُـهُ *** كَـمَا إِنْ قَدْ حَـشَا * قَلْبِي مَحبَّـاتِ

4 – النَّاسُ دَاءٌ و دَاءُ النَّاسِ قُرْبُهُـم *** و في اعْتِزالِهِـمْ قَطْـعُ المـودَّاتِ

5 – و لَسْتُ أَسْلَمُ مِنْ خِلٍّ يُخَالِطُنِي *** فكَيْفَ أسلَمُ مِـنْ أَهْلِ الـعَداوَاتِ

6 – وَ أَحْزمُ ** النَّاس مَنْ يَلْقَىٰ أَعادِيَهُ *** في جِسْم حِقْد و ثَوْبٍ منْ مـودَّاتِ[2].

(1*) أي : فما رآه يزيد غير الفرائض .

(2) دِيوانُ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص: 39 ، 40مُـحَمَّدٌ تَبَرْكَانُ أَبُو عَبد الله)، (البسيط).

* كَمَـا إِن قَدْ حشَا قَلْبِي مَحبَّاتِ ... و رُوي أيضا هكذا من الشافعي : كأَنَّهُ قَدْ حَشَا قَلْبِي مَحبَّاتِ .

* حشَا أي : مَلَأَ ... ** وَ أَحْزمُ النَّاس أي : أقواهم رأيا و عملا.

- فما أَصْعَبَ القلق لو لا فسحة الحلم!
- و ما أصعب الانتقامَ لو لا فسحة الصفح!
- و ما أصعَب الغضبَ لو لا فسحة الوضوء و الاستغفار!
- فكظمُ الغيظِ و الصفحُ و الإحسانُ هي من أفضل العــبادات.

و الّذِي يناله كاظم الغيظ في الدنيا و الآخرة لا يناله إلا ذو حظّ عظيم .

قال ﷺ: «من كفّ غضبَه كفّ الله عنه عذابه، و من خزن لسانه ستر الله عورته و من اعتذر إلى الله قبل الله عُذْرَهُ »[1].

وعن رجل من أصحاب النّبيّ ﷺ: أن رجلاً قال للنّبِيّ ﷺ : أخبرني بكلمات أعيش بهن، ولا تكثر عليَّ فَأَنْسى. قال: « اجْتَنِبِ الغَضَبَ »،ثم أعاد عليه، فقال:«اجْتَنِبِ الغَضَبَ»[2]، فإن الغضب يجمع الشّرّ كلّه، و من حبّ الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- للنّبي ﷺ أنهم كانوا يقتدون به و كانوا رحماء بينهم .عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ :كَانَ يَسْقِي عَلَى حَوْضٍ لَهُ، فَجَاءَ قَوْمٌ فَقَالَ :أَيُّكُمْ يُورِدُ عَلَى أَبِي ذَرٍّ وَيَحْتَسِبُ شَعَرَاتٍ مِنْ رَأْسِهِ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ :أَنَا ، فَجَاءَ الرَّجُلُ فَأَوْرَدَ عَلَيْهِ الْحَوْضَ فَدَقَّهُ ،وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ قَائِمًا فَجَلَسَ ،ثُمَّ اضْطَجَعَ ،فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا ذَرٍّ ،لِـمَ جَلَسْتَ ،ثُمَّ اضْطَجَعْتَ ؟قَالَ :فَقَالَ :إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ لَنَا :« إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ ،فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ »[3].

و قال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ :حَدَّثَنَا أَبُو وَائِلٍ صَنْعَانِيٌّ مُرَادِيٌّ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُرْوَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ بِكَلَامٍ أَغْضَبَهُ قَالَ : فَلَمَّا أَنْ

---

(1) و هذا حديث غريب و في إسناده نظر. قال أبو يعلى : حدثنا أبو موسى الزمن حدثنا عيسى بن شعيب الضرير أبو الفضل حدثني الربيع بن سليمان النمري ، عن ابن عمرو بن أنس بن مالك عن أبيه ، بِهِ.

(2)[(أحمد 5 / 408: 23528..)] ، وانظر: [«السلسلة الصحيحة»(884)]باب الأخلاق والبر والصلة .

(3)[(أحمد 5/ 152: 21406) ،أبو داود (4782،4783)]. قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ،حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ ،عَنْ أَبِي حَرْبِ بْنِ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، عن أبي ذر ، بِهِ .

غَضِبَ قَامَ ثُمَّ عَادَ إِلَيْنَا وَقَدْ تَوَضَّأَ فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي عَطِيَّةَ - وَقَدْ كَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ ،وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ ،وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ»(1). وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ ،قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ ،وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا ،قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ : أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ». فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ ؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ(2) وقال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ و السَّلَامُ - : «مَنْ كَظَمَ غَيْظاً ؛ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَلَى رُؤُوسِ الخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الحُورِ مَا شَاءَ»(3).

وعن عقبة بن عامر، قال : لقيت رسولَ الله ﷺ فقال لي: « يَا عُقْبَةُ بن عَامِرٍ ! صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ». قال : ثم أتيت رسول الله ﷺ فقال لي: « يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ ! املكْ لِسَانَكَ، وَابْكِ(*)على خَطِيئَتِكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ ». قال: ثم لقيت رسول الله ﷺ فقال لي : « يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ ألا أُعَلِّمُكَ سُوَراً ما أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ ولا

(1)[(أحمد 4 / 226:18007)،أبو داود (4784)، معجم الصحابة: (ج12/ ح1491)] .

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:78 - كتاب الأدب : 76 - باب الحذر من الغضب . [رقم(6115)، مسلم (2610)، و النووي (16 / 125،126)،أحمد(5/ 244:22172..)،أبو داود (4780)].وانظر:اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص: 559، 560، محمد فؤاد عبد الباقي)، باب فَضْلِ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ وبأَيِّ شَيْءٍ يَذْهَبُ الغَضَبُ] . وانظر :[«السلسلة الصحيحة » (3303)]. * الحور : أي شديدات سواد العيون و بياضها .. و العين : ضخام العيون.

(3) أخرجه أبو داود في : 35 - كِتَابِ الأَدَبِ : 3 - بَابُ مَنْ كَظَمَ غَيْظًا .[رقم (4777)، أحمد (3/ 440:15637)، و التِّرْمِذِيّ (2493)، (2140 و 2661)، و ابن ماجه (4186)]. وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ : « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ ».

(*)«وَابْكِ على خَطِيئَتِكَ .. »: واسْتَفْرِغ الدّمع مِنْ عَيْنٍ قدِ امتلأت *** مِنَ المحَارِمِ و الْزَم حِمْيَة النَّدم .

بردة الإمام العارف بالله الفقيه المعروف بـ: الشيخ البوصِيري -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- لمدح خير الخلق محمد ﷺ ،(البحر البسيط).

في الزَّبُور ولا في الإنْجِيلِ ولا في الفُرْقَانِ مِثْلُهُنَّ؟ لا يأتينَ عليكَ ليلة إلا قَرَأَتَهُنَّ فيها : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ،و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾،و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾»[1].

و قال ﷺ : «من سرّه أن يُشَرَّفَ له البنيَانُ، وترفع له الدرجات فليعفُ عمن ظلمه، و يُعط من حرمه، و يَصِلْ من قطعَهْ»[2].هذا هو ميدان السباق و التنافس وَحقٌّ على من سَمِعَ بهذا الحديث أن يعمل به.

... فإذا اتعظت وعملت بما علمت، فإن عملك بما فيه من سخائك وعفوك وتواضعك، تصديق لعلمك ، و قدوة لغيرك ، فعظ عشيرتك والأقربين، قال الإمام الحسن البصري -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «الإيمان مَا وَقَر في القَلْبِ وصَدَّقَهُ العَمَل».[3]"وروي أن موسى -عَلَيْهِ السَّلامُ- لما أراد أن يفارقه الخضر -عَلَيْهِ السَّلامُ- قال له :أوصني قال:« لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به »"[4].

❊ ❊ ❊

(1)[(مسند أحمد (4/ 158: 17457و 17458و 17459..)]،وانظر:[«السلسلة الصحيحة»(2861)] باب فضائل القرآن والأدعية والأذكار والرُّقى.

(2) أخرجه الحاكم في مستدركه(2/ 295) من حديث أبيّ بن كعب، وقال : «صحيح على شرط الشيخين».

(3)أخرجه ابن النجار في : «ذيل تاريخ بغداد»، و الذيلمي في : «الفردوس».

(4)للاستزادة انظر:تَفْسير العلَّامة الإمام الحافظ ركن الدِّين البغوي للآيات [79-82] من سورة[الكهْف] ،و انظر:أدب الدّنيا و الدّين: 95.

أعداء في الجاهلية إخوةٌ في الإسلام.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٣ ، ١٠٤].

و تتوالى الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية تحثّ المؤمنين على أُخُوَّتِهِمْ الجديدة القائمة على أساس العقيدة الإسلامية التي جاءهم بها من عندِ الله خيرُ خلقِ الله و خاتمُ أنبيائه محمّدٌ رسول الله ﷺ ليشعروا بفضل الله عليهم.﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾.

رَفْرَفَتِ القلوبُ و حَلّقتْ ،و غاصتِ الأرواحُ في هذا النور فأشرقَتْ، و فازتِ القلوبُ و الأرواح بخروجها من ظلماتِ الجهلِ، و الشِّركِ ، إلى نور الله الذِي لا ينطفئ أَبدًا، و المعرفة و العلم، و التوحيد، و نزعت ثياب الشّرِّ و القسوةِ و الانتقام، والافتتان ، وَ ارْتَدَيْتَ (*1)ثياب الخير والرِّفق و الحنان ، و الإيثار و النور و الأخوة و الرحمة و المودة و الإحسان، والترابط بين القلوب، فجمع كلّ هذا صفهم تحت لواء الرَّحمن الرحيم .

إنهم كانوا أعداءً في الجاهليةِ، فتنزّلت عليهم رحمة الله فأزالت أحقادهم و غسلت قلوبهم إنّها الرسالة العظمى من الله – عزَّ وجلّ – إلى نبيه الأكرم محمّد رسول الله ﷺ.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[النِّسَاء: ٥٩].

(*1) وَ ارْتَدَيْتَ : أي لبست.

بهذه الرسالة السماوية، و الهدي الرباني، تآلفت القلوبُ و الأرواحُ، وأشع منها نورٌ قَادَها إلى الاطمئنانِ بعقيدةٍ واحدةٍ، و جعَل كُلَّ المؤمنين إخوةً. هذه الرسالة السماوية الّتي بَهَرَتِ الأبصارَ ، و العقولَ، و محتِ الأحقادَ، و الظلمات ، و بيَّنتِ الصراطَ المستقيمَ، و طوت ظلماتِ الجاهلية بما فيها من شّر ،و بدأ المسلمون صفحةً جديدةً "مُشْرِقَةً" تجمعهم عليها شهادة:أن لا إله إلا الله محمّد رسول الله ﷺ ، ...ومن كلام جعفر بن أبي طالب عندما سأله النجاشي ما جاء بكم فقال له " كنّا قومًا أهل جاهلية، نعبدُ الأصنام ، ونأكلُ الميتة، ونأتي الفواحش ، ونقطعُ الأرحام ، ونُسِيءُ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنّا على ذاك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبهُ وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وَأَمَرَنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة، وصلة الرحم ، وحُسن الجوار ، والكفّ عن المحارم والدماء، و نهانا عن الفواحشِ ، وقولِ الزور ، وأكلِ مال اليتيم ، وقذفِ المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله تعالى وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .

(قالت أم سلمة : فعدَّد عليه أمور الإسلام) فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من عند الله ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً ، وحرَّمنا ما حَرَّم الله علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا وفتنُونَا على ديننا ؛ ليردُّونا من عبادة الله إلى عبادة الأوثان ، وأن نستحلَّ ماكنَّا نستحلُّ من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيَّقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على مَنْ سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألا نُظلم عندك أيها الملك .

قالت : فقال له النجاشي :هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟

قالت : قال له جعفر : نعم . فقال له النجاشي : فاقرأه عليَّ. قالت : فقرأ عليه صدراً من

﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾[1] – سورة مريم –،قالت : فبكى النجاشيُّ حتى اخضلَّت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم،حين سمعوا ماتلا * عليهم.ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة . انطلقا ، فلا والله لاأسلمهم إليكما أبدًا ولا يُكادون ..."[2].

❊ ❊ ❊

(1) سورة مريم : الآية :(1).

(2) من كلام الصحابي الجليل : جعفر بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عندما سألهم النجاشيُّ ، فقال لهم : ماهذا الدينُ الذي فارقتم فيه قومكم ،ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من أهل هذه الملل ؟،وللاستزادة انظر : قصص التابعين حياة النجاشي (أصحمة بن أبجر)،(ص76،77 الشيخ مَحْمُودٌ المصْرِي أبو عمار).

* حين سمعوا ما تلا عليهم أو ما تُلِيَ عليهم : أي ما تلاه عليهم جعفر بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

الإصلاح بين الناسِ

الحمدُ لله الذي رغبنا في الإصلاح بين المتخاصمين،و القضاء على كلّ نزاعٍ بين طائفتين، و وعدَنَا على ذلك خيره العظيم،وفيْضه العميم : في كتابه الكريم .....

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [البَقَرَة: ١٨٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(*1)، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾(2)

... يرشدُنا اللهُ تبارك و تعالى في هذه الآيات الكريمة إلى الأمور الّتي فيها الخير للمجتمع، وبيّن فيها أنَّ كثيرًا من كلام النّاس لا خير فيه، بل الصَّمت فيه أفضل و أكرم من الخوض في المحرمات كاللّغو و الكذب و الغيبة و البُهتان، و استثنى سبحانه أمورًا كبذل الصدقة، أو الأمر بالمعروف الذي يشملُ كلَّ خيرٍ أمرَ الله تعالى به،أو قَوْل كلمةٍ تزيلُ الخلافَ بين المتخاصمين، فإنَّ ذلك كلّه يؤتي أكله بإذن ربِّه ثمارًا يانعةً و لو بعد حين، لما أوقفه من شجار و مشاحنةٍ، و لِـمَـا غرسه فيهم من محبةٍ ومسامحةٍ.

إنَّ السَّاعيَ في الصّلح بين النّاس سامِي النَّفسِ، عذب الروح كريم الخلق محبوبٌ عند الله و عند النّاسِ، و أمَّا السُّنةُ فقد جاءَ في حديث أَبِي الدَّرْدَاء -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَ الصَّلاَةِ وَ الصَّدَقَةِ ؟» ، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : « إِصْلاَحُ ذَاتِ البَيْنِ ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ ، لاَ أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ ،

(*1) [النِّسَاء: ١١٤] * ﴿ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ ﴾ : أي ما يتناجون به و يتحدثون به.

(2) [الأنفال : ١]... الآيات في ذلك : [البَقَرَة: ٢٢٠]-[البَقَرَة: ٢٢٤]-[النِّسَاء: ٣٥]-[النِّسَاء: ١٢٨، ١٢٩، ١٣٥]-[المَائِدَة: ٨]-[ص: ٢١ – ٢٩]-[الشُّورَىٰ: ٤٠]...

وَ لَكِنْ تَخْلِقُ الدِّينَ» [1]،لأنَّ الدينَ هو توحيدُ الله و طاعتُه ، و المعاملةُ الحسنةُ و المعاشرةُ الطيبةُ مع خلقِهِ جميع خلق الله إنسان و حيوان و أشجار و قد أمر اللهُ سبحانه و تعالى بالإصلاحِ بين المؤمنين في آيات كثيرة منها قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحُجُرَات: ١٠].

فالمؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضاً ،فإذا حصلَ بينهم خلافٌ ينبغي على العقلاءِ الكيّسين أن يصلحوا بين إخوانهم قبلَ أنْ ينهارَ هذا البنيان، و في حديث آخر لرسول الله ﷺ بيّن فيه بعض أوجه الخيرات،و مجالات كثيرة لكسب الحسنات،و خاصة إصلاح ذات البين.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ؛ تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَ بِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ ، وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ »[2]، و معنى« تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ » أي : تُصْلِحُ بَيْنَهُمَا بِالعدل.

وانظر لأهمية الصلح في الحديث الذي زاده مسلم في روايته ،حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ،عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ،عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ،عَنْ أُمِّهِ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ أَنَّهَا قَالَتْ :« رخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْكَذِبِ فِي ثَلَاثٍ : فِي الْحَرْبِ ،وَفِي الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، وَقَوْلِ الرَّجُلِ لِامْرَأَتِهِ»[3]،وَ عَنها أيضًا ،أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: « لَيْسَ الْكَذَّابُ

---

(1) أخرجه أبو داود في : 35 - كِتَابِ الأَدَبِ : 57 - بَاب الإِصْلاَحِ ذَاتِ الْبَيْنِ .[رقم (4919) ، أحمد (6/ 444:27578)، و التِّرْمِذِيّ (2509)،تاريخ دمشق : (13/ 373:3316)]. وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ : « هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ».

* «وَتُمِيطُ» : أي تزيل «الأَذَى» : أي ما يؤذي من حجر و شوك من الطريق.

(2) (صحيح) : أخرجه مسلم في : 12 - كتاب الزَّكَاةِ : 16 - بَاب بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ . [رقم (1009)، البخاري (2707)، طرفاه في (2891)، (2989)].

(3) [(أحمد 6 / 404:27347)]،وانظر : [«السلسلة الصحيحة»(545)] باب الأدب و الاستئذان.

الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، [فَيَنْمِي*خَيْرًا ،أَوْ يَقُولُ خَيْرًا] »[1].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ»[2].وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُ، وَ يَنْظُرَ إِلَيْهِ نَظْرَةَ الرَّحْمَةِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُزِيلَ الشَّحْنَاءَ وَ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ إِخْوَتِهِ. فعَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :« تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَ اثْنَيْنِ ، فَيَغْفِرُ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِكُلِّ امْرِئٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً، إِلَّا امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ ، فَيُقَالُ : اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا.اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»[3]، وَقَالَ ﷺ:«لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ،يَلْتَقِيَانِ فَيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»[4].

وَ وَاجِبُنَا الْعَمَلِيّ كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:" فَالصُّلْحُ الْجَائِزُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ هُوَ الَّذِي يُعْتَمَدُ فِيهِ رِضَا اللهِ سُبْحَانَهُ، وَرِضَا الْخَصْمَيْنِ على بعضهما ؛فَهَذَا أَعْدَلُ الصُّلْحِ وَأَحَقُّهُ، وَهُوَ يَعْتَمِدُ الْعِلْمَ وَالْعَدْلَ ؛ فَيَكُونُ الْمُصْلِحُ عَالِماً بِالْوَقَائِعِ، عَارِفًا بِالْوَاجِبِ، قَاصِداً لِلْعَدْلِ، فَدَرَجَةُ هَذَا أَفْضَلُ مِنْ دَرَجَةِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ"[5]:

---

* ينمي خيرًا أي بلّغ خبرًا فيه خير.

(1)(صحيح ،متفق عليه) : أخرجه البخاري في:53 – كتاب الصلح: 34 –بَاب لَيْسَ الْكَاذِبُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ.[رقم(2692)، مسلم (2605)،و أحمد (6/ 403:27341)، التِّرْمِذِيّ (1946)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 558 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب البرِّ والصِّلة والآدابِ ، باب تَحْرِيمِ الكَذِبِ وَبَيَانِ مَا يُبَاحُ مِنْهُ] .

(2) [(قال في مجمع الزوائد (8/ 80) رواه الطبراني و البزار وعبد الله بن حميد (1/ 135) والحديث حسن، انظر الترغيب والترهيب 3/ 321)]، و انظر : في باب الأخلاق و البر و الصلة .

(3) (صحيح): أخرجه مسلم في : 45 – كِتَاب الْبِرِّ وَ الصِّلَةِ وَ الآدَابِ : 11 –بَاب النَّهْيِ عَنِ الشَّحْنَاءِ وَ التَّهَاجُرِ . [رقم 36 –(2565)، أبو داود (4916)].

(4) (صحيح) : أخرجه البخاري من حديث أبي أيُّوب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في : 79 – كِتَابُ الاسْتِئْذَانِ : 9 –بَابُ السَّلَامِ لِلْمَعْرِفَةِ وَ غَيْرِ الْمَعْرِفَةِ . [رقم (6237)، مسلم (2560)، و النووي (16/ 91،92)] .

(5) إِعْلَامُ الْمُوَقِّعِينَ/ فصل [الصلح بين المسلمين]ج 1 / ص: 84، 85 .

- إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَ وُدُّهَـا ❊❊❊ عِنْدَ الْأَكَارِمِ جَبْرُهَا لَا يَـعْسُرُ

- إِنَّ الـمَكَارِمَ كُلَّهَا لَوْ حُصِّلَتْ ❊❊❊ رَجَعَتْ بِجُـمْلَتِهَا إِلَى شَيْـئَيْنِ

تَعْظِيمُ أَمْرِ الله جَلَّ جَلَالُـهُ ❊❊❊ **وَالسَّعْيُ فِي إِصْلَاحِ** ذَاتِ الْبَيْنِ [1*].

يَعْنِي إِذَا اهْتَزَّتِ الْبَوَاطِنُ وَخدَشَتِ الـمَشَاعِرَ [2*] فَلَا شَيْءَ لِدَوَائِهَا وَتَلْيِينِهَا إِلَّا بِالصُّلْحِ وَالـمُسَامَحَةِ، وَتَرْكِ بَعْضِ الـحُقُوقِ والتَّنَازُلِ عَنْهَا ،لِأَنَّهُ كَمَا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « اِسْمَحْ يُسْمَحْ لَكَ » [3]. وقيل «اُتْرُكْ شَيْئًا يُعْطِكَ اللهُ أَشْيَاءَ» [4].وَ اغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ – اللَّهُمَّ اهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ وَ اهْدِ بنَا لِطَرِيقِ خَيْرِ الْأَنَامِ سيّدنا محمّد المبعوث رحمة للعالمين و القائل «أنا الرّحمة المهداة » صلّى الله و سلّم عليه و على آله و أصحابه و المهتدين بهديه العاملين بسنّته و المتخلّقين بأخلاقه ءامين.

❊ ❊ ❊

(1*) و للمبادرة في الإصلاح انظر: صفحات الإصلاح بين الناس يتناول ما يأتي من هذا الكتاب ،(البحر الكامل).

(2*) وَ خَدَشَتِ الـمَشَاعِرَ أي : غَيَّرَتِ الْقُلُوبَ .

(3) أحمد (1/ 248) واللفظ له ، وقال الشيخ أحمد شاكر (4/ 54) : إسناده صحيح ، والسيوطي في الجامع الصغير (1037) ونسبه للطبراني و البيهقي في الشعب .وانظر :[«السلسلة الصحيحة »(1456)]باب الأخلاق والبر والصلة .

(4) للاستزادة انظر : صيد الخاطر للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، فصل [من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه] (ص : 152 د . عبد الحميد هنداوي) ، المكتبة العصريّة : صَيْدا – بيروت ، عام 1435هـ – 2014 م .

الفَصْلُ الثاني :

أضرارُ الغضبِ أشدُّ خطرًا من أسبابه

الفصل الثاني : أضرارُ الغضبِ أشدُّ خطرًا من أسبابه

الغضبُ بركانٌ هائجٌ ثائرٌ، يدمِّر الفكرَ ويشوِّشُ العقلَ الحائر ،ويُطفئُ نورَ الأبصارِ والبصائرِ، فإيَّاك إيَّاك ...أن تنساقَ لهذا العدوِّ الماكر ،فإنَّه قد يدمِّرُ الوجودَ ويسوّدُ المصائرَ.

المبحث الأوّل : تأثير الغضب على القلب

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البَقَرَة: ١٩٥] (1*)، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النّساء: ٢٩].

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ،أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهﷺ يَقُولُ: « إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا ،فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ، جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا ، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ، فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا» (2)،وَ عَنْهُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ،أَنَّ رَسُولَ اللهﷺ قَالَ : «إنما أنا لكم مِثْلُ الوالد،

(1*)الآيات في ذلك : [النِّسَاء: ٢٨ -٣١]-[الأعْرَاف:١٥٧]-[الأنْفَال: ٢٤]-[الحَشْر: ٧]... والإلقاء باليد إلى التهلكة يرجع إلى أمورٍ كثيرةٍ منها عدم الائتمار بأوامر الله ورسوله ﷺوعدم الانتهاء عن النواهي أيضًا يؤدي إلى التهلكة، فقد أمر الرسول ﷺ في كثير من الأحاديث بتجنب الغضب ، لأن الغضب يؤدي إلى التهلكة التي لا تحمد عقباها ،فسلامة القلب والبدن لا يقومان إلاّ على سَاقَيْ العفو والصفح ،فالصفح للقلب كالروح للبدن، ولا يكون قلب سليماً ومنيباً إلا باتباع أوامر الله -عزّ وجلّ -، وقد أمرنا الله في آيات كثيرة بالعفو والصفح ،وأمرنا النّبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ - بتجنب الغضب فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللهﷺ يَقُولُ:« مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ » [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ رقم: (7288)، وَمُسْلِمٌ (1337)].

شرح المفردات: * اجْتَنِبُوهُ : اُتْرُكُوهُ وَدَعُوهُ .

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:81-كتاب الرقائق: 26-بَابُ الاِنْتِهَاءِ عَنِ الـمَعَاصِي .[رقم(6483)، مسلم (2284)، و أحمد (2/ 244:7353)، و التِّرْمِذِيّ (2874)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 484، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب الفضائل ، باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم] .

أُعَلِّمُكُمْ...» [1] الْـحَدِيثَ.

وَ قَالَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لِابْنِهِ :« شَاوِرْ مَنْ جَرَّبَ الْأُمُورَ؛فَإِنَّهُ يُعْطِيكَ مِنْ رَأْيِهِ مَا قَامَ عَلَيْهِ بِالْغَلَاءِ، وَأَنْتَ تَأْخُذُهُ مَجَّانًا»[2]، وَقَالَ أَيْضًا فِي وَصِيَّتِهِ لِوَلَدِهِ «يَا بُنَيَّ: عَلَيْكَ بِذَوِي التَّجَارِبِ ؛ لِأَنَّ مَنْ جَرَّبَ قَدْ دَخَلَ فِي الْـمَخَاضَةِ ، وَعَرَفَهَا ، وَعَرَفَ مَوْضِعَ السَّلَامَةِ فِيهَا ، وَمَوْضِعَ الْعَطَبِ فَعَلِمَ مَا يَتَجَنَّبُ مِنْهَا ، وَمَا يَحْذَرُ ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يفْعَلَ ، وَمَا يُسْتَعَانُ بِهِ»: [3]

" أَلَـمْ تَرَ أَنَّ الْعَقْلَ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ ** وَلَكِنْ تَمَامُ الْعَقْلِ طُولُ التَّجَارِبِ "[4].

آثار الغضب على جسم الإنسان

...إنَّ أسبابَ الغضبِ قد تكونُ كلمةً، أو عشرَ كلماتٍ ،و لكنَّ الضَّررَ أكثرُ بكثيرٍ مِمَّا نتصوَّرُهُ.

" وتأثيرُ الغضبِ على القلبِ ليسَ بارتفاعِ الضَّغطِ فقط، وإنَّما وضَّح كثيرٌ من العلماءِ أنّه خلالَ الغضبِ تَرْتفعُ هرموناتُ الكيتوكولامين و النورايبينفرين أكثر من الايبينيفرين (بعكس حالة الخوف) إلى أكثرِ من أربعةِ أضعافِ المستوى الطّبيعي في الدَّمِ، وكلا هذين الهرمونين يؤذي عضلةَ القلبِ على المدى القصيرِ والطّويلِ ،و يؤدِّي إلى ترسّب الكولسترول على جدرانِ الشَّرايين ،كما أنَّ الإنسانَ عندما يغضبُ تتقلَّصُ الأوعيةُ الدَّمويَّةُ فِي بِطَانة المعدةِ وَيقلُّ إفرازُ العصير الهاضِم ممَّا يؤدِّي إلى فقدانِ الشَّهيَّة للطَّعامِ.

أمَّا عن أضرارِ التَّوتُّرِ العصبيِّ على المعدةِ ،فتتمثَّلُ فِي :ازديادِ الأحماضِ إلى حدٍّ كبيرٍ بِالغشاءِ المخاطيِّ الذِي يحمِي المعدةَ من الأحماضِ ،وتصبحُ غيرَ قادرةٍ على القيامِ بوظيفتِها

(1)[أحمد (2/ 250: 7441..) ، أبو داود (8)،النسائي(40)،وابن ماجه(312)] .

(2) أدب الدّنيا والدّين: 263، وانظر : وصايا لقمان و حكمه(ص : 116 أحمد بن عاشور) .

(3) ربيع الأبرار للزمخشري، المدخل : 3/ 251 ، وانظر : وصايا لقمان و حكمه(ص : 158 أحمد بن عاشور) .

(4) أَدَبُ الدّنْيَا وَ الدِّين : 12، (البحر الطّويل).

فتحدثُ بعضُ القرحِ بالمعدةِ وفي الإثني عشري، و من هنا تزداد حالاتُ الإصابةِ بـ :

(القرحة المعديّة و مرض القولون العصبي أيّ تهيُّج الأمعاء).

وأمَّا عَن أضرارِ مرضِ السُّكَّريِّ ، و الشّلل ،أيّ الفقدان الكُلِّيّ لوظائف مجموعة عضليّة أوْ أكثر، و الغُدد هي : أكياس تتكوّن على مستوى الغدّة الدّرقيّة).

وَ وجدَتْ عِدّةُ دراساتٍ ذَات علاقة مباشرة بين قياسِ شدَّةِ الغضبِ و العدْوانيّة ، و بين شدَّةِ الإصابةِ بهذه الأمراض .وأثبتت الدِّراساتُ بأنَّ الإنسانَ السَّرِيعَ الغضبِ أكثرُ عُرْضَةً للموتِ بنوبةٍ قلبيَّةٍ بثلاثِ مراتٍ من الإنسان الهادئ ."[1]

إنَّ صاحبَ العفوِ و الصَّفحِ يعرفُ أضرارَ الغضبِ قبلَ وقوعِها و يحذرُهَا .

وصَاحبُ الانتقامِ يعرفُ أضرارَ الغضبِ بعد وقوعِها وَ يقعُ فِيهَـــا .

فالعفوُ و الصّفحُ و الابتعادُ عن الغضبِ أيسرُ من الصَّبرِ على ألـم ما بعد الغضبِ.

العفوُ و الصَّفحُ و الابتعادُ عن الغضبِ هو الصَّبر الوقائـي .

الصّبرُ على ألـمٍ بعد الغضـــب هو الصَّبر العلاجـي .

و الوقايةُ خيرُ من العلاجِ، فالجسدُ يتأثّرُ بالحالة النفسية ، وَهِي بدورِهَا تَتَأَثّر به ،وهذا أمرٌ مفروغٌ منه لذلك ينبغي على الإنسانِ أن يُعوِّدَ نفسَه على ألّا ينساقَ وراءَ غضَبِه لأتفهِ الأسباب، ويحاولَ أَنْ يكونَ هادئا قدرَ الإمكانِ.

من المستحيلِ أن يُزْعِجَكَ شخصٌ أو يؤثِّرَ على حالتِكَ النفسيَّةِ سلبًا إذا لم تسمحْ له أنتَ بهَذَا ، وهذا يفسِّرُ قدرةَ الإنسانِ في المحافظة على حالتِه النّفسيّةِ الإيجابيّةِ .

(1) د /مأمون مبيض – أخصائي في الطب النفسي ومحاضر في جامعة المملكة في بلفاست – المملكة المتحدة. انظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا : للصحة والذكاء العاطفي للدكتور مأمون مبيض.

إنَّ الإنسانَ إذا زادَ غضبُه تأجَّجتْ نَارُه، فكما يُوجدُ البركانُ الباطِنيُّ للأرضِ كذلك يوجد البركانُ الباطنيُّ للإنسانِ و هوَ الغضبُ.

وَقَدْ قِيلَ فِي مَنْثُور الْحِكَمِ : « إيَّاك و شدَّة الغضب ، فإنَّ شدَّة الغضب ممحقة لفؤاد الحكيم»[1].

و هناك كِنَاية شائِعَة عن الغضبِ في المجال الفيزيولوجي وهي أنَّهُ :(سائل ساخن في وعاء)

و هناك أدلَّة كافية على أن أعراض القلق و اشتعال نيران الغضب و البركان الباطني يظهر بعينه في وجه الإنسان الْقَلِقِ.

الـمبحث الثانـــــي : تأثير القلب على ملامح الوجه:

وأستهلُّ هذه الفقرة بقِصَّة وهي : أنَّ رجلين كانا يعبران الشّارعَ ،وكانت امرأةٌ عجوزٌ تعبرهُ كذلك ،فوقعت أثناءَ عبورِها الطّريقَ فجرىٰ أحدُ الرَّجلين مسرعًا نحو العجوزِ فحملَها وعبر بها الطّريق ...و واصَلا مشيهما وعندما وصلا إلى مكان فيه ضوءٌ نظرَ الرجل الذي حمل العجوزَ إلى الذي لم يجر ليساعد السيّدة – أي معارض لحمل العجوز – ، فوجد لونَ وجهه تغيَّر وكأنّه قِطَعٌ من الليل الـمُظلمِ فأوجس منه خيفةً .

فقال له : يبدو أنَّك ملدوغ من عقرب فأنت بحاجة إلى طبيب.

فقال الذي تغيّر لونه من شدّة غضبه كيف حملت العجوز ونحن لا يحقّ لنا لَمس النِّساء؟

ما الذي جعلك تحملها على عاتقك؟

فردَّ عليه صاحبهُ وقال له :أمَّا أنا فقد أنزلتها بالفعل منذ ساعات وأمَّا أنت فمازلت تحملها ،

فوقع شجارٌ بينهما فجاء رجلٌ يصلحُ بينهما فقصَّا عليه القصَّةَ .

فقال لهما:قال لِلَّذي حملها على ظهره:أمَّا أنت فَحملتها على عاتقك دقائق و وضعتها.

(1) البداية و النهاية : 2/ 152،وانظر: وصايا لقمان و حكمه (ص: 156،157 أحمد بن عاشور).

و أمَّا أنت – الآخر – فحملتَهَا في قلبِك وبداخلك وإنَّها تبدو بأكملها في صفحات وجهك، ولا بدّ أن تضع هذا ...الحِمْلَ ...الثَّقيل الذي ينخر داخلتك.

... إنَّ القلبَ يتأثّرُ من الغضبِ، و الوجهُ يتأثّرُ لتأثُّرِ القلبِ، وهو بدورِهِ يدورُ مداره، لذلك وجب على الإنسانِ أَنْ يُثْلِجَ قلبَه ليزدادَ جمالُه لأنَّ جمالَ العلانيّةِ مِنْ جمـال السّـريـرةِ ،وهي (المُضْغَة)، وذلك أن القلبَ إذا سُرَّ استنارَ به الوجهُ، فقد قال -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ- :«.....أَلاَ وَ إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَ إِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ : أَلاَ وَ هِيَ الْقَلْبُ»[1].

عن خالد الرَّبعي، قال: كان لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- عبدًا حبشيًّا نجَّارًا، فقال له مولاه: اذبح لنا هذه الشاة، فذبحها، قال: أَخرِج لنا أطيب مضغتين فيها، فأخرج اللسان والقلب، ثم مكث ما شاء الله، ثم قال: اذبح لنا هذه الشاة، فذبحها، فقال: أخرج لنا أَخْبَثَ مضغتين فيها، فأخرج اللسان والقلب، فقال له مولاه: أمرتك أن تخرج لنا أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما، وأمرتك أن تخرج لنا أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما، فقال له لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- : « إِنَّه ليس شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خَبُثَا»[2].

المبحث الثالث :وصايا ذهبيّة لإطفاء نار الغضب

عندما تهبُّ نيرانُ الغضبِ في الإنسانِ، يجبُ عليه أن يتوضَّأَ بالماءِ قبل فوات الأوان، كما قال معلمُنا وحبيبُنا و شفيعُنا و طبيبُنا الَّذي يفكّرُ في سلامتِنا محمّدٌ النبيّ ولد عدنان ، عليه أفضل الصّلاة و أزكى السَّلَامِ :« إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ

(1) (صحيح): أخرجه مسلم من حديث أبي عَبْدِ الله النُّعْمَان بن بشير -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- في : 22 – كِتَاب الْـمُسَاقَاةِ : 20 – بَاب أَخْذِ الْـحَلاَلِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ. [رقم (1599)، الْبُخَارِيّ(52) – طرفه : (2051)،و أحمد (4/ 270: 18402)،أبو داود(3984)].

(2) الزهد لأحمد بن حنبل، وتفسير الطبري، والمصنف لابن أبي شيبة،و ذكره في البداية و النهاية:2/ 151، وانظر : وصايا لقمان و حكمه (ص: 106، 107 أحمد بن عاشور).

النَّارِ،وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ»[1]. لأنَّ أخطر الأمراض تأتي من الغضب.

... فكأنَّه ﷺ يبيِّنُ لنا كيف نتجنّبُ ضغطَ الدَّمِ، واضطرابَ القلبِ، وقرحةَ المعدةِ ، وغيرَها من الأمراض الّتِي هي وليدةُ ارتفاعِ ضغطِ الدَّمِ، و الذي هو وليدُ الغضبِ النَاتِجِ عَنِ الضَّجِيجِ والصِّراعِ غير الواعي في العقلِ الباطنيِّ، اللذيْن هما وليدا عدم الصَّفحِ و لو كان الصّفح ما هاجَتْ براكين النّفس[2*].

فإذا اشتعَلتْ نيرانُ و براكينُ الغضبِ أحرقَتِ العقلَ و طمست نورَه، و إذا حضَرَ الغضبُ غابَ العقلُ، و إذا دخلَ الغضبُ خرجَ العقلُ من الإنسانِ، ونزلَ إلى مرتبةِ الحيوانِ، وأصبحَ تحتَ تأثيرِ الثَّورةِ و الهَيَجَانِ، فإذا حضرَ الغضب فَلاَ ينبغي للغاضبِ أن يتكلَّمَ، و لا يجوز للغاضب أنْ يسوقَ السَّيَّارةَ، و لا ينبغي للغاضب أن يتصرَّف في أمرٍ مَّا لأنه بدون عقلٍ.

و أيضًا لا يجوزُ أن يُبْرِمَ أيَّ عقدٍ من العقودِ ، أو صفقةٍ من الصَّفقاتِ حتىٰ يصرِّح و يقول (و أنا في كامل قواي العقليّة)، و لا ينبغي للغاضب أن يمارسَ في حالة غضبِه الأعمال الخطيرةِ ، مثل النجارة و التلحيم ...،كما لا يحكم الحاكم في حال غضبه. عن أَبِي بَكْرَةَ : أَنَّهُ كَتَبَ إِلَىٰ ابْنِهِ ، وَكَانَ بِسِجِسْتَانَ، بِأَنْ لَا تَقْضِيَ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَأَنْتَ غَضْبَانُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « لَا يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ »[3]؛ وهناك مقياس للصِّحة النفسيَّة

---

(1) أخرجه أبو داود في: 35 - كِتَابِ الأَدَبِ : 4 - بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ الغَضَبِ . [رقم (4784)، إسناده ضعيف . أحمد(4/ 226 :18007)].
... عندما تهبُّ أو تندلع نيرانُ الغضبِ في الإنسانِ ...

(2*) للاستزادة انظر :(الفصل الرابع : التسامح حياة)من هذا الكتاب الذي بين يديك.

(3)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في: 93 -كتاب الأحكام : 13 - بَاب هَلْ يَقْضِي الْقَاضِي أَوْ يُفْتِي وَهُوَ غَضْبَانُ؟ [رقم(7158)، مسلم (1717)، أبو داود (3589)، و النسائي (5406)، و ابن ماجه (2316)، و أحمد (5/ 36 :20401..)، و التِّرْمِذِيّ (1334)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 358 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان].

لقياس الخوف، و عدم التّكافؤِ و الاكتئاب و العصبيَّة،و القلق و ارتفاع ضغط الدَّم ، و الارتعاش، و السيكوسوماتيَّة، والاضطرابات الحشويّة، و الحساسية و الشّك [1].

و هناك مقياس الاستبيان*النَّفسي، و استفتاء مشكلات الشّباب، و اختبار مفهوم الذّات و اختبار التَّوافق الشّخصي و الاجتماعي، و اختبار الشّخصيَّة المتعدِّدة الأوجه، و اختبار الشَّخصيَّة السَّويَّة ، و اختبار التّشخيص النَّفسي [2]، هذا ما وصل إليه العلم الحديث لكبحِ جماح الغضب.

... و من أسباب الطّلاقِ كذلك الغضبُ لأنَّ الإنسانَ في حالة الغضبِ يفقدُ عقلَه، و كذلك النِّزاعات ،و حتّى الجرائم الكبرى تأتي من الغضب (مثال من الواقع: رجلٌ قتلَ أبَاهُ في حالةِ غضبٍ. هناك سرٌّ ، أنبهكم إليه ،هو أنَّ الغضب تأشيرة ومدخل للشَّيطان في الإنسان كما قال ﷺ في معنى الحديث يدخل الشَّيطان من ثلاثة أبواب منها: الغضب... فإذا قتل الإنسانُ فإن الشيطانَ هو الذي سَاقَه لأنَّه بدون عقلٍ ، و الشَّيطانُ انتهزَ الفرصةَ فإذا طَلَّقَ الإنسانُ زوجَته بثلاثٍ فإن الشَّيطان هو الذِّي وسوس له ليرتكب هذه الجريمة.

لهذا أوصى النّبيُّ ﷺ ذلك الرجل الذي طلب النُّصحَ والوصيَّةَ فقال له : «لاَ تَغْضَبْ» فردَّد مرارًا «لاَ تَغْضَبْ ».عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي . قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ» ، فَرَدَّدَ مِرَارًا ؛ قَالَ :«لاَ تَغْضَبْ» [3] . وقد أوصانا معلِّمُنا و حبيبُنا خيرُ خلقِ الله محمد رسول الله ﷺ في كثير من الأحاديث بإطفاء نارِ الغضبِ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ

(1) د.حامد عبد السلام زهران ، الصحة النفسية ،مكتبة عالـم الكتب ، الإسكندرية، 1977 ، ط2 ، ص27 .

* الاستبيان النَّفسي :أي الاستِبانة النّفسية .

(2) د. حامد عبد السلام زهران ، ص 27،28.

(3) [رواه البُخَارِي (6116)].

رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لَنَا : «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَ هُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الغَضَبُ، وَ إِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ» [1].

و أن يتعوذ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ كما جاء في سورة [الأعْرَاف] و سورة [المُؤْمِنُون] و سورة [فُصِّلَت] .

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [الأعْرَاف: ١٩٩، ٢٠٠]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾[المُؤْمِنُون: ٩٦ – ٩٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فُصِّلَت: ٣٦].

فهذه ثلاث آيات هي حِصْنٌ منيع يقيك نزغ الشَّيطان وهو أنَّ الله تعالى يأمر بمصانعةِ العدوِّ الإنسي والإحسان إليه ، ليردَّه عنه طبعهُ الطيِّب الأصيل إلى الموالاة والمصافاة ، ويأمر الله بالاستعاذة به من العدوّ الشَّيطاني لا محالة ، إذ لا يقبل مصانعة و لا إحسانًا و لا يبتغي غيرَ هلاك ابن آدم لشدَّة العداوة بينه وبين أبينا آدم من قبلُ.

وقد أقسم للوالد أبينا آدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إنّه لـمن الناصحين له، وكذب، فكيف تكون معاملته لنا وقد قَالَ: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[صٓ : ٨٢ ، ٨٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النَّحْل: ٩٨ – ١٠٠].

(1) أخرجه أبو داود في: 35 – كِتَابِ الأَدَبِ: 4 – بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ الغَضَبِ .[رقم (4782) ، أحمد (5/ 152: 21406) و ذكر في أوله قصة] ، رجاله ثقات و انظر «تهذيب الكمال» : (33/ 235).

وَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَ نَفْخِهِ وَ نَفْثِهِ »[1]؛الْحَدِيثَ.

مَعَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَ الشَّرْحِ (أَيْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ)[2*].

❊ ❊ ❊

(1) رَوَاهُ أَحْمَدُ رقم: [(4/ 85: 16784..)، أبو داود (764)، و ابن ماجه (807)] قَالَ عَمْرو: هَمْزُهُ: الْمَوْتَةَ، وَ نَفْخُه: الْكِبْرُ، وَ نَفْثُهُ: الشِّعْرُ.

(2*) بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله و سلام على عباده الذين اصطفى.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ: «الْقُرْآنُ غِنًى لَا فَقْرَ بَعْدَهُ وَ لَا غِنًى دُونَهُ »[1].

وَ الْقُرْآنُ كِتَابُ اللهِ الْعَظِيمِ أَنْزَلَهُ الرَّبُّ الْعَظِيمُ عَلَى نَبِيِّهِ ذِي الْخُلُقِ الْعَظِيمِ، وَ لَا بُدَّ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ الذِي يَحْمِلُهُ أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي مَعَانِيهِ السَّامِيَةِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ فِي الدَّارَيْنِ، فَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النِّساء: ٨٢]،

وَ يَقُولُ أَيْضًا: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [الأنعَام: ٩٢]، أَيْ مُصَدِّقُ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ كَالتَّوْرَاةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الزَّبُورِ،

وَ يَقُولُ أَحَدُ الْمُهْتَمِّينَ بِالْقُرْآنِ: إِنَّ حَمَلَةَ القرآنِ الْيَوْمَ مِنْهُم مَنْ يَقْرَؤُهُ وَ لَا يفهَمُ مَعَانِيَهُ، وَ مِنْهُمْ من يفهَمُ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ وَ لَا يَعْمَلُ بِهِ، وَ الثَّالِثُ يَعْمَلُ بِهِ وَ بِأَوَامِرِهِ وَ يَنْتَهِي بِنَوَاهِيهِ وَ يُحِلُّ حَلَالَهُ وَ يُحَرِّمُ حَرَامَهُ وَ يَجْعَلُهُ نِبْرَاسَ حَيَاتِهِ حَتَّى يُصْبِحَ إِنْسَانًا قُرْآنِيًا فِي أَقْوَالِهِ وَ أَفْعَالِهِ وَ تَقْرِيرَاتِهِ.

وَ هَذَا هُوَ السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ...

وَ سُئِلَتْ أُمُّنَا عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- عَنْ خُلُقِ الرَّسُولِ ﷺ فَقَالَتْ: « كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ » وَ مَعْنَى هَذَا أَنَّهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، صَارَ مَثَلًا أَعْلَى لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَمْرًا وَ نَهْيًا، سَجِيَّةً لَهُ، وَ خُلُقًا تَطَبَّعَهُ، وَ تَرَكَ طَبْعَهُ الْجِبِلِّيَّ فَمَا أَمَرَهُ الْقُرْآنُ فَعَلَهُ، وَ مَا نَهَاهُ عَنْهُ تَرَكَهُ.

وَ الْوَاجِبُ عَلَى مَنْ لَا يَعْلَمُ الْقُرْآنَ أَنْ يَتَعَلَّمَ تَفْسِيرَهُ، وَ الذِي يَعْلَمُ تَفْسِيرَهُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقِفَ عِنْدَ حُدُودِهِ وَ يَعْمَلَ بِأَوَامِرِهِ وَ يَجْتَنِبَ نَوَاهِيَهُ، حَتَّى لَا يَشْهَدَ الْقُرْآنُ عَلَى تَقْصِيرِهِمْ فِيهِ، وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَجِيءُ الْقُرْآنُ شَافِعًا لِلْعَامِلِينَ بِهِ. وَ يَجِيءُ أَيْضًا مَا حِلٌّ (*) مُصَدِّقٌ يَشْهَدُ عَلَى الْمُتَهَاوِنِينَ بِأَحْكَامِهِ وَ النَّاسِينَ تِلَاوَتَهُ، وَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٣٣]، وَ يَقُول: ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحَدِيد: ٢١].

... « وَ فَضْلُ كَلَامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ »[2].. «سَيِّدُ الكلام القُرآنُ».

.... انْظُرْ صَفَحَاتِ فهرسِ الْمَصَادِرِ وَ المَرَاجِعِ «مُفَسِّرِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ» ..... مِن هَذَا الْكِتَاب.

(1) [رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِي].

(*) مَا حِلٌّ: أَيْ مُطَالِبُهُ عَنْ تَضْيِيعِ حُقُوقِهِ.

(2) [رَوَاهُ الدارِمِي].

الفصل الثالث :

التّسامح وسيلة وغاية

التّسامح وسيلة و غاية

لعلّ من سمات التّسامح أنّه وسيلة وغاية :وسيلة تصل بها إلى قلوب الآخرين ، و غاية تُرضِي بِها ربّ العالمين .

الطّرق التي تجعل خصمك يتهلّل ترحيبًا ، طرق بصريّة سمعيّة و حسيّة وهي:

الطّريقة الأولى :

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾ [لُقۡمَان: ١٨].

عَنْ أَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ : «لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ »[1]،والوجهُ الطّلقُ هو الوجه البشوشُ الذّي يظهرُ السّرورَ عليه .

وممّا قيل من الحكمة : « ما فيك يظهر على فيك ».

وقال الصحابي الجليل عليٌّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: (ما أضمر أحدٌ شيئًا إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه)، وقال أيضا : (من أصلح سريرته أصلح الله علانيته)[2]

وَأَنْشَدَ عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى الـمُؤَدِّبُ :

لَا يَنْكُتُونَ الأَرْضَ - عِنْدَ سُؤَالِـهِمْ *** لِتَطَلُّبِ الحَاجَاتِ - بِالْعِيدَانِ

بَلْ يَبْسُطُونَ وُجُوهَهُمْ فَتَرَى لَـهَـا *** عِنْدَ اللِّقَاءِ كَأَحْسَنِ الأَلْوَانِ[3].

---

*«بِوَجْهٍ طَلْقٍ» : أي متهلل بالبشر و الابتسام ...يَعْنِي ضاحك مستبشر و ذلك لما فيه من إيناس الأخ و دفع الإيحاش عنه و جبر خاطره ، و بذلك يحصل التآلف بين المؤمنين.

(1)أخرجه مسلم في : 45 - كِتَاب الْبِرِّ وَ الصِّلَةِ وَ الآدَابِ : 43 - بَاب اسْتِحْبَابِ طَلاَقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ . [رقم (2626) ، و النووي (16/ 135، 136)،و أحمد (5/ 173: 21575)].

(2) من كلام الصحابي الجليل عليّ بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- (ص : 375 -379 محمد رضا).

(3) المنتقى من مكارم الأخلاق (145)،(البحر الكامل).

طريقة صوريّة بِلُغَةِ الملامح أيّ لُغَة الصُّور، صورةٌ خيرٌ من ألفِ كلمةٍ. لسانُ الحال أصدقُ وأبلغُ من لسانِ المقال . صورةٌ لاَ دَاعِي للتّعبيرِ عَنها، صورةُ المسامِح أَمَامَكُم، و القرارُ عند عقولِكُم (ما من جملة من الرّوح و القلب إلّا و تساويها جملة من البدن و الوجه) .

(فإذا سلمت السَّريرة سلمت العلانيَّة) كما هو مبسوط في حكم وأمثال عبد الرَّحمَن المَجْذُوب: الْقَمْحُ إِيْسَمُّوهُ الرِّبَحْ *** ذَرِّيهُ يَمْشِي غْبَـــارُ

و الْقَلبُ إذا كَانْ مَهْمُومْ *** الوجه يَعْطِيكَ اخْبَارُ[1]

(فالوجه هو مرآة القلب) .....الخ.

رسم الحِلم و الابتسامة على الوجه: ارسمْ ابتسامةً على وجهك و أظهرْهَا لأنّها مِلْكُ يمينك ، و اعترفْ، و اعلمْ أنّك تصادف في المرّة الأولى بعض العناء من التّكلّف و قسر[2*] نفسك على أن تكون مرحًا مسرورًا، فإن فعلت هذا شعرت بالتّحسُّن في شعورك و صحّتك وحِلمك و جمالك، و تشعر بالسّعادة و بهجة الحياة بل و الصِّحة و العافية أيضًا، و يتغيَّر اتجاهك الذِّهني من الاضطراب إلى الاِتّزان و قلبك من القساوة إلى الرِّقّة و التّسامح و الصّفح وأنت مُنْفَتِحٌ مُنْبَسِطٌ مُنْشَرِحٌ وَاسِعُ الصَّدْرِ: «**وسعني قلب عبدي المؤمن**»؛ الحَدِيثَ. و تملك تأشيرة تدخل بها القلوبَ و الأرواح و العقول دون استئذان فروحك تمتزج مع أرواح الخلق، و قلبك يتصافح مع قلوبهم ، حتّى و إن كنت بعيدًا فبحلمك و مودّتك تكونُ قريبًا. "رُبَّ بعيد أقرب من قريب، و قريب أبعد من بعيد"[3].

(1) من كلام الشيخ سيدي عبد الرَّحمَن الـمَجْذوب(ص :144 عَبْدُ الرَّحمَن ربَّاحِي).

(2*) و قسر نفسك أي أقهر نفسك ... و أنت مُنْفَتِحٌ مُنْبَسِطٌ مُنْشَرِحٌ وَاسِعُ الصَّدْرِ ... الانفتاح و الانبساط و الانشراح وسعة الصّدر.

(3) من كلام الصحابي الجليل عليّ بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - (ص : 374 محمد رضا).

أجسادكم متباعدة ، و قلوبكم و أرواحكم متقاربة ، فتقارب القلوب و الأرواح أحسن من تقارب الأشباح .عن ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قال :(قرابة الرَّحم تُقْطَعُ ، ومِنَّةُ النِّعمة تُكْفَرُ ، ولـم يُرَ مثل تقارُبِ القُلُوبِ) .

روىٰ الإمام البخاري – رحمه الله – في صحيحه مـعلقاً جَازِماً بـه عَـنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، قَالَتْ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ،فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ،وَمَا تَنَاكَـرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ »[1]. فتصبح لست قريبًا من أجسادهم و لكن لست بعيدًا من قلوبهم أيضًا "وَ قَالَ بَعْضُ الْـحُكَمَاءِ : الْبَعِيدُ قَرِيبٌ بِمَوَدَّتِهِ ، وَ الْقَرِيبُ بَعِيدٌ بِعَدَاوَتِهِ "[2].

هنا الطريقة الثانية: بلغة الأحاسيس

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [النِّسَاء: ٨٦] ، وَقَـالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[المُؤْمِنُون: ٦٠ ، ٦١].

... و طريقة التّصافح بالأيدي لغة الأحاسيس ، فهذه الطريقة بها تزيل الشّحناء و العداوة بَيْنَكَ و بين إخوانك .لأَنَّهُ كَمَا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :«ما مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلاّ غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أن يَفْتَرِقَا» [3].

أسرعْ.. أسرعْ.. أسرعْ.. أصلحْ ما اختل بينك وبين أخيك في الله فصافحهُ بحرارةٍ و حنانٍ و عطفٍ وابتسامةٍ حتّىٰ تعلُوَ البشاشةُ وجهه و يفيض غِبطةً ،لِتُـمْحىٰ و تزولَ كلُّ عقدةٍ عقدَهَا الشّيطانُ بينكما، فهذا هو التَّحررُ النَّفسيُّ و الشُّعوريُّ، و هذا فيض القلوبِ بالسّلامةِ

---

(1) (صحيح ، متفق عليه) : أخرجه البخاري في : 60 – كِتَاب أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِم السَّلَامُ - : 2 – بَاب الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ؛ من حديث عائشة . [رقم (3336) ، و مسلم (2638) من حديث أبي هريرة ، و أحمد(2/ 295:7970)،تاريخ بغداد (6/ 299:2516..)].

(2) أَدَب الدُّنْيَا و الدِّين : 203.

(3) رواه أبو داود.

و الحنانِ و ذوبانِ النّفوسِ ،و إنّهُ كالماء البارد العذب الطّهور الذِي كلّما ازددْتَ منه شرباً ازددتَ لَهُ طلباً، فترجع القلوب إلى ترابطِهَا و إلى الودِّ و الحنانِ و الأخوَّةِ.فلا ينبغِي أَنْ تنفرَ من أخيكَ، و لا تُعِنِ الشَّيطان عليه، واصرفْ ذَلِكَ إِلَى فَتَرَاتِ النُّفُوسِ وَ اسْتِرَاحَاتِ الْـخَوَاطِرِ ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَتَغَيَّرُ عَنْ مُرَاعَاةِ نَفْسِهِ الَّتِي هِيَ أَخَصُّ النُّفُوسِ بِهِ، وَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ عَدَاوَةٍ ، و لكن يبدو أنهُ من المصادر المتنوِّعة؛ من الضّغوط الخارجيّة بما فيها ضغوط العمل و الضّغوط العائليّة ، و ضغوط تربية الأولاد و هذه الأحداث اليوميّة. فالْتَمِسْ لأخيك سبعين عذراً، قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ و السَّلَامُ - :« كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ ،وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ» (1).

ولو أنّ البشرَ لاَ يخطئُونَ لكانوا غَير بشر، و لكنّهم بشرٌ.

فلو أنّ البشرَ لا يخطئون لكانوا ملائكةً معصومين، و لكنَّهم بشرٌ، رُكِّبَ فيهم الخطإِ و الصّواب، و رُكِّب الملائكة -عَلَيْهِمْ السَّلَامُ- الذين ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التَّحْرِيم: ٦]، على الصّواب فقط .فهم معصومون من الخطإِ.

فينبغي النَّظرُ إلى خلقِ الله بِعيـنِ الرّحمةِ و الإخاءِ و المودّةِ و الإحســانِ لا بعينِ القصاصِ(*2). و ينبغي التماسُ الأعذارِ، فسامحوا ذَوِي الهفواتِ و اعلمُوا أَنَّ لكلِّ شخصٍ عثرات ، والتمسُوا لبعضكم الأعذارَ مهما كانت ولو واهيَّة ، وَمَهْمَا اعْتَذَرَ إِلَيْكَ أَخُوكَ كَاذِبًا

---

* وَلَكِنَّهُمْ بَشَرٌ يُخْطِئُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ وَيُصِيبُونَ فَيَحْمَدُونَ...

(1)أخرجه التِّرْمِذِيّ من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فِي :35 – كِتَابُ صِفَةِ القِيامَة و الرقائق و الورع :114 – باب في رؤية الذنوب و التوبة. [رقم (2499)، وَ قَالَ :« هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ مَسْعَدَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ »، ابن ماجه (4251) ، و الدارمي (2769)].

(2*) قال الإمام مالك في الموطأ : أنه بلغه أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- كَانَ يَقُولُ : «لاَ تُكْثِرُوا الْكَلاَمَ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله ، فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَ بَعِيدٌ مِنَ الله ،وَلَكِنْ لاَ تَعْلَمُونَ. وَلاَ تَنْظُرُوا فِي ذُنُوبِ النَّاسِ كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ ،وَ انْظُرُوا فِي ذُنُوبِكُمْ كَأَنَّكُمْ عَبِيدٌ ، فَإِنَّمَا النَّاسُ مُبْتَلًى=

كَانَ أَوْ صَادِقًا فَا قْبَلْ عُذْرَهُ . قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمَ -: « مَنِ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ أَخُوهُ فَلَمْ يَقْبَلْ عُذْرَهُ فَعَلَيْهِ مِثْلُ إِثْمِ صَاحِبِ الـمَكْسِ »[1].

- فَيَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَرْضِيَ قَلْبَكَ بِنَفْسِكَ نِيَابَةً عَنْ أَخِيكَ ، وَ تَتَصَوَّرَ تَـمْهِيدَ عُذْرٍ فِيهِ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ فَهُوَ وَاجِبٌ بِحَقِّ الأُخُوَّةِ ، وَقُلْ : لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا لاَ أَعْلَمُهُ : وَمِنَ الأَعْذَارِ مَالَا يُذْكَرُ ؟! فَقَدْ قِيلَ : " يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَنْبِطَ لِزَلَّةِ أَخِيكَ سَبْعِينَ عُذْرًا - أَي: تَلْتَمِسَ لأَخِيكَ سَبْعِيْنَ عُذْرًا - فَإِنْ لَـمْ يَقْبَلْهُ قَلْبُكَ فَرُدَّ اللَّوْمَ عَلَى نَفْسِكَ ، فتقول لِقَلْبِكَ : مَا أَقْسَاكَ يَعْتَذِرُ إِلَيْكَ أَخُوكَ سَبْعين عُذْرًا فلا تقبله، فَأَنْتَ الْـمَعِيبُ لَا أَخُوكَ "[2].

وواجِبُنَا العمليّ نظَّمه لنا الإمام الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بقوله :

اِقْبَـلْ مَعَاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَـذِرَا *** إِنْ بَرَّ عِنْدَكَ فِيمَا قَالَ أَوْ فَجَـرَا

لَقَدْ أَطَاعَكَ مَنْ يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ *** وَ قَدْ أَجَلَّكَ مَنْ يَعْصِيكَ مُسْتَتِرَا[3]

و قال :

قِيلَ لِي قَدْ أَسَـا عَلَيْكَ فُـــلَانُ *** وَمُقَـامُ الفَتَى عَلَى الـذُّلِّ عَـارُ

= وَمُعَافًى، فَارْحَمُوا أَهْلَ الْبَلاَءِ، وَاحْمَدُوا اللهَ عَلَى الْعَافِيَةِ ». أخرجه الإمام مالك في : 56 -كتاب الْكَلَامِ: 3 -بَاب مَا يُكْرَهُ مِنَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله. [رقم(8)،و البيهقي في «شعب الإيمان»(4/ 263)،وابن عساكر في«تاريخه»(5/ 309) من طرق عن مالك به]،وانظر : [«الضعيفة»(908)].

..." جاء رجل يسمى ابن الكواء واقترب من الربيع بن خثيم فحياه وقال باسماً : مانراك تعيب أحدًا أو تذمّه ؟ فقال وقد اتسمت عليه علامات الغضب : ويلك يا ابن الكواء ما أنا عن نفسي براضٍ ، فأتفرغ من ذنبي إلى الحديث عن الناس ....، إن الناس خافوا الله تعالى على ذنوب الناس، وأَمِنوه على نفوسهم ... الخ " ()

()انظر : الحلية ج 2 ص : 11 ، وانظر : قصص التابعين حياة الربيع بن خثيم (ص: 55، 56 مَحْمُود الـمصْرِي أبو عمار) .

(1)أخرجه ابن ماجه ، وأبو داود في المراسيل من حديث جودان واختلف في صحته ، وجهله أبو حاتم وباقي رجاله ثقات ورواه الطبراني في «الأوسط » من حديث جابر بسند ضعيف .

(2)للاستزادة انظر : إِحْيَاء عُلُوم الدِّين ، ج 2 / كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق وهو الكتاب الخامس من ربع العادات الثاني ، الباب الثاني في حقوق الأخوة والصحبة ...

(3)دِيوانُ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص: 67 مُـحَمَّدٌ تَبَرْكَانُ أَبُو عَبد الله)،(البسيط).

قُلْتُ : قَدْ جَاءَنِي وَأَحْـدَثَ عُـذْرًا ❊❊❊ دِيَّةُ الذَّنْـــبِ عِنْدَنَا الإِعْتِـذَارُ[1].

قف هنا: الطّريقة الثالثة بلغة الكلام:

عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : « مكتوب في الحكمة ، بُنَيَّ : لِتكنْ كلمتك طيِّبة ، ولِيكن وجهك بسطًا ، تكن أحبَّ إلى النَّاس مِمَّن يعطيهم العطاء »[2].

... وقد حَرَّمَ رسولُ الله ﷺ المخاصمةَ، و نهى المسلمين أَنْ يهجُرَ بعضهم بعضاً فوق ثلاثة أيّام، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ،أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « لَا تَبَاغَضُوا ،وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا ،وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ»[3]. وَ قَالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ و السَّلَامُ- : «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ ،يَلْتَقِيَانِ ،فَيُعْرِضُ هَذَا ، وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ »[4].كذلك حال الزّوج و الزّوجة .أو الصّديق أو القريب الذي يدَّخر عواطفه، فلا يعطي أحدُهما الآخرَ حبَّه و حنانَه، (وقد قال ﷺ: لمن قال له إني أحب فلاناً :) عن أنس بن مالك، قال: مرَّ رجل بالنّبي ﷺ وعنده ناس، فقال رجلٌ ممن عنده: إني لَأُحِبُّ هذا لله .فقال النّبي ﷺ : «آعْلَمْتَهُ؟» قال: لا. قال: «فقم إليه فأعْلِمْهُ».

---

(1)دِيوانُ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص: 71 مُـحَمَّدٌ تَبَرْكَانٌ أَبُو عَبد الله)، (الخفيف).

(2)الزهد لأحمد بن حنبل ، والزهد والرقائق لابن المبارك ، ومداراة الناس لابن أبي الدنيا ونسبه الألوسي في «تفسيره» لِلُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلَامُ-،و ذكره في البداية و النهاية : 2/ 36، و انظر : وصايا لقمان وحكمه(ص:102 أحمد بن عاشور).

(3)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:78 – كتاب الأدب: 57 –بَابُ مَا يُنْهَى عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ .[رقم(6065)،مسلم (2559)].

(4)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري من حديث أَبِي أَيُّوب الأَنْصَارِيّ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في: 78 – كتاب الأدب: 62 –بَابُ الهِجْرَةِ وَقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ:«لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ » .[رقم(6077)،مسلم (2560)، و النووي (16/ 91،92)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 552، 553 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب البرِّ والصِّلة والآداب ، باب تحريم الهَجْرِ فَوْقَ ثَلاَثٍ بِلاَ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ].

فقام إليه فأعلمه، فقال: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ.قال: ثم رجع إلى النّبي ﷺ فأخبره بما قال، فقال النّبـــي ﷺ: « أنت مَعَ مَنْ أَحببتَ، و لكَ ما احتسبْتَ»[1]. وقال أيضا ﷺ: « إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ »[2]... و الحكمةُ من ذلك أن تحصلَ بينهما المودّةُ و الصِّلةُ و التّزاورُ و المناصحةُ و التّعاونُ، فتزداد بذلك المحبّةُ و تتوثّق عُرَى الأخوّةِ فبهذه العبـارات الـرّقيقـة و الكلمات العذبة تُملأ أجواءُ الحياةِ الْأُسَرِيَّةِ عطراً فوّاحًا يزكّي القلوبَ و يحيي النّفوسَ. فيا أخي المخطئ؛ اجعل كلامَ رسول الله ﷺ يغيِّر اتجاهَ أفكارِك ،و ابدأْ أنتَ بالسَّلامِ، و أظهِر العاطفةَ و الصِّفاتِ الحميدةَ و الكلماتِ الطيِّبةَ، لأنّها مِفتاحٌ للخيرِ مِغلاقٌ للشَّرِّ،و اجهرْ و قلْ إنّنا إخوة و هذا الهجر لا يصحّ، أنا لـم أقصِد أبداً أن أفعل ما فعلته معكم، و لـم أقصِد أن أُغضِبَكم، أنا لـم أكن أعلم غيرَ ذلك إنِّي اشتقت إليكم كثيراً، و ما استطعتُ التّعودَ على غيابكم، يا إخواني لا تبقَوْا مستسلمين للحزن، و اعلموا أن الحزن لا يكون إلا عمن يستأهلونه أرجوكم سامحوني و خلّصوني من هذه الأحزان فأنتم أناس طيِّبون ...و كم هي كبيرة منزلتكم عندي، و إن سامحتموني فمن الصعب أن أسامح نفسي ... و تستجيبُ النّفس لهذا الإحساس و يبعثُ العقل الباطن إلى جميعِ الجسمِ بإشاراتهِ الإيجابيّة من وراء هذا السِّتار، و بالكلم الطيّب وحسن المعاملة يتهلّل المحيّا و تصفو القلوب و تستريح العقول.

فهذه كلّها مشاعرُ و أحاسيسُ، والمشاعر و الأحاسيس هي وقودُ و دَافِعٌ لِلفعلِ ، فبمجردِ الشّعورِ و الإحساس يأتي الفعلُ، فتبدأ العقولُ تدعّمُ، فتلغي كلَّ ما هو سلبيٌّ

(1) أخرجه ابن حجر العسقلاني في تخريج مشكاة المصابيح لصفحة أو الرقم / 4/441 خلاصة حكم المحدث : حسن كما قال في المقدمة و رواه الطبراني في المعجم الأوسط ،وانظر: [«السلسلة الصحيحة» (3253)]باب الأدب والاستئذان .

(2) أخرجه أبو داود في : 35 -كِتَابِ الأَدَبِ : 121 -بَابُ إِخْبَارِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ بِمَحَبَّتِهِ إِيَّاهُ .[رقم (5124)، أحمد (4/ 130:17171)، و التِّرْمِذِيّ (2392)و قال : «حديث صحيح»، و النسائي في «الكبرى»: (9963)] . وانظر: [«السلسلة الصحيحة» (797)] في باب الأخلاق والبر و الصلة.

وتجلبُ كلَّ ما هو إيجابيٌّ و تفتحُ كلّ ملفّات الماضـي الجميل ،من أيام الطّفولة إلى اليوم، وهي على طولها كأنّها حُلُم أو ذكرى تدقُّ مثلَ النّاقوس في عالَـمِ النِّسيانِ .

فبهذه اللمساتِ الوفيَّةِ المعبّرةِ، يتخلّصُ الإنسان من السّلبيات ،و تهبُّ رياحُ المشاعرِ الجميلـةِ و نسمات السماحة و تنطفئُ نيران العــداوةِ و يعمّ الْوُدُّ من جديد، فيقولون : الحـقّ معك فَيُلْقُونَ من عقولهم كلّ السّلبيات و تتصافح القلوب من جديد. وواجِبُنَا العمليّ:كم هو جميل أن يكون في قلوبنا متَّسع لنسيان أخطاء إخواننا والأجمل أن يكونَ اِقتداؤنا بقدوتنا الذي قال :« إني لم أُبْعَث لَعَّانًا ، و لكني بُعِثْت داعيًا و رحمة. اللّهُمَّ ! اَهْدِ قومي فإنهُم لا يَعْلَمُون»..[1]

❊ ❊ ❊

(1) [البخاري (2903،مسلم (1790)].

العفوُ عند المقدرةِ من شيَمِ الرّسلِ -عَلَيْهِمُ السَّلامُ-

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يُوسُف: ٩١،٩٢]:

" لَا يَبْلُغُ الـمَجْدَ أَقْوَامٌ وَ إِنْ كَرُمُوا *** حَتَّىٰ يَذِلُّوا وَ إِنْ - عَزُّوا - لِأَقْوَامِ

وَ يُشْتَمُوا فَتَرَىٰ الأَلْوَانَ مُسْفِرَةً *** لَا صَفْحَ ذُلٍّ وَ لَكِنْ صَفْحَ أَحْلَامِ "[1].

عندمَا تَنَاوَلْتُ قَصَصَ الرّسلِ -عَلَيْهِمُ السَّلامُ- رأيتُ أنَّ حياتَهم محفوفةٌ بالسماحةِ و الوفاءِ و العفو عند المقدرةِ، فقصّةُ سيّدنا يوسف -عَلَيْهِ السَّلامُ- مع إخوته و سيّدنا موسىٰ -عَلَيْهِ السَّلامُ- مع قومه و سيّدنا محمّد -عَلَيْهِ الصَّلاةُ و السَّلامُ- مع أصحابه -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-، كلّهم شيّمهم السّماحة و الوفاء.

و كلُّ ما يصنعه المرءُ هو نتيجةُ لما يدورُ في فكرهِ، فالخالقُ سبحانه و تعالىٰ وَكَّلَ الإنسانَ السّيطرةَ علىٰ الأرضِ و ما عليها، و كلّ ما نطمع فيه السّيطرة علىٰ أنفسنا و حسب، السّيطرة علىٰ أفكارنا و أحقادنا، السّيطرة علىٰ أفعالنا فالرّسل -عَلَيْهِمُ السَّلامُ- كلهم: شيمتهم السّماحة و الوفاء، يوسف -عَلَيْهِ السَّلامُ- عفا عن إخوته، فـ ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[يُوسُف: ٩٢]، مع قدرته علىٰ مؤاخذتِهم مقابل صنيعهم.

... (" وأمّا الحِلْم والاحتمالُ، والعفوُ مع القدرة، والصّبْرُ علىٰ ما يُكْرَه؛ وبَيْنَ هذه الألقابِ فرقٌ، فإنّ الحِلْم: حالةُ توقُّر وثَباتٍ عند الأسباب المحرِّكات. والاحتمالُ: حبْسُ النّفس عند الآلام والمؤذيات. ومثْلُها الصّبر، ومعانيها متقاربةٌ.

وأمّا العفْوُ: فهو تَرْكُ المؤاخذة. وهذا كلُّه مـمّا أدّب اللهُ تعالىٰ به نبيَّه ﷺ، فقال: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعْرَاف: ١٩٩].

---

(1) أَدَب الدُّنْيَا وَالدِّين: 344،(البحر البسيط).

- رُوِيَ أنّ النّبيَّ ﷺ لما نزلت عليه هذه الآيةُ سأل جبريل -عَلَيْهِ السَّلامُ- عن تَأْوِيلها ، فقال له : حَتَّىٰ أَسْأَلَ الْعَالِـمَ .

ثم ذهب فأتاه ، فقال : « يَا مُحَمَّدُ ! إنَّ الله يَأْمُرُك أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ،وتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ» .

وَقَـالَ : ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النُّور: ٢٢].

وَقَـالَ : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشُّورَىٰ: ٤٣].

ولا يَخْفَىٰ ما يُؤْثَر من حِلْمِه واحتماله ، وأَنّ كلَّ حليم قد عُرِفَتْ منه زَلَّة ، وحُفِظَتْ عنه هَفْوة، وهو ﷺ لا يزيدُ مع كَثْرة الأَذىٰ إلا صَبْراً ، وعلىٰ إسراف الجاهِل إلا حِلْماً .

والإعراض عن الجاهلين أي ترك المؤاخذة فلا يؤاخذهم بما يصدر منهم من قول وعمل. عن عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ:«لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ [مَا لَقِيتُ]، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلامُ- ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ تعالى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ، لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ قَد سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ،

وَ أنا مَلَكُ الجِبَالِ ، وَ قَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ: إِنْ شِئْتَ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ؟» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»(1).

– ورُوي أنَّ النّبيَّ ﷺ لما كُسِرَت رَبَاعِيَتُهُ وشُجَّ وَجْهُهُ يوم أُحُد شَقَّ ذلك على أصحابه شقّاً شديداً ، وقالوا : لو دعَوْتَ عليهم! فقال:« إني لم أُبْعَث لَعَّاناً ، ولكني بُعِثْت داعياً ورحمة . اللَّهُمَّ ! اَهْدِ قومي فإنهُم لا يَعْلَمُون»(2).

– ورُوي عن عُمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال في بعض كلامِه : بِأَبي أَنْتَ وأُمِّي يا رسولَ الله ! لقد دعا نوحٌ على قومه ، فقال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نُوح: ٢٦].

ولو دعوتَ علينا مثْلَها لهلَكْنا عن آخرنا، فلقد وُطِئَ ظَهْرُك، وَأُدْمِيَ وَجْهُك، وكُسرت رَبَاعِيَتُك، فأبيتَ أَنْ تقولَ إلاَّ خيراً، فقلْتَ : « اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لِقَوْمِي، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

– ولـمّا تصَدَّى له غُوْرَث بن الحارث ليَفْتِكَ بِه، ورسولُ الله ﷺ مُنْتَبِذٌ تحت شجرةٍ وحْدَه قائلاً *، والنّاسُ قائلون ، في غَزَاةٍ ، فلم يَنْتَبِهْ رسولُ الله ﷺ إلا وهو قائم، والسيف صَلْتاً ** في يده، فقال : مَنْ يَمْنَعُكَ مني ؟ فقال : «الله» فسقَط السيفُ مِنْ يده، فأخذه النّبيّ ﷺ وقال : « من يَمْنَعُكَ مني ؟» قال : كُنْ خَيْرَ آخِذٍ، فتركه وعفَا عنه .فجاء إلى قومه فقال: جئتُكم مِنْ عند خَيْرِ الناسِ(3)

---

(1) (صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في: 59 – كتاب بدء الخلق : 07 –بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ : آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ ..... ، [رقم(3231)، مسلم (1795)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 382 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين] .وانظر :[«السلسلة الصحيحة »(3546)]، باب الإيمان والتوحيد والدين والقدر.

(2) [البخاري (2903)،مسلم(1790)].

* مُنْتَبِذٌ تحت شجرةٍ وحْدَه قائلًا أي : نائما في القيلولة ... ** و السيف صَلْتًا : أي مسلولا.

(3) [البخاري (2910)،مسلم(843)].

- ومِنْ عظيم خَبرِه في العَفْوِ عَفْوُه عن اليهوديّة التي سمَّتْه في الشّاة بعد اعترافها على الصّحيح من الرواية[1].

- وأنه لم يؤاخِذْ لَبِيدَ بن الأَعْصَم إذ سحره، وقد أُعلم به، وأُوحي إليه بشَرْح أمره، ولا عتب عليه فضلاً عن معاقبته[2]...عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-:أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ طُبَّ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ صَنَعَ الشَّيْءَ وَمَا صَنَعَهُ ،وَ إِنَّهُ دَعَا رَبَّهُ ،ثُمَّ قَالَ:«أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفتَيتُهُ فِيهِ» ؟فَقَالَتْ عَائِشَةُ:فَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: «جَاءَنِي رَجُلاَنِ،فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي ، وَ الآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ،فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ:مَا وَجَعُ الرَّجُلِ ؟ قَالَ:مَطْبُوبٌ،قَالَ:مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ:لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ،قَالَ :في ماذَا ؟ قَالَ:فِي مُشْطٍ وَ مُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلعَةٍ،قَالَ:فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ:فِي ذَرْوَانَ».وَ ذَرْوَانُ بِئْرٌ فِي بَنِي زُرَيقٍ،قَالَتْ :فَأَتَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ،فَقَالَ: «وَ اللهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ ،وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ».قَالَتْ:فَأَتَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَهَا عَنِ البِئْرِ،فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ فَهَلاَّ أَخْرَجْتَهُ ؟ قَالَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللهُ،وَ كَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا»[3]- وكان الرجلُ بعد ذلك يدخل على النبي ﷺ فلم يذكر له شيئًا، ولم يعاتبه قط حتى مات-

- وكذلك لم يؤاخِذْ عبدَ الله بن أُبَيٍّ ، وأشباهَه من المنافقين، بعظيم ما نُقل عنهم في جهته قولاً وفعلاً ؛ بل قال لمن أشار بقتل بعضهم : «دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»[4] .

---

(1) [البخاري (2617)،مسلم(2190)].

(2) [البخاري (3268)،مسلم(2189)].

(3) (صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في : 80 / 54 - كتاب الدّعوات : 57/ 57 - باب تكرير الدُّعاء .[رقم(6391)،مسلم (2189)].و قال البخاري : حدّثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُنْذِرٍ : حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ ، عَنْ هِشَامٍ،عَنْ أَبِيهِ،عَنْ عَائِشَةَ بِهِ، وانظر: [«السلسلة الصحيحة» (2761)].

* بعظيم ما نُقل عنهم في جنابه قولًا و فعلًا...

(4) [البخاري (4905)،مسلم(2584/ 63)].

– وعن أنس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَجَبَذَه الأعرابي بردائه جَبْذَةً شديدة حتى أَثَّرت حاشيةُ البُرْدِ في صفحة عاتِقِه، ثم قال: يا محمد! احْمِلْ لي على بعيريّ هذين مِنْ مالِ اللهِ الذي عندك، فإنك لا تحمِلُ لي من مالكَ ولا من مالِ أبيك.

فسكت النبيُّ ﷺ، ثم قال: «المالُ مالُ الله، وأنا عَبْدُه».

ثم قال: «ويُقَادُ منكَ، يا أعرابي! ما فعلتَ بي».

قال: لا.

قال: «لمَ؟» قال: لأنّكَ لا تُكافِئُ بالسيِّئةِ السيِّئة[1]

فضحك النّبيّ ﷺ؛ ثم أمر أن يُحمل له على بعير شعيرٌ، وعلى الآخر تَـمْرٌ.

– قالت عائشةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-: ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ منتصراً من مَظْلِمة ظُلِمها قطُّ، ما لم تكن حُرْمةً من محارِمِ الله. وما ضرب بيده شيئاً قطُّ إلا أن يجاهِدَ في سبيل الله. وما ضرب خادماً قَطُّ، ولا امرأةً[2]

– وجيء إليه برجل، فقيل: هذا أراد أن يقتلك. فقال له النّبي ﷺ: «لن تُرَاعَ، لن تُرَاعَ، ولو أردتَ ذلك لم تُسَلَّطْ عليّ»[3]

– وجاءَه زيد بن سَعْنَةَ قبل إسلامه يَتَقَاضَاهُ دَيناً عليه، فجَبَذَ ثوبَه عن مَنْكِبه، وأخذ بمجامع ثيابِه، وأغلظ له، ثم قال: إنّكم، يا بني عبد المطلب! مُطُلٌ، فانتهره عُمر، وشدَّد له في القول، والنّبيُّ ﷺ يَتبَسَّمُ.

فقال رسولُ الله ﷺ: «أنا، وهُوَ، كُنّا إلى غير هذا منك أحْوج، يا عمر! تَأْمرني بحُسْنِ القضاء، وتأمره بحُسْن التقاضي».

---

(1) [البخاري (3149)، مسلم (1057)].

(2) [البخاري (3560)، مسلم (2327، 3228)، و الترمذي (342)].

(3) [(أحمد 3/ 471)].

ثم قال : «لقد بقِيَ من أجَلِهِ ثلاثٌ» وأمر عُمر يَقْضِيه مالَه ويزيده عشرين صاعاً لِمَا رَوَّعَه؛ فكان سببَ إسلامه ،وذلك أنه كان يقول : ما بَقِيَ من علامات النبوة شيء إلا وقد عرَفْتُها في محمد إلاَّ اثنتين لم أَخْبُرْهما: يسبقُ حِلمُه جَهْلَهُ ، ولا يزيده شدَّةُ الجهل إلا حِلْماً . فاختبره بهذا ، فوجده كما وُصِف .

والحديثُ عن حِلْمه - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَ السَّلاَمُ - وصَبْرِه وعَفْوِهِ عند القدرة أكثرُ من أن نَأْتِيَ عليه ، وحَسْبُك ما ذكرناه [القَاضِي عِيَاضُ] : مما في الصّحيح والمصَنَّفات الثّابتة، إلى ما بلغ متواتِراً مبْلَغَ اليقين: مِنْ صبره على مُقَاسَاة قريش ، وأذَى الجاهليّة ، ومُصَابرته الشّدائدَ الصّعبةَ معهم إلى أن أظْفره اللهُ عليهم، وحكَّمه فيهم ، وهم لا يشُكُّون في استئصال شَأْفتهم ، وإبادة خَضْرائهم؛ فما زاد على أَنْ عفا وصفح ... وقال : «ما تقولون إنِّي فاعلٌ بكم ؟ »قالوا : خَيْراً ، أخٌ كريم ،وابنُ أَخ كريم ،فقال : « أقولُ كما قال أخي يوسف: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يُوسُف: ٩٢]«اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء»(1).

- وقال لأبي سُفيان - وقد سِيقَ إليه بعد أن جلَب إليه الأحزابَ ، وقتل عمَّه وأصحابَه ومَثَّل بهم ، فعفا عنه ، ولاطَفَه في القول -: «وَيْحَك! يا أبا سفيانَ! أَلَمْ يَأْنِ (*2) لك أَنْ تعلَم أن لا إله إلا اللهُ؟ » فقال : بِأَبِي أنتَ وأُمّي، ما أَحْلَمَكَ وأَوْصَلَك وأكرمكَ!. وكان رسولُ الله ﷺ أبعدَ النّاسِ غضَباً، وأَسْرعهم رِضاً، ﷺ .اهـ")(3).

---

(1) [النسائي (10/ 134)].

(2*)قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحديد: ١٦].

(3)نَقْلاً من الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ المصْطَفَى ﷺ للعَلاَّمَةِ القَاضِي أَبِي الفَضْل عِيَاضِ بن مُوسَى اليَحْصُبِي/ الباب الثاني « فصل في حِلْمِهِ وَ احْتِمَالِهِ وَ عَفْوِهِ وَ صَبْرِهِ ﷺ ص : 63،64،65،66».

وَقَالَ رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ لِعَبْدِ الْـمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي أُسَارَىٰ ابْنِ الْأَشْعَثِ : «إِنَّ اللهَ قَدْ أَعْطَاك مَاتُحِبُّ مِنَ الظَّفَرِ ، فَأَعْطِ اللهَ مَايُحِبُّ مِنَ الْعَفْوِ»[1]، وواجِبُنَا العمليّ كما قال الصحابي الجليل عليّ بنِ أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:" أولىٰ النّاس بالعفو أقدرُهُمْ علىٰ العقوبة.

" وَ إِذَا قَدَرْتَ عَلَىٰ عَدُوِّكَ ، فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عنه شُكْراً لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ"[2].

... للهِ عَلَىٰ مَا أَعْطَاكَ مِنَ الْقُدْرَةِ وَ الِانْتِصَارِ وَ الظَّفَرِ بِعَدُوِّكَ.

❊ ❊ ❊

(1) وللاستزادة انظر : أَدَب الدُّنْيَا وَالدِّين : الْفَصْلُ الرَّابِع فِي الْـحِلْمِ وَ الْغَضَبِ.

(2)من كلام الصحابي الجليل عليّ بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- (ص:375 محمد رضا)، و انظر: أدب الدّنيا و الدّين : الْفَصْل الرَّابِع فِي الْحِلْمِ وَ الْغَضَبِ.

كيف تقدم إمامًا كنتَ له إمامًا، بدلاً من أن تؤُمَّك نفسك فيصبح يؤُمُّك عَقْلُكَ

و بدلاً من أن يؤُمَّك غضبك يُصبح إِمَامُكَ حِلْمَكَ

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:على لسان يوسف -عَلَيْهِ السَّلَامُ- :﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[يُوسُف: ٥٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النَّازِعَات: ٤٠ ، ٤١]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشَّمْس: ٧ – ١٠][1*]:

... " وَ النَّفْسُ تَعْلَمُ أَنِّي لَا أُصَدِّقُهَا *** وَ لَسْتُ أَرْشُدُ إِلَّا حِينَ أَعْصِيهَا "[2]

- فَما أصعبَ هوىٰ النَّفسِ لو لا رجاحةُ العقلِ !
- و ما أصعبَ الغضبَ لو لا فسحةُ الحلمِ !
- و ما أصعبَ تكاليفَ الحياةِ لو لا فسحةُ الأملِ !

فيا أخي : إنَّ أكبرَ عدوٍّ لك هي نفسُكَ الّتي بين جنبيك و الدليلُ علىٰ هذا الحديثُ الّذي رواه أبو ذر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، حيث قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الجهاد أفضل؟ قال: «أن تجاهد نفسك وهواكَ في ذات الله- عزَّ وجلّ-»[3].

و لا يستطيعُ أحدٌ أَنْ يسامحَ و هو مستسلمٌ لأهوائهِ و نفسهِ فليتحرر من هوىٰ نفسِهِ.

(1 *)و للاستزادة في معرفة فوائد طلب العلم انظر : «سُنَن التِّرْمِذِيّ » 39 / 35 – كتاب العلم عن رسول الله ﷺ .[التِّرْمِذِيّ (2645 ..... 2687)].

(2) من كَلام الصحابي الجليل عَلِيّ بْن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- (ص : 20 أَدَبُ الدّنْيَا وَ الدِّين)،(البحر البسيط).

(3) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء الصفحة أو الرقم / 282 / 2 :خلاصة حكم المحدث : تفرد به سعيد بن بشير عن قتادة[وفيه مخالفة]، وانظر: [« السلسلة الصحيحة » (1496)]باب السفر والجهاد والغزو .

و ليجاهد نفسَه بـ عقلِهِ(1*) حتىٰ يتحرَّرَ ،لأنَّ للإنسان دولتين، دولة عادلة و دولة جائرة.الدولةُ العادلةُ هي دولةُ الإيمانِ و العقلِ، و الدولةُ الجائرةُ هي دولةُ النفس الأمّارة و الهوىٰ و الشيطانِ.فإذا كانت الدولةُ للعقلِ سَالَـمَتْهُ النّفس و الهوىٰ ،و جنودهما وَ أصبحوا في خدمةِ أوامرِ العقلِ و اتِّباعِه.

فينبغي علىٰ العاقل أن يقدِّمَ عقلَه للإمامة الكبرىٰ التي أُودِعَتْ فيه ،لأنَّ النَّفسَ ميَّالةٌ للشّهواتِ، و إنَّما يسلُكُ الطريقَ مَنِ اصطحَبَ مَعه إرادةً و قوةً و تصميماً علىٰ مجاهدةِ النفسِ، فالإرادةُ هي الأساسُ و (مجاهدةُ النفسِ) هي المحورُ.

فيا أخي : لا تقلْ : لا أقدر علىٰ نفسي ،و لا تقلْ لاَ أعرف كيف أسيطر علىٰ نفسي و أهوائي، و لا تقل : مستحيل أن أنتصر علىٰ نفسي وأهوائي ، فإذا قُلْتَ لا أقدر علىٰ نفسي فَحَاوِلْ ! و إذا قُلْتَ لا أعرف كيف أسيطر علىٰ نفسي فتعلّم من كلام الله – عزّ وجلّ –وكلام رسوله ﷺ ، ... وإذا قلتَ مستحيل أن أسيطر علىٰ نفسي فجرِّب، و ادْعُ اللهَ ،لأنَّ الدعاءَ سلاحُ المؤمنِ و سببٌ من الأسبابِ الروحية الّتي شَرعَهَا اللهُ للإنسانِ، فألزم نفسك أن تقول في دعائك :«اللَّهُمَّ أَلْـهِمْنِي رُشْدِي،وَ أَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفسي»(2)...«و انصرني على شر نفسي»

وأن يجعلَ عقْله طرَفا أَوَّلاً و نفسه طرفاً ثانيًا

- أَنْ يَجْعَلَهَا طَرَفاً ثَانِياً أَيْ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ وَ عَقْلُهُ طَرَفًا وَ نَفْسُهُ طَرَفًا آخَرَ.

- أَنْ يَدْعُوَ اللهَ – عَزَّ وَجَلّ –:اللّهمّ كُنْ لِي عَوْنًا عَلَىٰ نَفْسِي كَيْ أُسَامِحَ خَصْمِي وَ أَرْتَاحَ، وَ تَنْطَفِئَ نِيرَانُ غَضَبِي فَإِنَّ نَفْسِي لَمْ تَتْرُكْنِي أُسَامِحَ خَصْمِي :

(1*) عن أبي الجلد قال : قرأت في الحكمة : « من كان له من نفسه واعظٌ ، كان له من الله حافظٌ ، ومن أنصف الناس من نفسه ، زاده الله بذلك عزا، والذل في طاعة الله أقرب من التعزز بالمعصية » هكذا في الزهد لأحمد، ونسبه الآجري للُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ -،وانظر روح المعاني : 11/ 83 ، وانظر :وصايا لقمان وحكمه(ص:39أحمد بن عاشور) .

(2) رواه الترمذي و قال : «حديث حسن».

فَوَ الله مَا أَدْرِي أَ أَلُومُ نَفْسِي الشَّارِدَةَ الْـجَمُوحَ (*1) ،أَمْ أَلُومُ قَلْبِي الْقَاسِيَ الْـمَجْرُوحَ ؟!

فَإِنْ لُـمتُ قَلْبِي قَالَ لِي النَّفْسُ هِيَ التِي سَوَّلَتْ

وَإِذَا لُـمْتُ نَفْسِي قَالَتْ إِنَّ الذَّنْبَ لِقَسَاوَةِ الْقَلْبِ

فَيَا نَفْسِي وَيَا قَلْبِي إِنَّكُمَا قَدْ تَقَاسَمْتُمَـا دَمِي وَأَرَّقْتُمَا لَيْـلِـي :

" قَلْبِي إِلَىٰ مَاضَرَّنِي دَاعِي ❊❊❊ يُكْثِرُ أَسْقَامِي وَأَوْجَاعِي

كَيْفَ احْتِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا ❊❊❊ كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلاَعِي "(2)

وَقَالَ ﷺ : « أَعْدَى أَعْدَائِك : نَفْسُك الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْك ..... »(3) الْـحَدِيثَ .

- أَنْ يَدْعُوَ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ –:اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي السَّمَاحَةَ وَ التَّوَاضُعَ (*4) وَ بَاعِدْنِي عَنِ الْـحِقْدِ وَ الْكِبْرِيَاءِ. لِأَنَّ السَّمَاحَةَ وَ التَّوَاضُعَ عَكْسُ الْـحِقْدِ وَ الْكِبْرِيَاءِ.

السَّمَاحَةُ وَالْعَفْوُ مِنْ زُمْرَةِ الْعَقْلِ – زُمْرَةِ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ –

يَنْبَغِي عَلَى الْكَيِّسِ أَنْ تَكُونَ نَفْسُهُ مِنْ لِـجَامِ سُلْطَانِ عَقْلِهِ فِي عَنَاءٍ ، وَالنَّاسُ مِنْهَا فِي رَاحَةٍ ، وَقَلْبُهُ مُنِيبًا إِلَىٰ رَبِّهِ بَيْنَ خَوْفٍ (*5) وَرَجَاءٍ،فَيُفْطِمُ نَفْسَهُ وَقَلْبَهُ كَمَا يُفْطَمُ الطِّفْلُ عَنِ

(1*) الشّاردة الجموح أي : النافرة الغالبة لصاحبها .

(2) من كلام العباس بن الأحنف ، انظر : ديوان العباس بن الأحنف. دار الجيل . بيروت 1995/ ط1 ، ص :250 ، و انظر : الاغاني / لأبي الفرج الاصفهاني . دار صادر ، بيروت ط2 مجلد 08 ص 261/ 262 ، و انظر : أَدَب الدُّنْيَا و الدِّين : 313،(البحر الرجز).

(3) (موضوع) : أخرجه البيهقي في « الزهد الكبير » (343) بلفظ : «أعدىٰ عدوك : نفسك التي بين جنبيك » ، وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن غزوان (وضاع) ، وانظر« تخريج الإحياء »للعراقي (3/ 4) ، و « كشف الخفاء» (1/ 143) ، ولبقية فقراته شواهد ؛لكنها ضعيفة أيضًا.

(4*) قَالَ لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لِابْنِهِ: « يَا بُنَيَّ :تَوَاضَعْ لِلْحَقِّ تَكُنْ أَعْقَلَ النَّاسِ» الآداب الشرعية:2/ 308، وبهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر، وانظر :وصايا لقمان وحكمه(ص:139 أحمد بن عاشور).

(5*)عن وهب بن منبه ، قال : قال لُقْمَان - عَلَيْهِ السَّلامُ - لابنه:«يا بنيّ ارج الله رجاء لا يجرئك على معصيته ، وخَفِ اللهَ خوفا لا يؤيسك من رحمتِهِ » الوجل والتوثق بالعمل لابن أبي الدنيا وشعب الإيمان للبيهقي، و عن داود بن شابور ، قال لُقْمَان - عَلَيْهِ السَّلامُ - لابنه : « يا بنيّ خف الله خوفا يحول بينك وبين الرجاء ، وارجه رجاء يحول بينك وبين الخوف قال : فقال : أي أبه ، إنما لي قلب واحد إذا ألزمته الخوف شغله عن الرجاء ، =

الرَّضَاعَةِ،وَذَلِكَ بِأَنْ يَعْصِيَ نَفْسَهُ وَيُخَالِفَ هَوَاهُ كَيْ لَا يُسَوِّلَ لَهُ أَمْرًا.وَيَتْرُكَ الْأَمْرَ لِصَاحِبِ الْأَمْرِ(1**) الذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا وَيُؤْثِرَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَهَوَاهُ ﴿ لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ [الطَّلَاق: ١].

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي يَعْلَىٰ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :«الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ،وَعَمِلَ لِـمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا،وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأَمَانِـيَ»(2)، وَ هَذِهِ سُنَّةُ الله فِي خَلْقِهِ أَنَّ مَنْ جَدَّ وَجَدَ ،وَمَنْ زَرَعَ حَصَدَ، وَمَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَل ؛

ويقول الإمام الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:

بِقَدْرِ الكَدِّ تُكْتَسَبُ المَعَالِي *** وَمَنْ طَلَبَ العُلَا سَهِرَ اللَّيَالِي

وَمَنْ رَامَ العُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ *** أَضَاعَ العُمْرَ فِي طَلَبِ المُحَالِ

تَرُومُ العِزَّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْـــلاً *** يَغوصُ البَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللآلِي(3).

و قال الشاعر قديما :

تريدينَ إدراك المعَالي رخيصةً *** و لا بُدَّ دونَ الشَّهْدِ* من إبَرِ النَّحْلِ(4).

= وإذا ألزمته الرجاء شغله عن الخوف» انظر :كتاب الزهد :107، وانظر :وصايا لقمان وحكمه(ص:143 أحمد بن عاشور) . الآيات في ذلك الخوف من الجليل :[آل عِمْرَان: ١٧٣ -١٧٥]-[المَائِدَة : ٤٤]-[المُؤْمِنُون :٥٧ - ٦١] -[فَاطِر: ٢٨]-[ٱلرَّحْمَٰنُ :٤٦ -٧٨]-[الإنْسَان: ٤٤] .

(1**)قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

(2)أخرجه التِّرْمِذِيّ في :35 -كِتَابُ صِفَةِ القِيامَة و الرقائق و الورع : 90 -باب الكيّس . [رقم (2459)، ابن ماجه (4260)، و أحمد (2/ 124 17123:..)]. وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ :«هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»،قَالَ : وَ مَعْنَى قَوْلِهِ : «مَنْ دَانَ نَفْسَهُ»،أي:" حاسبها"و قيل أذلها و استعبدها، و منعها ما فيه هلاكها «وَعَمِلَ لِـمَا بَعْدَ الـمَوْتِ» من القبر وما بعده صالح العمل..

(3) دِيوانُ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص:122 مُـحَمَّدٌ تَبْرَكَانُ أَبُو عَبد الله)، (الوافر)... رحم الله الشيخ محمد بن الزبير شيخ القراء بزاوية الشيخ المختار بأولاد جلال قد روى لنا هذه الأبيات سنة 1955م.

(4) انظر : ديوان المتنبي. * الشهد : العسل بشمعه و جمعه شهاد،(البحر الطّويل).

... و كان الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- لا يعرفون للراحة طعمًا و لا يعرف الخُمول إلى نفوسهم طريقًا فكانوا حركة مشبوبة لا تهدأ و لا تفترُ (1*) و لا تكلّ و لا تملّ .

... وهذا وعد الله سبحانه و تعالى لمن جاهد نفسه " في ذات الله -جلَّ جلاله- :

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العَنكَبُوت: ٦٩].

و هذه الآية مكيَّة نزلت قبلَ أَنْ يُشرع الجهادُ فهي أحقُ بأنْ تكونَ في ألوانِ الجهادِ الأخرى وَفِي مقدِّمتها جهادُ النَّفسِ، و هو أوّلُ مراتب الجهادِ و أولاها، و ورد في الحديث :

« الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ »(2).

ومما يساعد على مجاهدة النفس تقليل الطعام فقد جاء في «الشِّفَاء»(54)للقاضي عياض أن لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- قال لابنه: «إذا امتلأتِ المَعِدَةُ: نامت الفِكْرةُ،وخَرِست الحكمةُ، وقعدت الأعضاءُ عن العبادة» (3).

فواجِبُنَا العمليّ يسديه لنا أبو بكر (الآجرّي) -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- بقوله : ... اعلموا أنه من لم يحسن أن يكون طبيبا لنفسه ، لم يصلح أنْ يكون طبيباً لنفس غيره ، ومن لم يحسن أن يؤدب

(1*) ولا تفتر أي : لا تترك أفعال الخير ... لَا تَتَكَاسَلُ عن أفعال الخير.

(2) أخرجه التِّرْمِذِيّ في : 18 - كتاب فضائل الجهاد : 2 - بَاب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا . [رقم (1621) ، أبو داود (2500) ، و أحمد (6/ 20:24006)]. وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ : « وَ فِي الْبَابِ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ وَ جَابِرٍ . وَ حَدِيثُ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ »حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ ،أَخْبَرَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ، قَالَ:أَخْبَرَنِي أَبُو هَانِئٍ الْخَوْلَانِيُّ ،أَنَّ عَمْرَو بْنَ مَالِكٍ الْجَنْبِيَّ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ ،سَمِعَ فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ، يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

(3) نقلا من التحرير والتنوير وذكره في الإحياء:4/ 126، وانظر :وصايا لقمان وحكمه(ص:86 أحمد بن عاشور)، وللاستزادة في معرفة بيان فوائد الجوع و آفات الشبع قِف انظر : « إِحْيَاء عُلوم الدِّين » للإمام أبي حَامِد الغزالي - رحمه الله رحمة واسعة - و جمعنا به في الفردوس الأعلى -آمين -، كتاب كسر الشهوتين و هو الكتاب الثالث من ربع المهلكات ، باب : فضيلة الجوع و ذم الشبع : ... ج3 / «ص:112...148»، و انظر :الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ الْمُصْطَفَى ﷺ للعَلاَّمَةِ القَاضِي أَبِي الفَضْلِ عِيَاض بن مُوسَى اليَحْصُبِي/ الباب الثاني فِي تَكْمِيلِ اللهِ تَعَالَى لَهُ الْمَحَاسِنَ خَلْقًا وَ خُلُقًا ، وَ قِرَانِهِ جَمِيعَ الفَضَائِلِ الدِّينِيَّةِ وَ الدُّنْيَوِيَّةِ فِيهِ نَسَقًا ، « فصل فِيمَا كَانَ التَّمَدُّحُ وَ الْكَمَالُ بِقِلَّتِهِ ص 52، 53، 54».

-أي بقلة الأكل و الشّرب و النّوم -، و انظر:« رياض الصالحين للنووي» باب فضل الجوع و خشونة العيش و الاقتصار على القليل من المأكول و المشروب و الملبوس و غيرها من حظوظ النفس و ترك الشهوات.

نفسه ،لم يحسن أنْ يؤدب نفسَ غيره ، واعلموا أنه من لم يعرف ما لله –عزَّ وجلّ– عليه في نفسه مما أمره به،ونهاه عنه،ولم يأخذ نفسه بعلم ذلك ،كيف يصلح أنْ يؤدب زوجته وولده ، قد أخذ الله –عزَّ وجلّ– عليه تعليمهم ما جهلوه . ما أسوأ حالَ من توانىٰ *عن تأديب نفسه ورياضتها بالعلم وما أحسن حالَ من عُنِي بتأديب نفسه ، وعلم ما أمره الله – عزَّ وجلّ – به وما نهاه عنه ، وصبر علىٰ مخالفة نفسه ، واستعان بالله العظيم عليها"[1].

... فالعبدُ المستقيمُ راجحُ العقلِ طيّبُ السّريرةِ يستطيعُ أن يربِّـيَ و يؤدّبَ غيرَه بقولهِ و فعلهِ و حالهِ سواءٌ في أهلِهِ أو غيرِهِمْ...حالُ رجلٍ في ألفِ رجلٍ خيرٌ من وعظِ ألفِ رجلٍ في رجلٍ.

❊ ❊ ❊

* ما أسوأ حال من تَوَانَىٰ أي تخلف عن الفعل الحسن ... تثاقل

(1)أدب النفوس للآجري،للاستزادة انظر : ذم الهوىٰ : 1/ 42.

﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦ ﴾ [فُصِّلَت: ٣٤ -٣٦].

قولُه ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ﴾ أي فرق عظيم بين هذه و هذه ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ أيْ مَنْ أساءَ إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه كمـــا قال أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطّاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- "و ما عاقبتَ من عصىٰ اللهَ فيك بمثل أن تطيعَ اللهَ فيـــه". (*1)

و قوله -عزَّ وجلّ- ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ و هو الصَّديق أي إذا أحسنت إلىٰ من أساء إليك قادته تلك الحسنةُ إليك، إلىٰ مصافاتك و محبتك و الحنوِّ عليك حتَّىٰ يصيرَ كأنَّه وليٌّ حميمٌ، أي قريب إليك من الشَّفقة عليك و الإحسان إليك.

ثم قال -عزَّ وجلّ-: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾ أي ذو نصيب وافر من السّعادة في الدّنيا و الآخرة. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسيره لهذه الآية: أمر المؤمنين بالصبر عند الغضبِ، و الحلمِ عند الجهلِ، و العفوِ عند الإساءةِ، فإذا فعلُوا ذلك عصمَهم اللهُ من الشَّيطانِ و أخضعَ لهم عدوَّهم كأنه وليٌّ حميمٌ.

... " بيَّن الله سبحانه هاهنا أنَّ الخُلُقَ الحسنَ ليس كالخلقِ السَّيِّءِ، وأمرنا بتبديل الأخلاق المذمومة بالأخلاق المحمودة، وأحسنُ الأخلاق الحِلْمُ؛ إذ يكون به العدوّ صديقًا والبعيد قريباً، حين دفع غضبَه بحلمه وظلمَه بعفوه وسوءَ خاتمته بكرمه ، وفي مظنة الخطأ أن من كان

(*1) عن مالك بن دينار ، قال: قال لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لابنه: «يَا بُنَيَّ: اتخذ طاعة الله تجارة تأتك الأرباح من غير بضاعة» الزهد لأحمد بن حنبل، وانظر: البداية و النهاية: 2/ 151، وانظر: وصايا لقمان وحكمه (ص: 26 أحمد بن عاشور).

متخلقًا بخُلُقِه متّصفًا بصفاته مستقيمًا في خدمته صادقًا في محبّته عارفًا بذاته وصفاته ليس كالمدعي الذي ليس في دعواه معنىً قال ابن عطاء : لايسوِّي بين من أحسن الدّخول في خدمتنا والخروج منها و بين من أساء الأدب في الخدمة ؛ فإن سوء الأدب في القرب أصعبُ من سوء الأدب في البعد فقد يُصفَحُ عن الجهَّال الكبائر ، وَيُوخَذُ الصديقين باللحظ والالتفات [1*]، وقال الأستاذ : أي : ادفع السّيّئةَ بالخصلة التي هي أحسن يعني بالعفو عن المكافآت بالتجاوز والصفح عن الزلة ، وبيَّن الله سبحانه أنَّهُ لَا يَبْلُغُ درجة الخلق الحسن وحسنات الأعمال إلا من يصبر على بلاء الله وامتحانه بالوسائط وغير الوسائط ، ولا يحتمل هذه البليات إلا ذو حظٍّ من مشاهدته وذو نصيبٍ من قربه ووصاله ، صاحب معرفة كاملة ومحبة شاملة ، وكمال هذا الصبر الاتصاف بصبر الله ، ثم الصبر في مشاهدة الأزل ، فبالصبر الاتصافي والمشاهدة الأبدية والحظ الجمالي يوازي طوارق صدمات الألوهية وغلبات القهارية ...قال بعضهم : لايطيق أحدٌ الهجوم على المعارف إلا من يصبر على احتمال النوائب والشدائد فيها ،ولا يرى لنفسه قيمةً ، ولا لروحه خطرًا ؛ إذ ذاك يمكنه مجاورة المعارف والهجوم عليها.

وقال ابن عطاء : لا يوفق لجميل الأخلاق إلا الصابرون على خفض الخلاف " [2].

و واجِبُنَا العمليّ نظَّمه لنا الإمام الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بقوله:

وَعَاشِرْ بِمعروفٍ، وَسَامِحْ مَنِ اعْتدىٰ *** وَدافِعْ ولَكِنْ بالَّتي هِيَ أَحْسَنُ [3].

❊ ❊ ❊

(1*) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [يُوسُف: ٤٢]

(2) تَفْسِيرُ الغَوْث الربّانيّ والإمَام الصّمَدانيّ سِيّدي محيي الدِّين عَبْد القَادِرْ الجِيْلَانيّ لجزء من الآية الكريمة [35] من سورة [فُصِّلَت].

(3) دِيوانُ الإمَامِ الشَّافِعِي (ص:139 مُـحَمَّدٌ تَبَرْكَانْ أَبُو عَبد الله)،(الطّويل).

شفاءُ قلوبِنَا و عقولِنَا و أنفسِنَا و أبدانِنَا وليدُ سماحتِنَا

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[الأنعام: ١٢٥].

قال مالك: بلغني أن لُقْمَانَ الْحَكِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قال لِابْنِهِ: « لَيْسَ غِنًى كَصِحَّةٍ، وَلَا نَعِيمٌ كَطِيبِ نَفْسٍ »[1] وقال أيضًا: « كفى بالقناعة عزًّا، وبطيب النَّفس نعيمًا »[2].

... سلامةُ قلوبِنَا و عقولِنَا و أنفسِنَا و أبدانِنَا وليدةُ سماحتِنَا، يا صاحبَ القلبِ السّليمِ المسامحِ ، يا صاحب النَّفسِ المطمئنّةِ، يا صاحب العقلِ المتّزنِ استمتعْ ومتِّعْ واشكر اللهَ -عزَّ وجلّ- على هذه النِّعمةِ،فالمحسنون المسامحون، أصحابُ الفضل، سعادتُهم و راحتُهم و بهجتُهم و فرحتُهم و لذّتُهم وليدةُ أفكارِهم و تركيزِهم.فالمسامحون أصحابُ قلوبٍ سليمةٍ، و ذوات عُلْيَا يَنتج عنها التّسامح و الحنان و العطاء و الرّأفة بمخلوقات الله -عزَّ وجلّ- و كلّ هذه الصِّفات الإيجابيَّة تجعلُ صاحبَ هذه الذات يَصِلُ إلى راحة نفسيَّة و هدوءٍ نفسيٍّ، فيعيشُ الفرَحَ قبل وقوعِهِ، ويصل مرحلةَ الحكمةِ و السّعادةِ و الطّمأنينةِ التي تجعلهُ يعيشُ في الحاضر لا في الماضي ويترقَّب المستقبل بتفاؤُلٍ وأمَلٍ ، و تكون معاملتُه حميدةً مع الأصدقاءِ و مع الأهل و كلِّ الخلقِ.

(1)شعب الإيمان للبيهقي: 10/ 138، وانظر :وصايا لقمان وحكمه(ص:137 أحمد بن عاشور).

(2)ربيع الأبرار للزمخشري: 486، وانظر :وصايا لقمان وحكمه(ص: 136 أحمد بن عاشور) .

إهداءُ و لمسةُ وفاءٍ: إلى كلّ من يملك هذه الشّمائل، سماتُ السّماحةِ و الوفاءِ ...

يا كاظمَ الغيظِ يا مسامحُ ،يا صاحبَ العفو ،يا صاحبَ القلب السّليم شديدَ التَّحمّل ، يا صاحب الحظّ العظيم أرجوك هنئ نفسك بهذه الصّفات العالية.

فلا وَ لَنْ تنالَ منك مصائبُ الدّنيا. ولا وَلَنْ تنالَ منك الأزماتُ الماديّةُ و المعنويّةُ التي مررتَ بها في حياتك ،ولن ينال منك الشّيطانُ ولا الغضبُ ولا القلق ولا اتباع العصبيّة و كوابيس الحقد. نعم لنْ يَنَالَ منك كلُّ ذلك ، و لا مِن قُدُراتك الذِّهنيّة و النفسية العالية جِدًّا فإنَّك تهوِّن المصائبَ و الصعوباتِ عليك وعلى مَنْ حَوْلَكَ بابتسامتِكَ المشرقة التي أشرقت في قلوبِنَا، وبكثرة ذكرِكَ لربِّك هوّنت مصائبَ الدّنيا عليك ،وبكثرة استجابتِك لكلام ربّك هوَّنت الأحزان عليك و بكثرة حلمك على خصومك باعَدْتَ الإهاناتِ اللاحقةَ منك.

نعم !هذا هو الحلُّ الوحيدُ فإنّك تتقبّل تلك الإساءات بكلّ صبرٍ و هدوءٍ و صفحٍ، إنَّك فزت في قلوبنا قبل أسماعنا بِفَوْزِكَ (لأنَّ المسامح كريمٌ كرّمه الله).

فيا فائزاً إنْ شاء الله في الدّنيا و الآخرة، هَيَّا بنا نتجوَّل جَوْلات و نرحل رحلات روحيّة و علميّة محفوفة بالبهجة و السَّعادة، و نغوص في بحارِ و بساتينِ العلمِ و المعرفة، ونستمتع بعقولنا المميِّزة ،و نُزَكّي أرواحنا، و نسعى للتَّقرّب من خالقنا -عزَّ وجلّ- و نجرد أنفسَنا بالتَّرفّع عن الأهواء و الأحقادِ و النِّزاعات و الشّهواتِ، لأنَّ التّرفّعَ عن هذا السّلوكِ يجعل النّفسَ تكتسب بَلْسَمَ الحياةِ و بهجتها ، و نلتمس حرِّيتنا من الآلام المصاحبة للشّهوات و الأحقاد و الخصومات و الإساءات ، و نُعرِض عنها و عن كلّ الدّنيا و نَرتقِي و نُرَفْرِفُ معًا إلى مراقي المجد و السُّؤددِ والاطمئنان و الشَّرف الدّائم و العِزِّ الباقي حتّى نلقى اللهَ وهو

راضٍ عنّا إن شاء الله وندخل فيما أفصح به نبينا ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ،... »؛ الْـحَدِيثَ[1].

(العالَـم العلوي)

العالَـمُ العلويُّ هو عالَـم الوجود ، عالـمُ السعادةِ في جنّةِ الخلودِ

عالَـمُ الفوزِ برضا الخالق المعبود ، وعالَـمنا السفلي هو وسيلة الصعود .

و ليصبح همُّنا هَمًّا واحدًا أَلَا و هو رِضَا الله – عزَّ وجلّ – فحياتُنا أحلامٌ لا تنتهي إن شاء الله إلّا بحسن الخاتمة ، و بعد حسن الخاتمة الحياة الأبدِيّة الخالدة بحول الله وهي جنّـات تجري من تحتها الأنهار .

قَالَ ٱللَّهُ تَعَـالَىٰ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السَّجْدَة: ١٧][2].

... فلا تسألْ عن درجاتٍ متفاضلاتٍ ، ومنازلَ لا ينقطع فيها نعيمُهَا ، و لا يهرَمُ خالدُهَا و لا يَبْأَس ساكنُهَا.

ولا تسألْ عن بهجة الرِّياض الْـمُونِقَةِ،وما فيها من الأنهار المتدفِّقةِ، والرياضِ[3] الْـمُعْشَوْشبَةِ،

---

* و ندخل في زمرة من قال عنهم نبيّنا ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ،..»

(1) أخرجه التِّرْمِذِيّ من حديث عَبْدِ الله بنِ عَمْرو في: 25 – كتاب البر و الصلة عن رسول الله ﷺ: 16 – باب مَا جَاءَ فِي رَحْمَةِ النَّاسِ. [رقم (1924)، وَ قَالَ: « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ »، أبو داود (4941)، و أحمد (2/ 160:6504..)]، وانظر:[«السلسلة الصحيحة» (925)]باب: الأخلاق والبر والصلة .

(2*) قَالَ تَعَـالَىٰ: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ ﴾ [مُحَمَّد: ٥ ، ٦] الآيات في وصف الجنّة: [البَقَرَة: ٢٥]–[التَّوْبَة: ٧١، ٧٢]–[يُونس: ٩، ١٠]–[الحِجْر: ٤٥ –٥٠]–[مَرْيَم: ٦٠ – ٦٤]–[الحَجّ: ٢٣]–[الفُرْقَان: ١٥، ١٦]–[فَاطِر: ٣٣–٣٥]–[يس: ٤٥ – ٥٨]–[صٓ: ٤٩ –٥٤]–[الزُّمَر: ٧٣–٧٥]–[الدّخَان: ٥١–٥٩]–[مُحَمَّد: ١٥]–[قٓ: ٣١–٣٧]–[القَمَر: ٥٣–٥٥]–[ٱلرَّحْمَنُ: ٤٦–٧٨] –[الوَاقِعَة: ١٠ – ٤٠]–[الحَاقَّة: ١٩–٢٤]–[الإنسَان: ٥–٢٢]–[المُرْسَلات: ٤١–٤٤]–[النَّبَإ: ٣١–٣٧]–[المطَفِّفِين: ١٨–٢٧]–[الغَاشِيَة: ٨–١٦].....

(3*) و الرياض المعشوشبة: أي الغياض الـمُورِقَةِ الظَّليلةِ .

الغِياض: مفردها غَيْضَةٌ ①الأجَـمَـةُ ②مجتمعُ الشجر و الماءِ.

والطّيور المغرِّدةِ ، والأصواتِ الشَّجيَّةِ المطربةِ ، والاجتماع بكلِّ حبيبٍ [1*] والأخذِ من المعاشرة والمنادمة بأكملِ نصيبٍ ، رياضٌ لا تزداد على طول المدى إلَّا حُسْنًا وبهاءً ،ولا يزيد أهلها إلّا اشتياقًا إلى لذّاتها و وِدادِها .فما أرادوا فهو حاصلٌ ، وما طلبوا حصل من الخيرِ الكثيرِ ، والنّعيمِ الغزيرِ ، والفرَحِ والسّرورِ ، واللّذةِ والحُبُورِ، ونالوا رضا الله وتنعّموا بقربه في دار كرامته. كما قال تعالى على لسان رسوله الكريم ﷺ:فِيمَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ،وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ:** ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[السَّجْدَة: ١٧] »[2]، وَعَنْه -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ،أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»[3].

وَعَنْهُ أيضًا -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ،يُبَلِّغُ بِهِ

عن النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا»[4].

❊ ❊ ❊

(1*) و الاجتماع بكلّ حبيب، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحِجْر: ٤٧]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطُّور: ٢١]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يسّ: ٥٦]،فيه دليل على أن الرجلَ الصالحَ يُحفَظُ في ذريته، وتشملُ بركةَ عبادته لهم في الدنيا والآخرة، بشفاعته فيهم ورفع درجتهم إلى أعلى درجته في الجنّة، لتقَرَّ عينهُ بهم، كما جاء في القرآن ووردت به السنة. قال سعيد بن المسيب :إني لأصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي .

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:59 – كتاب بدء الخلق : 8 – بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ.[رقم(3244)، مسلم (2824)، أحمد (2/ 438:9696..)].

* و في رواية لمسلم :«حُفَّتْ» بدل «حُجِبَتْ»و هو بمعناه : أي بينه و بينها هذا الحجاب فإذا فعله دخلها.

(3)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:59 – كتاب بدء الخلق : 8 – باب ما جاء في صفة الجنّة وأنها مخلوقة .[رقم(3244)، مسلم (2824)، أحمد (2/ 260:7563..)].

(4)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:65 – كتاب التفسير : 56 – سورة الواقعة : 1 بَابُ قَوْلُهُ :﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقِعَة: ٣٠] .[رقم(4881)، مسلم (2826)، أحمد (2/ 438:9697..)]. وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 622، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب الجنة وصفة نعيمها و أهلها ، باب إن في الجنّة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها] . وللاستزادة في وصف الجنّة انظر : «سُنَنُ التِّرْمِذِيّ»: 36/ 32 –كتاب صفة الجنّة عن رسول الله ﷺ .[التِّرْمِذِيّ : (2522 ..... 2572)]. خمسون حديثًا ما لذّ و طاب في وصف الجنّة.

القصاصُ حقٌّ وعدلٌ ، والتسامحُ والعفوُ سُموٌّ وفضلٌ :

وقد يجمعُ اللهُ الشَّتيتَينِ بَعْدَمَا ❊❊❊ يَظُنَّانِ كُلَّ الظَّنِّ أن لا تَلَاقِيَا[1].

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾ [المَائِدَة: ٤٥][2]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾[الشُّورَىٰ: ٣٧ – ٤٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[المُمْتَحِنَة: ٧].

..... «...وَ أَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا »[3]. الْحَدِيثَ وَ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- « لِرَجُلٍ أَسْمَعَهُ كَلَامًا : «يَا هَذَا،لَا تُغْرِقَنَّ فِي سَبِّنَا،وَ دَعْ لِلصُّلْحِ مَوْضِعًا...» [4] :

---

(1) ... (البحر الطّويل).

(2*) ﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ ﴾ أي : بالقصاص ،في النفس ، وما دونها من الأطراف والجروح ، بأن عفا عمن جنى، وثبت له الحق قبله. ﴿ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾ أي: كفارة للمجني عليه ،لأن الآدمي عفا عن حقه. والله تعالى أحق وأولى بالعفو عن حقه.وكفارة عن العافي ،فإنه كما عفا عمن جنى عليه ، أو على من يتعلق به ، فإن الله يعفو عن زلاته وجناياته .(تَفْسِير العَلاَّمَة الشَّيخ عبد الرَّحمن بْن نَاصِر السَّعديّ لآخر الآية الكريمة [45]من سورة [المَائِدَة])... الآيات في ذلك : [البَقَرَة: ١٧٨]–[النَّحل: ١٢٦ – ١٢٨] ..

(3) أخرجه التِّرْمِذِيّ (1997) من حديث أبي هريرة و قال: «غريب» ، قلت [أبي حَامِد الغزالي] :رجاله ثقات رجال مسلم لكن الراوي تردد في رفعه، و انظر : [«علل الدارقطني» (1436،419)] .

(4) (إسناده صحيح): أخرجه البرجلاني في «الكرم و الجود» (ص 46)، و أبو نعيم في «حلية الأولياء» (5/ 113)، و البيهقي في«شعب الإيمان» (6/ 347) من كلام عمر بن ذر ، و لم أقف عليه من كلام أبي الدرداء.

وَ كُنْ مَعْدِنًا لِلحِلْمِ وَ اصْفَحْ عَنِ الأَذَىٰ ** فَإِنَّكَ لاَقٍ مَا عَمِلْتَ وَ سَامِعُ

وَ أَبْغِضْ إِذا أَبْغَضْتَ بُغْضًا مُقَارِبًا ** فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَىٰ أَنْتَ رَاجِعُ ؟[1]

و عن زيد بن أسلم ، أن لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- ، قال لابنه : « مَنْ قَالَ الشَّرُّ يُطْفِئُ الشَّرَّ ؟ فَإِنْ كَانَ صَادِقاً فَلْيُوقِدْ نَارًا عند نارٍ ، ثُمَّ لِيَنْظُرْ هَلْ تُطْفِئُ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ ؟ ألا فَإِنَّ الخَيْرَ يُطْفِئُ الشَّرَّ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ »[2] ، و في روايةٍ أخرىٰ: قال لقمان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لابنه« يَا بُنَيَّ : كَذَبَ مَنْ قَالَ : الشَّرّ بِالشَّرِّ يُطْفَأُ،فَإِنْ كَانَ صَادِقاً فَلْيُوقِدْ نَارَيْنِ وَلْيَنْظُرْ هَلْ تُطْفِئُ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ، وَإِنَّمَا يُطْفِئُ الخَيْرُ الشَّرَّ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ»[3].

... تجنَّبْ نِقاشَ الغاضِب ، واخترْ لحظات الهدوءِ[*4] للحوارِ ،وكن لَيِّنَ الجانب وفي كلّ خلافٍ اِجعل نُصْبَ عينيك هذه المقولة : " نتعاوَنُ فيما اتّفقنا عليه ،ولْيعذرْ بعضُنَا بعضًا فيما اختلفنا فيه إن لم يكن في الأصول "[*5].

---

(1)ديوان الصحابي الجليل علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- (ص: 101 عبد الرّحمن المصْطاوِي)،(الطّويل التام).

(2) مداراة الناس لابن أبي الدنيا .

(3) أَدَبُ الدُّنْيَا وَ الدِّينْ : 297، و انظر : وصايا لقمان و حكمه (ص : 114 أحمد بن عاشور).

(4*) واخترْ لحظات الهدوءِ للحوارِ ... قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : «لِلْقُلُوبِ شَهْوَةٌ وَ إِقْبَالٌ ، وَ فَتْرَةٌ وَ إِدْبَارٌ ، فَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَ لَا تَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ فَتْرَتِهَا» : إِذَا زَجَرْتَ لَجُوجًا زِدْتَهُ عَلَقًا *** وَلَجَّتِ النَّفْسُ مِنْهُ فِي تَمَادِيهَا

فَعُدْ عَلَيْهِ إِذَا مَا نَفْسُهُ جَمَحَتْ *** بِاللِّينِ مِنْك فَإِنَّ اللِّينَ يُثْنِيهَا،(البحر البسيط).

مرسل : أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء»(1 / 134)،و الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي»(1 / 330)من طريق خلاد بن يحيىٰ،عن مسعر،عن معن بن مسعود موقوفًا، و مسعر هو ابن كدام،و معن هو ابن عبد الرحمن بن مسعود ، أبوه عبد الرحمن لم يسمع من ابن مسعود فكيف به؟... من كلام البَرْبَرِيّ ، أدب الدّنيا و الدّين : 79.

(5*) قال الذهبي – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ – :(قال يونس الصَّدَفي:ما رأيت أعقل من الشافعي ، ناظرته يوما في مسألة ،ثم افترقنا ،و لقيني ، فأخذ بيدي،ثم قال :يا أبا موسىٰ،ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتَّفق في مسألة)انظر:السير للذهبي (10 / 16،17) قلت [الذهبي]:هذا يدلّ على كمال عقل هذا الإمام ،و فقه نفسه،فما زال النُّظراء يختلفون، و قال ابن عطاء:" لا يوفق لجميل الأخلاق إلا الصابرون على خفض الخلاف ، و قد قال بعضهم :"صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني و بينهم خلاف فإني كنت معهم على نفسي"ومن كانت هذه شيمته كثر إخوانه... الأفضل أن يقال أراء واجتهادات لا نزاع ولا خلاف وهي رحمة من الله ومن قلّد عالما لقي الله سالما.

إنَّ الخلافَ يحتاجُ إلى شخصين بينما إيقافُ الخلافِ يحتاج إلى شخصٍ واحدٍ (*)فقط...

وإنَّ الخلافَ يحتاج إلى مخالِفٍ و مخالَفٍ له، بينما إيقافُ الخلاف يحتاج إلى مطاوِع: «تَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا...»؛الحَدِيث. فيا أخي العزيز :إنَّك تطاوع أخاك في الله لا تطاوعه لشخصه ومكانته، و إنّما تطاوعه من أجل غاية في ديننا و أسوةٍ حسنةٍ لرسولنا الكريم ﷺ:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، عَنْ أَبِيهِ ،قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا مُوسَى وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ: « يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا ،وَبَشِّرَا ،وَلَا تُنَفِّرَا ،وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا» (1)، وَ قَالَ ﷺ: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا» (2).

... أتريد أخي و عزيزي القارئ وصفة حاسمة أكيدة المفعول لتتجنب الانتقام و تتعلم الصّفح ، فالانتقامُ و القلقُ و الانفعالُ و الوسواسُ هي الأفكارُ و الصّورُ و الدّوافعُ الغريزيَّة التي قد تحدث بشكلٍ متكرِّرٍ ،وتفرض نفسَها على شكلِ صُوَرٍ مرئيَّةٍ تظهر و تختفي بسرعةٍ ، تظهرُ و تختفي فجأةً في العقلِ الباطنِ و تشعر بأنَّها خارجةٌ عن إرادتِك، و عادةً لا يريد الشّخصُ أَنْ يفكِّرَ بهذه الأفكار و يجدُها مضايقةً له و يجد نفسَهُ مُرْغَماً عليها و يشعر عادةً بأنَّ هذه الكوابيسِ لها معنىً في الحياة، فتبدأُ هذه الأفكار تؤثّر في القدرةِ على العملِ و النّومِ والشَّهيةِ و عدم الاستمتاعِ بمباهجِ الحياةِ مع انكسارِ النفسِ و هبوطِ المشاعرِ لتصبحَ رهينَة

(*) بينما إيقافُ الخلافِ يحتاج إلى شخصٍ واحدٍ فقط معنىً هذا أنّ الخلاف يقع بين اثنين أو جماعتين أو عرشين أو حتّى دولتين بينما الصلح قد يكون واحدا فقط كعالِم أو صالح أو حكيم أو عادي يجعل الله الخير على يديه فيصلح بين النّاس.

(1)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:64 – كتاب المغازي:61 –بَابُ بَعْثُ أَبِي مُوسَى وَمُعَاذٍ إِلَى الْيَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ. [رقم(4344)، (4345) ،مسلم (1733)و أحمد (4/ 412:19719..)،أبو داود(4835)]. وانظر: [«السلسلة الصحيحة »(1151)] باب العلم والسنة والحديث النبوي .

(زاد مسلم «ولاَ تَخْتَلِفَا »وهي عند البخاري ،3038)) وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 63 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير] .

(2)(صحيح ،متفق عليه):أخرجه البخاري من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في:3–كتاب العلم:11 –بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ،يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالعِلْمِ كَيْ لاَ يَنْفِرُوا . [رقم(69)،مسلم (1734)].

الحزنِ ،و هذه كُلّها سببُها التّفكير في مقابلة الإساءةِ بالإساءةِ. فيا عزيزي ينبغي علىٰ الكَيِّسِ أن يحتسبَ و يُقابِلَ الإساءةَ بالإحسانِ ،و أجرُه علىٰ اللهِ و اللهُ لا يضيع أجرَ المحسنين. كما جاء في سورة الشّورىٰ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشُّورَىٰ: ٤٠].

و كما صحَّ في الحديث: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَ مَا زَادَ اللهُ رَجُلاً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزّاً، وَ مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ »[1].إذا أتاك رجلٌ يشكو إليك رجلًا فقل له يا أخي اعف عنه، فإنَّ العفو أقربُ للتَّقوىٰ، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفوَ، فقل له : بابُ العفوِ واسعٌ فإنّه مَن عفا و أصلح ، فأجرهُ علىٰ الله لأنه أولىٰ بالعفوِ وهو ذو الجلال و الإكرامِ. و صاحب العفوِ ينام علىٰ فراشه بالليل هادئًا و صاحبُ الانتِصار لنفسِه يُقَلّبُ الأمورَ ثائرًا. وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمـد ،عن أبي هريرة:أن رجلاً شتم أبا بكر، والنّبيُّ ﷺ جالسٌ، فجعل النّبي ﷺ يَعْجَبُ ويَتبسمُ، فلما أكثر ردَّ عليه أبو بكر بعضَ قوله، فغَضِبَ النبي ﷺ وقام، فلحقه أبو بكر فقال: يا رسولَ الله ! كان يشتمني وأنت جالس فلما رددتُ عليه بعض قوله، غضبتَ وقمتَ، قال: «إِنَّهُ كانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشّيْطانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطانِ».ثم قال: «يا أبا بَكْرٍ ! ثَلاثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ: ما مِنْ عَبْدٍ ظُلِمَ بِمَظْلَمَةٍ فَيُغضِي عَنها لله - عَزَّ وَجَلَّ - إلا أعَزَّ الله بِها نَصْرَهُ، وَما فَتَحَ رَجُلٌ بابَ عَطِيَّةٍ يُرِيدُ بها صِلَةً إلا زادَهُ الله بها كثرةً. وما فتحَ رَجُلٌ بابَ مَسْألةٍ يُرِيدُ بها كَثْرَةً إلا زادَهُ الله - عَزَّ وَ جَلَّ - بها قِلّةً »[2]،و واجِبُنَا العمليّ يسديه لنا الإمام الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بقوله:

- يُخَاطِبني السَّفِيهُ بِكُـــلِّ قُبْحٍ *** فـــأَكْـرهُ أَنْ أكُـونَ لَهُ مُـجِيبَا

---

(1) أخرجه التِّرْمِذِيّ من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في: 25 - كتاب البر و الصلة عن رَسُول الله ﷺ: 82 - باب مَا جَاءَ فِي التَّوَاضُعِ. [رقم (2029)، وَ قَالَ: « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ »، صحيح: مسلم (2588)، و أحمد (2/ 235:7238)، و الدارمي (1718)].

(2) [(أحمد2/ 436:9671)]، والطبراني في «الأوسط» بنحوه، وانظر: [«السلسلة الصحيحة» (2231)].

- يـَزِيدُ سَفـَاهةً فأَزِيـدُ حِـلْمًـا ❊❊❊ كَـعُودٍ زَادَهُ الإِحْـراقُ طِيـبَا[1]

وقال:

- لَقَدْ أسمعُ القولَ الذِي كان كُـلَّما ❊❊❊ تُذَكِّرُنِيـهِ النَّفْسُ قـلبِـيَ يَصْـدَعُ
- فأُبْدِي لمن أَبْداهُ مِنِّي بَشاشـــةً ❊❊❊ كأنِّيَ مَـسْرورٌ بمَـا مِنهُ أَسْمَـعُ
- و مَا ذاكَ مِن عُجبٍ بهِ غيرَ أَنَّنِـي ❊❊❊ أرىٰ تـَرْكَ بعْضِ الشَّرِّ للشَّرِّ أَقْـطَعُ[2].

❊ ❊ ❊

(1) دِيوانُ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص: 91،92 مُـحَمَّدُ تَبَرْكَانُ أَبُو عَبد الله)، (الوافر).

(2) دِيوانُ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص: 26 مُـحَمَّدُ تَبَرْكَانُ أَبُو عَبد الله)،(الطّويل).

وَ فِي بَعْضِ النُّسَخِ : أرىٰ أنَّ تركَ الشَّرِّ للشَّرِّ أَقْطَعُ.

الفَصْل الرابع :

التسامـــح حيـــاة

أمراضُ قلوبِنَا و عقولِنَا و أنفسِنَا و أبدانِنَا وليدةُ أحقادِنَا (العقل المضطرب)

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣ ﴾[الأنفال: ٥٣]...ذكر سبحانه في سورة الرعد أنه لا يغير هذه الحالة من الحفظ للعبد حتىٰ يغير العبد ما بنفسه،و سبق في تفسير الأنفال من الجواهر الحسان للثعالبي بأنه سبحانه إذا أنعم علىٰ قوم نعمة ... لا يبدأ بتغييرها ...حتىٰ يغيروا حالهم الحسن.

... مسكينٌ من يريد أن ينتقمَ لنفسِهِ فإنّه من حيث لا يدري ينتقمُ من قلبِهِ و عقلِهِ و بدنِهِ، لأنَّ الانتقامَ يؤثِّر في صاحبه قبلَ أن يؤثِّر في الخصم، فبمجرد التّفكيرِ في الانتقامِ يفقد الإنسانُ العقل السَّوِيَّ و القلبَ السَّليمَ،و يُصبحُ مضطربَ التَّفكيرِ ... لأنّ نشوةَ الانتقامِ تدومُ لحظةً واحدةً، و يدومُ نَدَمُهَا و ضررُهَا طِيلةَ الدَّهرِ، و لذَّةُ العفوِ تدومُ إلىٰ الأبدِ في الدّنيا و الآخرةِ، – اللّهمّ ارزقنا و إخواننا لذَّةَ العفوِ، اللذّةُ الأبديّةُ لَذّةُ الدَّارِيْنِ –

-إذا قابلْتَ الإساءةَ بالإساءةِ، فمتىٰ تنتهي الإساءةُ ؟ ... ؟؟ ...؟؟...

-إذا قابلت الإساءةَ بالانتقامِ، فمتىٰ ينتهي الانتقامُ ؟

-إذا كنت تسعىٰ لكي تنتقم لإساءةٍ صغيرةٍ، فإنك تسعىٰ وَرَاءَ إساءةٍ كبيرةٍ.

-عن بشر بْنِ رافعٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قال : قال لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لِابْنِهِ :« يَا بُنَيَّ : لَا تَتْرُكْ صَدِيقَك الْأَوَّلَ، فَلَا يَطْمَئِنَّ إلَيْك الثَّانِي ، يَا بُنَيَّ : اتَّخِذْ أَلْفَ صَدِيقٍ، وَالْأَلْفُ قَلِيلٌ، وَلَا تَتَّخِذْ عَدُوًّا وَاحِدًا ، وَالْوَاحِدُ كَثِيرٌ »[1]:

"وَ ذُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَـــاءِ جَـمْعًا *** فَمـَا طَعْمٌ أَمَـــرُّ مِـنَ السُّؤَالِ

وَلَـمْ أَرَ فِي الْـخُطُوبِ أَشَدَّ هَوْلًا *** وَأَصْعَبَ مِنْ مُعَادَاةِ الرِّجَالِ "[2].

(1) أدب الدّنيا والدّين : 299،وانظر :وصايا لقمان وحكمه (ص: 57، 58 أحمد بن عاشور).

(2) من كلام صلاءة بن عَمْرٍو ؛ أدب الدّنيا والدّين : 245 .

... المسيئون و المنتقمون انفعالاتهم و ارتعاشهم و توتُّرات أعصابِهم و أمراضُهُم وليدةُ أحقادِهم ، لانّ صاحبَ العقلِ المنتقمِ يحملُ الأشياءَ التي تضايقُهُ بداخلِه، و في قلبِه و يتكلّمُ على كلِّ شيءٍ و لومرّ منذ سنوات، يتكلّم عنه و كأنَّه حدث الآن ،فيغضَب و يَتضايقُ مرةً أخرىٰ يتضايق من هذا و ذاك و يعيشُ المشكلَ مرَّاتٍ عديدةً، و كأنَّه وقع له الآن فَيَصْدُرُ له هذا من التّفكير في الانتقام فتصبح ذاتُهُ سُفْلِيَّةً طِينِيَّةً فيتثاقل إلىٰ الأرض فيمرَضُ قلبُه و تصبح نفسُه تأمره بالسّوءِ فيصاحبه الخوفُ، و اللّومُ و الحِقدُ و الغيْرةُ و المقارنة ،كما تحتوي نفسُه علىٰ الغضبِ و الخصامِ و الكذبِ و مقابلةِ الإساءةِ بالإساءةِ و الشّكوىٰ المستمرّةِ فتصلُ هذه الذاتُ بصاحِبها إلىٰ مرحلةِ الكراهيّةِ و الغضبِ و اليأسِ و التّشاؤمِ وعَيْشِ المشكلِ قبلَ وقوعِه،و تصبح مليئةً بالضّغوطِ النّفسيَّة الّتِي توصلُ صاحبَها إلىٰ القَلقِ و الإحباطِ و العيشِ في الماضي و الحاضرِ و المستقبلِ في حيِّزِ الخصوماتِ، و تتولّدُ عن ذلك الانفعالاتُ و الضّغوطاتُ العصبيّةُ و الأرَقُ و قد يكونُ مصحوبًا بالاكتئابِ الحادِّ ، و أعراضٍ أخرىٰ كسرعة الغضبِ دون سببٍ مع عدمِ الشّعورِ بالأمانِ ، و يَصعُبُ عليه التَّركيزُ و يستحيلُ عليه الاسترخاءُ ،و تَنْعَدِمُ عنده اللّذةُ و الارتياحُ ، و بشكلٍ عامٍّ فإنَّ المرضَ يبدأ مع بدايةِ التّفكيرِ في الانتقامِ .والمشكلةُ أنَّ هذه التّغيّرات الفسيولوجيَّة لا تقتصر علىٰ موقفِ الغضبِ نفسه،وإنّما من الممكنِ أَنْ تَحْدُثَ هذه التغيراتُ في الجسم للأشخاص الّذين يسترجعون هذه المواقفَ في ذاكرتِهم ،فيستمرُّ العِبْءُ علىٰ القلبِ والأوعيَّةِ الدمويَّةِ لفَتراتٍ طويلةٍ، ولذلك فهذهِ المجموعةُ عرضةٌ أكثرُ من غيرهَا لتأثيرِ الضّغطِ علىٰ الأوعيّة الدمويّة في شَبَكَةِ العينِ وفي القلب وفي الكِلَىٰ .....بمعنىٰ أنَّ زيادةَ الضّغطِ بخمسة ملم من الزئبق لفتراتٍ طويلةٍ أَخْطَرُ بكثير من أن يرتفعَ الىٰ 180 ملم من الزِّئبق لدقائقَ معدودةٍ ،وقد أوضحت تلك الدِّراسةُ أَنَّـهُ يجبُ قطعُ الطّريقِ علىٰ إعادةِ تذكّر تلك المواقفِ التي ثار فيها غضبُ الشَّخصِ

... كذلك يبدو أنَّ كيمياءَ المخِّ تلعبُ دورًا في بداية مَرَضِ القلَقِ و الغضبِ، و تُوَلِّدُ لدىٰ صاحبه فقدانَ الثّقةِ بالنّفسِ ،و يَنتجُ عَنْهَا صراع نفسي غير واعٍ في العقلِ الباطنيِّ، فيؤرِّقه ذلك فيقضي لَيْلَهُ بأكملِهِ وهو يتقلّبُ علىٰ فِراشِهِ وله أكثر من مئة خطّة تُضَايِقُهُ علىٰ خَصْمِهِ ، هذا هو الدّاء .... ، وصاحب العفو يقول : *خطة واحدة تكفيني : السّمَاح* ،

(*اللّهمّ إنِّي عفوت لوجهك الكريم عمَّنْ ظلمني*) ، هذا هو الدّواء . فإذا عُرِفَ السّببُ سَوف يزول العجبُ! وإذا أردت أن تتحصّل علىٰ الدّواء فيجب عليك فَهْمُ الدّاءِ.لأنَّ فَهْمَ الدّاءِ هو نِصْفُ الدّواءِ، و هو إن شاء الله الطّريق إلىٰ الشّفاء ...

... « دواؤُكَ مِنْكَ وَمَا تُبْصِرُ .. و داؤك فيك و ما تشعر

و تحسب أنّك جِرْمٌ صغير* .. و فيك انطوىٰ العالَـمُ الأكبر»[1].

* و تحسب أنّك جِرْمٌ صغير ...جسم الإنسان و لو صغيرا فإن فيه كثيرا من عجائب العالَم.

(1) من كلام و حكم الصحابي الجليل عليّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -،(البحر المتقارب).

و الـــدّواء:

الدواء يكون بتوجيه انتباهه وتركيز فكره إلى أشياءَ أخرىٰ إيجابيّةٍ أكثرُ جمالًا في حياته سواء من الشّخص نفسه أو ممّن يحيطون به، ولذلك تجدُ أنَّ ديننَا الحنيف حثّنا كثيرا علىٰ تركِ الغضـبِ :«لاَ تَغْضَبْ....»[1]،الْحَدِيثَ . وبالعفو و الصفح: «... وَانْسَ اثنين ... و أَمَّا اللَّذان تنساهما:إحسانُك في حقِّ الغير ، و إساءةُ الغير في حَقِّك »[2]،كمحاولة لِقطـع الطّريق علىٰ تذكّر تلك المواقفِ التّي تثير غضبَ الشّخص من جديد

... فو الله لَرَبُّنَا أرحمُ بِناَ من أنفسِنَا، فو الله لربُّنا أرحم بِناَ من عقولنا،فو الله لربّنا أرحم بِناَ من جهازِنا العصبي .لأنَّ ربَّنَا يغفر لنا أخطاءَنا عندما نستغفره ولكنّ جهَازَنا العصبي لا يغفرها لنا أبدًا.

... يتركز علاج هذا النَّوعِ من صاحب الأعصاب الثّائرةِ علىٰ مفهوم أنَّ الأعراضَ كلَّها تصدرُ من التّفكير في الانتقام و يجب أن يعرفَ الدَّاءَ كي يَسْهُلَ الدّواء، مع الفهم المتزايد و تحسين التّفكير من (العقل الـمضطرب ذي التّفكير الانتقاميِّ) إلى أن يشاء الله لصاحب العقل الـمتَّزن و التفكير السوي.أنْ يقولَ:خُطّةٌ واحدةٌ تكفيني (سامحتُ...)الحلُّ الوحيدُ للخروج من هذه الكوابيس،خطّةٌ واحدةٌ تكفيني كيْ أُريحَ رأسي: المسامحةُ

---

* الدواء يكون بتوجيه انتباهه ... يعني بتوجيه الانتباه و تركيز الفكر في أشياء أخرىٰ إيجابيّة أكثرُ جمالًا في الحياة.

(1) (صحيح): أخرجه البخاري في : 78 - كِتَابُ الأَدَب : 76 - بَابُ الحَذَرِ مِنَ الغَضَبِ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ :﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٣٤]، وَ قَوْلِهِ - عَزَّ وَ جَلَّ -: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الشُّورَىٰ: ٣٧] . [رقم (6116)، التِّرْمِذِيّ (2020)].

(2) قال لقمان الحكيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لابنه : «اذكر اثنين وَ انْسَ اثنين : أَمَّا اللَّذان تذكرهما: فالله ،و الموت. وأمَّا اللَّذان تنساهما : إحسانك في حقِّ الغير ، و إساءة الغير في حقِّك».. - دير الخير و انساه -.روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل حقي : 3 / 48، وانظر :وصايا لقمان وحكمه (ص : 142 أحمد بن عاشور).

وواجِبُنَا العمليّ يُسَديهِ لنا الرّاسخون في العلم بقولهم :

وَلَكِنْ إِذَا مَا جَلَّ خَطْبٌ فَسَامَحَتْ ❊❊❊ بِهِ النَّفْسُ يَوْمًا كَانَ لِلْكُرْهِ أَذْهَبَا[1].

وَأَنْشَدَ آخر :

مَنْ حَطَّ ثِقْلَ حُمُولِهِ ❊❊❊ فِي بَابِ مَالِـــكِهِ اسْتَرَاحَا

إن السَّلَامَةَ كلَّـهَا ❊❊❊ حَصَلَتْ لِـمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَا[2].

وقال الإمام الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:

لَـمَّا عَفَوْتُ ولـمْ أَحْقِد عَلَى أَحَـدٍ ❊❊❊ أَرَحْتُ نفْسي مِنْ حمل المشقات[3].

❊ ❊ ❊

(1) لسان العرب: (2/ 419)،(البحر الطّويل).

(2)...(البحر الكامل مَـجْزُوٌّ).

(3) دِيوانُ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص: 39 مُـحَمَّدٌ تَبَرْكَانُ أَبُو عَبد الله)،(البسيط).

حســـن الخُلُـقِ

حسنُ الخلقِ أعلىٰ درجاتِ الإحسان ، ومن أجله جاءت رسالةُ الرّحيم الرّحمن ، نجده في خلق سيّدنا محمّد ﷺ الرّسول الإنسان، طالما كان باعثُهُ الإيمانُ وجاء في ذلك شهادةُ الواحد الدّيان ،لمدح و ثناء و تعداد محاسنِ النّبيّ ولدِ عدنانَ ﷺ.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾(1*)، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٥، ٢١٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القَلَم: ٤].

وسئلتْ أمُّنا عائشةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- عن خلق الرسول ﷺ فقالت: « كان خُلُقُهُ القرآنُ» ومعنىٰ هذا أنه -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ-، صار مَثَلاً أعلىٰ للقرآن الكريم، أمرا ونهيا ، سجيةً له، وخُلُقًا تَطبَّعَه ، وتركَ طبْعُه الجِبلِّي فَما أمره القرآن فعلَه،وما نهاه عنه تركَه.هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم، من الدِّين واللين والإحسان ، والعلم، و الحِلْم ، والصَّبْر ، والشكر ، والعدل ، والزُّهد ، والتواضع، والعَفْو ، والعِفّة ، والجُود ، والشجاعة ، والحَيَاء ، والْـمُرُوءَة ، والصَّمْتِ ، والتُّؤَدة ، والوقار ، والمعاملة الطيبة والرأفة والرحمة والأخوة والشفقة وحُسْن الأدب ، والمعاشرة ، وأخواتها ، وهي الّتي جِمَاعُها حُسْنُ الخُلُقِ ،فقد قال خادمه ، أَنَسٌ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ، وَلَا: لِـمَ صَنَعْتَ، وَلَا: أَلَّا صَنَعْتَ(2).

(1*) [آل عِمْرَان: ١٥٩]،ومعنىٰ ﴿ فَظًّا ﴾ : أي سيئ الخلق : غليظ القلب : أي قاسيه.

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في: 78- كتاب الأدب : 39 - باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل. [رقم(2038)، مسلم (2309)].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ،قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ* فِي خِدْرِهَا [1].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ،قَالَ: لَـمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا» [2].

و مما روىٰ الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّما بُعِثْتُ لأتَمِّمَ مَكارِمَ الأخلاق »وفي روايةٍ: «صالح الأخلاقِ» [3].

و قد حثَّ رسول الله ﷺ كثيرًا علىٰ حُسن الخُلق فقال : «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَ أَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا ،... » [4] الْـحَدِيثَ .

و أوصىٰ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ و السَّلَامُ- أبَا ذَرٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فقال: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ* ، وَ أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَ خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» [5] ، و هذه الوصيَّةُ لكافّةِ المسلمين ،و من كَرَمِ الله سبحانه و تعالىٰ أنه يُثيبُ علىٰ حُسن الخُلُق و العملِ الصّالح بالأجر العظيم و يرفع لـه

---

* العذراء:البكر ... و الخدر: ستر تجعله البكر في جنب البيت أي أشد حياء من البكر حال اختلائها بالزوج الذي لم تعرفه قبل و استحيائها منه.

(1)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في: 61 – كتاب المناقب : 23 – بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ. [رقم(3562)،مسلم (2320)].

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في: 61 – كتاب المناقب : 23 –بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ. [رقم(3559)،مسلم (2321) و أحمد (2/ 161:6514)]. وانظر: اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص: 27 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، باب كثرة حيائه ﷺ] .

(3)[رواه البخاري في " الأدب المفرد" رقم (273)، و ابن سعد في الطبقات ،(1/ 192) والحاكم (2/ 613) وأحمد(2/ 381:8991)]، وانظر: [«السلسلة الصحيحة»(45)]باب الأخلاق والبر والصلة.

(4) رواه التِّرْمِذِيّ في :25 – كتاب البر و الصلة : 71 – باب مَا جَاءَ فِي مَعَالِي الأَخْلَاقِ . [رقم (2018)، أحمد (2/ 218:7065)]، وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ :« هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ ».

* « اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ »: أي في أي مكان كنت حيث يراك الناس و حيث لا يرونك فإن الله تعالىٰ يراك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾.

(5)[رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (1987)]،وَقَالَ : « حَدِيثٌ حَسَنٌ»،وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ : «حَسَنٌ صَحِيحٌ»،[أحمد (5/ 153:21412..)، و الدارمي (2833)]. و حسَّنه الألباني في صحيح الجامع (97).

الدرجاتِ، و يملأ به الحسنـــاتِ.فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ »[1].

وعن عبد الله بن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ، قال: سُئل النبي ﷺ : « أيُّ الناس خيرٌ؟. قال: أحسنُهم خُلُقًا»[2].

فقال العلماء في صاحب الخُلُقِ الحسن : " كثيرُ الحياءِ ، قليلُ الأذىٰ ،كثيرُ الصلاح ، صدوقُ اللّسان ،قليلُ الكلام، حليمًا ،وفيًّا ،عفيفًا ،صابرًا ،رحيمًـا ،لا لعّانًا و لا سبّابًا و لا نمامًا و لا حسودًا،يحب في الله ، و لا يحقد علىٰ خلق الله."

وَقال ابن قيم الجوزية -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: "جمعَ النّبيُّ ﷺ بين : تقوىٰ الله ، وحُسْنِ الخُلُقِ ...لأنَّ تقوىٰ الله تُصلِحُ ما بين العبد وبين ربِّه ، وحُسْنُ الخُلُقِ يُصْلِحُ ما بينه وبين خلقِهِ؛ فتقوىٰ الله تُوجِبُ له محبةَ الله، وحُسْنُ الخُلُقِ يدعو النّاس إلىٰ محبَّتِهِ" [3].

و واجِبُنَا العمليّ يسديه لنا شيخنا العالـم العارف بالله العلامة الفقيه المعروف بسي عبد القادر بن سالـم بقوله : "عليكم بهذين قرءان يُتلىٰ وقرءان مُـجَسَّدٌ متمثِّلٌ في أقواله وأفعاله و تقريراته ﷺ. فعليكم بهذين لن تضلوا ما تمسكتم بهما".

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه أبو داود في: 35 – كِتَاب الأَدَبِ: 8 – باب حُسْن الخُلُق .[رقم (4799)، أحمد (6/ 446:27587)، و التِّرْمِذِيّ مطولاً (2002)]، وانظر:[«السلسلة الصحيحة» (876)]باب الأخلاق والبر والصلة.

(2) [الهيثمي :مجمع الزوائد – الصفحة أو الرقم: (8/ 28)]،وانظر:[« السلسلة الصحيحة» (1837)]باب الأخلاق والبر والصلة.

(3)انظر : كتاب الفَوَائِدُ – فصل فيه العبر و المواعظ (تقوىٰ الله ، و حسن الخلق ص: 76).

كيف نعيش إيجابيًا مع الحياة و نعالج نتائجها السلبيـة ؟

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البَقَرَة: ٢١٤]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٣٩ - ١٤٢]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾[العَنكَبُوت: ١ - ٣]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾[مُحَمَّد: ٣١](*1).

...كيف نعيش إيجابيين مــع الحياة و نعالج نتائجها السّلبيّة، بالتي هي أحسن؟ كلُّنا بلا استثناء نتعرّضُ لمشاكل وأحداثٍ يوميّةٍ، حيث إنَّ الحياةَ بدوافعِها أصبحت وكأنّها مَصْنَعٌ للقلقِ ،ومبعثٌ للهلَعِ والفَرَقِ(*2)،ولكنّ نوباتُ الاكتئاب الحادِّ والتّوتُّرِ و الانهيارِ العَصَبي لم تنشأ من الأحداث اليوميّة لأنَّ الأحداثَ اليوميّة تبدو أمرًا طبيعيًّا ،وهذه سنّةُ الحياةِ من بداية

(*1) الآيات في ذلك : [آل عِمْرَان: ١٤٣-١٥٤]-[آل عِمْرَان: ١٧٩]-[التَّوبة: ١٦] -[الأحْزَاب: ١٠-١٢]-[الصَّافَّات: ٩٩ -١١١] - [صَ : ٤١ - ٤٤] ... وللاستزادة في معرفة فوائد الصَّبْرِ على البَلَاءِ انظر : سُنَن التِّرْمِذِيّ 34/ 31 –كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ: 57 - باب مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى البَلَاءِ .. [التِّرْمِذِيّ (2396.....)]..

(*2)الفَرَقُ أي الخوفُ .

حياة البشرِ ،فأبونا آدم و أمّنا حواء -عَلَيْهِمَا السَّلامُ- كانا في الجنّةِ يأكلان منها رغدًا [1*]،ويسعدان بالنّعيم مؤبّدًا،فأُنزِلاَ إلى دار الإمتِحَانات ، و أصبَحا يأكلان من المكدِّرَات، وكلُّ فردٍ في هذه الدّنيا له نصيبُه من الأحداثِ اليوميّةِ :

" وَ بَلَوْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا فَإِذَا *** كُلُّ امْرِئٍ فِي شَأْنِهِ يَسْعَى " [2].

... هنالك مشاكلُ ولكن ينبغي أن لا يكون بعد المشاكلِ فَشَلٌ، وإنّما بعد المشاكلِ تجاربٌ وعملٌ [3*]. هناك إختبارات ولكن ليس بعد الاختبارات دائماً إهانةٌ، وإنّما بعد الاختبارات في الغالب تكريمٌ ومكانةٌ. و بعد الإِخْتِبَارِ وَ الإِمْتِحَان يُكْرَمُ الْـمَرْءُ أَوْ يُهَانُ؟

فيُكرَمُ ويكرم ويكرم،يكرم أوّلاً بالصَّبر، وثانيًا بالتَّجَارب،وثالثًا بالحكمة أيّ: يصبح حكيما، فَيَصْلُبُ عُودُهُ وَ يَسْتَقِيمُ عَمُودُهُ ،وَ يَكْمُلُ بِأَدْنَى شِدَّتِهِ وَ رَخَائِهِ ،وَ يَتَّعِظُ بِحَالَةِ عَفْوِهِ وَ بَلَائِهِ :

" مِـحَنُ الْفَتَى تُـخْبِرْنَ عَنْ فَضْلِ الْفَتَى *** كَالنَّارِ مُخْبِرَةٌ بِفَضْلِ الْعَنْبَرِ "[4].

فإذا أَرَدْتُم أَنْ تتخلَّصُوا من موروثِ سنواتِ الانطواءِ، فعليكم بقراءة قِصَصِ

(1*) فأبونا آدم و أمّنا حواء -عَلَيْهِمَا السَّلامُ- كانا في الجنّةِ يأكلان منها رغدًا ، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[البَقَرَة: ٣٥ – ٣٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾[طه: ١١٧ – ١٢٣].

(2) أَدَب الدُّنْيَا و الدِّين : 409،(البحر الكامل).

(3*) ليس هنالك فشل في الحياة و إنما هنالك تجارب : الأخطاء تساوي الأهداف.

(4) أَدَب الدُّنْيَا و الدِّين: 408،(البحر الكامل أيضا).

الأنبياءِ(*1) -عَلَيْهِمُ السَّلامُ- من قصّة سيّدنا أيوبَ وسيّدنا يوسفَ وكلِّ الرّسلِ -عَلَيْهِمُ السَّلامُ- كي تهونَ عليكم كلُّ مشاكلَ حياتِكم اليوميّة في هذه الدّنيا وعليكم أن تتذكّروا بأنّنَا على المحك، ومرجعُنا إلى دار الجزاءِ والمستقرِّ الخالية من المشاغلِ والكدَرِ. كي تُبْنى هذه القناعة على أسُسٍ

(*1)

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ ﴾ أي: قصص الأنبياء والرسل -عَلَيْهِمُ السَّلامُ- مع قومهم ﴿ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ أي: يعتبرون بها، أهل الخير وأهل الشر، وأن من فعل مثل فعلهم ناله ما نالهم من كرامة أو إهانة، ويعتبرون بها أيضًا، ما لله من صفات الكمال والحكمة العظيمة، وأنه الله الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له. وقوله: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ أي: ما كان هذا القرآن -الذي قص الله به عليكم من أنباء الغيب ما قص- من الأحاديث المفتراة المختلقة ﴿ وَلَٰكِن ﴾ كان ﴿ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ من الكتب السابقة، يوافقها ويشهد لها بالصحة، ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يحتاج إليه العباد من أصول الدّين وفروعه، ومن الأدلة والبراهين.

﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ فإنهم -بسبب ما يحصل لهم به من العلم بالحق وإيثاره- يحصل لهم الهدى، وبها يحصل لهم من الثواب العاجل والآجل، تحصل لهم الرحمة.

-فصل-

في ذكر شيء من العبر والفوائد التي اشتملت عليها هذه القصة العظيمة، التي قال الله تعالى في أولها: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾، وقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴾، وقال في آخرها: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾، غير ما تقدم في مطاويها من الفوائد. فمن ذلك: أن هذه القصة من أحسن القصص وأوضحها وأبينها، لما فيها من أنواع التنقلات، من حال إلى حال، ومن محنة إلى محنة، ومن محنة إلى منحة ومنّةٍ، ومن ذل إلى عزّ، ومن رقٍّ إلى ملك، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع وائتلاف، ومن حزن إلى سرور، ومن رخاء إلى جدب، ومن جدب إلى رخاء، ومن ضيق إلى سعة، ومن إنكار إلى إقرار، فتبارك من قصها فأحسنها، ووضحها وبيَّنها. (تَفْسِير العَلاَّمة الشَّيخ عَبد الرَّحمن بن نَاصِرٍ السَّعديِّ للآية الكريمة [111] من سورة [يوسف] بن يعقوب -عَلَيْهِمَا السَّلامُ-).

ثابتةٍ فانظروا كيف أنَّ الله – عزَّ وجلّ – الواحد الأحد الصّمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفؤا أحد الذي لم يتَّخذْ صاحبةً و لا ولدًا الذي لا إله إلّا هو وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كلّ شيء قدير ... لما ختم كتبَه بالقرآنِ و ختم رسالاتِه بالإسلامِ ، و ختم النّبيّين بسيّدنا محمّد خيرِ الأنام عليه أفضلُ الصّلاة و أزكى السّلامِ .أكَّد هذه الحقيقة وكرَّر ذلك في كثير من الآيات ، وذكر الحكمة من وجودنا في هذه الحياة .وأعلن اللهُ الواحدُ الأحدُ في كتابه وحدانيتَه و أكَّد ذلك بإبلاغِه لخلقه، و صدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله الكريم:

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[البَقَرَة: ١٣٣]،و القائل:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٨]، و القائل:﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إِبْرَاهِيم: ٥٢]، و القائل أيضا:﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسْرَاء: ١١٠، ١١١]،و القائل:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهْف: ١١٠]، وَقَالَ تَعَالَى:﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[الصَّافات: ١٨٠ – ١٨٢](*1).

(1 *) الآيات في ذلك : [البَقَرَة: ١٣٦]–[آل عِمْرَان: ٦]–[آل عِمْرَان: ٥٩ –٦٨]–[المَائدة: ٧٣]–[الأنعَام: ١٤ –١٩] –[الأنعَام: ٧١]–[الأنعَام: ١٠١ –١٠٣]–[الأنعَام: ١٦١ – ١٦٥]–[التَّوبَة: ١٢٩]–[يُوسُف: ٣٩، ٤٠]–[الرَّعْد: ١٦]–[الرَّعْد: ٣٠]– =

قَالَ عزَّ من قَائِل: ﴿ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٥ ﴾[آل عِمۡرَان: ٩٥]، وَقَالَ أَصْدَقُ القائلين: ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾[النِّسَاء:١٢٢].

صدق اللهُ العزيزُ الوهَّابُ ، الكريمُ التَّوابُ ،ربُّ الأربابِ ،ومسبِّبُ الأسبابِ ،وخالقُ خلقِهِ من ترابٍ ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (1) ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ﴾ (2) ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠ ﴾ (3)

صدق من لم يزلْ جليلا ، صدَقَ من اتَّخذناه وكيلا (*4)،صدق من حَسْبُنا به كفيلا صدق الهادي إليه سبيلا ،صدق مَنِ اتَّخذ إبراهيم خليلا ،صدق الذي خلقَ كلَّ شيءٍ فقدَّرَهُ تقديرًا ،صدق الله الذي لم يتخذْ صاحبةً ولا ولدًا، ولم يكن له شريكٌ في الملك ولم يكن له وليّ من الذّلِّ وكبِّرْهُ تكبيرًا .

... وهذا هو أعلى الحقوقِ وأعظمُهَا ، وهو حقُّ الله الواحد – عزّ وجلّ – أن يُعْبَدَ وحدَه لا شريكَ له، ثم بعدَه حقُّ المخلوقين. هكذا يبيِّن لنا الخالقُ – عزّ وجلّ – ،أصحَّ وأسلمَ السُّبلِ، ويعطينا الأسوةَ الحسنةَ والمثلَ ، فيما ابتلى به الأنبياءَ وأولي العزم من الرُّسُلِ ، وكان الصَّبرُ

= [النَّحل: ١ – ٢٢]–[النَّحل: ٥١ – ٥٤]–[مَرْيَمَ:٣٤ – ٣٦]–[طه: ٨]–[طه: ١٤]–[الأنبيَاء: ٢٥]–[الأنبيَاء:١٠٨]–[الحَجّ: ٣٤]–[المؤمِنُون: ٩١، ٩٢] –[المؤمِنُون: ١١٥ – ١١٨] –[الفُرقان: ٢]–[النَّمل: ٥٩ – ٦٥]–[القَصَصْ: ٧٠ – ٧٣]–[القَصَصْ: ٨٧، ٨٨]–[العَنكبوت: ٤٦]–[الرُّوم: ١٧ – ٢٨]–[الرُّوم: ٤٠] –[فَاطِر: ٣]–[الصَّافَّات: ٤، ٥]–[صٓ: ٦٥، ٦٦]–[الزُّمَر: ٤، ٥]–[غَافر: ١ – ٣]–[غَافر: ٦٢]–[غَافر: ٦٥]–[فُصِّلَت: ٦]–[الشُّورىٰ: ١١]–[الزُّخْرُف: ٨١ – ٨٩]–[الدّخان: ٨]–[الجَاثِيَة: ٣٦، ٣٧]–[مُحَمَّد: ١٩]–[الحَشْر: ٢٠ – ٢٤]–[التَّغَابُن: ١٣]–[النِّسَاء: ٨٧]–[النِّسَاء: ١٧١]–[الأنعَام: ١٦١]–[التَّوبَة: ٣١]–[الإسْرَاء: ٤١ – ٤٤]–[الإسْرَاء: ٦٦]–[مَرْيَمَ: ٩٢ – ٩٨]–[طَه: ٩٨]–[الفُرقان: ٢]–[الجنّ: ١ – ٣]–[المُزَّمل: ٨، ٩].....

(1) [غـــافر: ٣]

(2) [غـَافر: ١٥]

(3) [الرَّعْد: ٣٠]

(*4) صدق من اتَّخذناه وكيلا أي : توكلنا عليه : ﴿ رَبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا ﴾.. صدق من حسبنا به كفيلا أي اتَّخذناه كفيلًا يرزقنا و يوفّقنا و يهدينا.

مفتاحَ الفَرَجِ وبابَ الأملِ ، وهو الدّواءُ لهذا الإنسانِ المخلوقِ من عجلٍ (1*).

أين أنتم من ذلك؟ أين صبرُكم في هذه الحياة ؟أين صبركم الجميلُ؟ أين رضاكم بقضاء الله وقدرِه؟ لا بدَّ أن نرضى بقضاء الله وقدره ونشكر اللهَ – عزَّ وجلّ – ونوحِّدَه جميعًا ونكثرَ من قراءة سورة الإخلاص لأنَّ فيها توحيدَ الله الواحد الأحد ...، "قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البَقَرَة: ٢٢] و قد استدلَّ بها كثيرٌ من المفسِّرين كالرَّازي وغيرِه على وجودِ الصَّانعِ تعالى فقال : وهي دالةٌ على ذلك بطريق الأَوْلَى ، فإنَّ من تأمّل هذه الموجوداتِ السُّفليَّةَ والعلويَّةَ، واختلافَ أشكالِها و ألوانِها و طباعها و منافعها ووضعِها في مواضعَ النَّفعِ بها محكمةً ، عَلِمَ قدرةَ خالقِها وحكمتَه و علمَه و إتقانه و عظيمَ سلطانِه ، كما قال بعضُ الأعراب، وقد سُئِلَ : ما الدّليل على وجودِ الرَّب تعالى ؟ فقال : يا سبحانَ الله ! إنّ البعرةَ لتدلُّ على البعيرِ ، و إن أثَر الأقدامِ ليدلُّ على المسيرِ ، فسماءٌ ذات أبراجٍ، وأرضٌ ذات فِجاجٍ ،و بحارٌ ذات أمواج،ألا يدلّ ذلك على وجود اللّطيف الخبيرِ ؟!.

(1*) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [يُوسُف: ١١٠]

أبقى لنا الدهر هتافًا على حـــزن *** عـلى قلوبهم الغـــماء والْغَمَرُ
إن لم تداركهم نعـــماء تنشـــرها *** يا أرجح الناس حلمًا حين تُختَبَرُ

إلى أن قال :

فألبس العفو من قد كنت ترضعه *** من أمهاتك إن العفو مشتـهـر
يا خير من مرحت كُمّت الجياد به *** عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
إنـا نؤمـل عفـوًا منـك تلبسـه *** هادي البرية إذ تعفـو وتنتصر
فاعف عفا الله عـمّا أنت راهبه *** يوم القيامة إذ يُهْـــدَى لك الظفرُ

شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ،(البحر البسيط).

وعن الشَّافعي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- : أنه سُئِلَ عن وجودِ الصّانع ، فقال : هذا وَرَقُ التُّوتِ طبيعةٌ واحدةٌ ، يأكله الدّودُ فيخرجُ منه الإبريسمُ ، ويأكله النّحلُ فيخرج منه العسلُ،وتأكله الشاةُ و البقرُ و الأنعام فتلقيه بعرًا و روثاً،وتأكله الظّباءُ فيخرج منها المسكُ ، وهو شيء واحد. وعن الإمام أحمد بن حنبل : أنه سُئِل عن ذلك فقال : ههنا حِصْنٌ حَصِين ،أملسُ ليس له بابٌ و لا مَنْفَذٌ ظاهره كالفِضَّة البيضاءِ ، و باطنه كالذهبِ الإبريزِ ، فبينما هو كذلك إذ انصدع جدارهُ ، فخرج منه حيوانٌ سميعٌ بصيرٌ،ذو شكلٍ حسنٍ و صوتٍ مليحٍ.يعني بذلك البيضةَ إذا خرج منها الطّير. وسُئِل - أبو نواس - عن ذلك فأنشد :

تأمَّلْ في نبات الأرض وانْظُرْ ❊❊❊ إلى آثارِ ما صَنَـــــــعَ المليكُ

عيونٌ من لُجَيْنٍ شاخصـــــاتٌ ❊❊❊ بأحداقٍ هي الذهــبُ السبيكُ

على قُضُبِ الزَّبرجدِ شاهـداتٍ ❊❊❊ بـــــأنَّ اللهَ ليــسَ لـه شريكُ

وقال آخرون : مَن تأملَ هذه السَّمواتِ في ارتفاعها و اتِّساعها وما فيها من الكواكب الكبار والصّغار النيِّرةِ من السَّيارة و من الثَّوابتِ ، و شاهدَها كيف تدورُ مع الفلَكِ العظيم في كلِّ يوم و ليلة دورةً و لها في أنفسها سَيْرٌ يخصُّها،ونظر إلى البحار المكتنِفة للأرض من كلِّ جانبٍ،والجبال الموضوعة في الأرض لتقرَّ و تسكن بساكنيها ، مع اختلاف أشكالها وألوانها، كما قـــال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر: ٢٧ ، ٢٨] ؛ وكذلك هذه الأنهار السَّارحةُ من قُطْرٍ إلى قُطْرٍ لمنافعِ العباد ، وما ذرأ في الأرض من الحيوانات المتنوّعة ، والنبات المختلف الطّعوم و الأراييح و الأشكال و الألوان ، مع اتحاد طبيعة التُّرْبَةِ و الماء ، استدلَّ على وجود الصَّانع و قدرته العظيمةِ،وحكمته و رحمته

بخلقه و لطفه بهم،وإحسانِه إليهم و برّه بهم ، لا إلهَ غيرُه ، و لا ربَّ سواهُ ، عليه توكلت وإليه أنيبُ ، و الآياتُ في القرآن الدّالةُ على هذا المقام كثيرةٌ جدًّا "[1]:

- فَيَا عَجَبِي كَيْفَ يُعْصَى الإلَـ ❊❊❊ ـهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَـــدُهُ الجَاحِدُ
- وَلله في كُـلِّ تَحْرِيكَـــــةٍ ❊❊❊ و تَسْكِينَـــــةٍ أبَـداً شَاهِـــدُ

(1) تفسِيرُ العالِمِ الفقيه المفتي المحدث الحافظ ابنْ كثير لجزء من الآية الكريمة [22] من سورة [البَقَرَة].

- وَ فِي كُـلِّ شَيْءٍ لَـهُ آيَـــــةٌ ❊❊❊ تَدُلُّ عَلَى أَنَّـــهُ وَاحِـــــدُ[1]

وحِّدُوا من لا ينسَى و لا ينامُ، و حِّدُوه وحِّدُوه في صفاته وأسمائه وأفعالِه

عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ *، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِ فَيَخْتِمُ بِـ:﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: « سَلُوهُ. لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ»؟ فَسَأَلُوهُ .فَقَالَ : لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ ،وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ»[2].

وَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -،قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ :إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ ،فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ،ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ:

---

(1) دِيوان الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص : 15 مُـحَمَّدٌ تَبَرَّكَانٌ أَبُو عبد الله) و انظر ديوان «ابن المعتز – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –»،(المتقارب) .

* «عَلَى سَرِيَّـةٍ » الفرق الواضح بين السّريّة و الجيش أنّ السّريّة ليس فيها رسول الله ﷺ بينما الجيش فيه رسول الله صلّى الله عليه و سلّم و ءاله و صحبه ، و قيل: السرية : القطعة من الجيش سميت سرية لأنها تسري في خفية.

(2)(صحيح ،متفق عليه): [(البخاري (6466)و مسلم (813)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 669 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، باب فضل سورة : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾].

إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ،وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ»[1] .

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦ ﴾[2*]..

﴿ وُدًّا ﴾ أي : حبا في قلوب عباده المؤمنين :

... فليتكَ تحلو و الحياةُ مريرةٌ ** و ليتكَ ترضَى و الأنامُ غِضابُ

و ليتَ الذي بيني و بينَكَ عامرٌ ** و بيني و بينَ العالمينَ خرابُ

إذا صحَّ منكَ الوُدُّ فالكلُّ هيّنٌ ** و كلُّ الذي فَوقَ الترابِ ترابُ[3].

* * *

(1)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:97 – كتاب التوحيد : 33–بَابُ كَلاَمِ الرَّبِّ مَعَ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - وَنِدَاءِ اللهِ المَلاَئِكَةَ.

[رقم(7485)، مسلم (2637)،و أحمد(2/ 514: 10728..)، التِّرْمِذِيّ(3172)]. وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص: 564 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده] .

(2*)[مَرْيَمَ :٩٦] .. الآيات في ذلك [آل عِمْرَان : ١٥٩]–[طـه :٣٩]..

(3) ديوان أبي فراس / دار بيروت للطباعة ، ط1 ، 1986 ص 27 ، وانظر بائية أبي فراس الحمداني«يتيمَة الدَّهْر في محاسِن أهْل العَصْر للثعَالبي النيسَابُوري»الروميات من غرر أبي فراس/ الجزء 1/ ص: 95/ ط1/ بيروت ،و انظر مناجاة رابعة العدوية ،وانظر ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العبكري المسمى« بالتبيان في شرح الديوان » و هو البيت الحادي و الأربعون من قصيدته .

« إنَّ المؤمنَ إذا أبصر العاقبة أَمِنَ النَّدامة »[1].

قصّة الخضر مع موسىٰ - عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ - اقرأ و تأمّل

و لْننظرْ إلىٰ القدَرِ المحضِ الذي هو نموذجٌ و أكبر نموذج في الأمور التي ظاهرها أمر و باطنها غير ذلك ،ظاهرُها كُرْهٌ و باطنها صلاح دينٍ و دنيا:﴿ ... وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾

• ظاهره: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾.

❊ و باطنه: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾ ،«فإذا جاء الذي يُسَخِّرُهَا وجدَها منخرقةً فتجاوزها، فأصلحوها بخشَبةٍ ... »[2]؛ الْـحَدِيثَ.

• ظاهرها منعٌ و تعطيل، ❊ و باطنها عينُ العَطاءِ ،و كذلك الأمور التي ظاهرها ظلم أيّ ظلم !،و باطنها منفعةٌ و مسرّة و فوائدُ لا تدخل تحت الحصرِ.

فكم ضُمِّنَ ذلك المكروه من الفوائد.

وفي هذا يقول الصحابي الجليل علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -:«لا يكبرنَّ عليك ظلمُ من ظلمَك، فإنه يسعىٰ في مضرته ونفعِك، وليس جزاءُ من سرك أن تسوءَه»[3].

و كل هذا لتستدل الخلائق علىٰ ألطاف خالقها في أقضيته، و ليعرفوا و يرضَوْا غاية الرضا بقضائه و قدره ورحمته – عزّ و جلّ – .

---

(1) إحياء علوم الدين للغزالي :7/ 37، وانظر :وصايا لقمان وحكمه (ص: 29 أحمد بن عاشور).

(2*)يسخرها أيّ: يغصبها ... هو بعض خبر موسىٰ و الخضر - عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ - .

(3)من كلام الصحابي الجليل علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وحكمه وأمثاله (ص:374 محمّد رضا).

الآية: 79

(" قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الكهف: ٧٩]

كان الملكُ حيسونُ يأخذ كلَّ سفينة جيدةٍ غصبًا فلذلك أَعَابَهَا الخضِرُ وخَرَقَها؛ ففي هذا من الفقه العمل بالمصالح إذا تحقق وجهها، وجواز إصلاح كل المال بإفساد بعضه، وفي صحيح مسلم وجه الحكمة بخَرْق السفينة وذلك قوله: « فإذا جاء الذي يُسَخِّرُهَا وجدها مُنْخَرِقَةً فتجاوزَها، فأصلحوها بخشَبةٍ ...» [1]؛ الحَدِيث. وتحصّل من هذا الحضُّ على الصبر في الشدائد، فكم في ضمن ذلك المكروه من الفوائد، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ﴾ [البَقَرَة: ٢١٦].

قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾

[الكهف: ٨٠]

وعن ابن جريجٍ أيضًا أنَّ أمّ الغلام يوم قتل كانت حاملًا بغلام مسلم وكان المقتولُ كافرًا. وعن ابن عباس: فولدت جارية ولدت نبيًّا؛ وفي رواية: أبدلهما الله به جارية ولدت سبعين نبيًا؛ وقاله جعفر بن محمد عن أبيه؛ قال علماؤنا: وهذا بعيد. ولا تُعرَف كثرةُ الأنبياء إلا في بني إسرائيل، وهذه المرأة لم تكن فيهم؛ ويستفاد من هذه الآية تهوين المصائب بفقد الأولادِ وإن كانوا قِطَعًا من الأكباد، ومن سَلَّم للقضاء أسفرتْ عاقبتُه عن اليد البيضاء. قال قتادة: لقد فرِحَ به أبواه حين وُلد وحَزِنا عليه حين قُتل، ولو بقي كان فيه هلاكُهما، فالواجب

(1) هو بعض خبر موسى والخضر -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- وتقدم تخريجه.

على كلّ امرئ الرضا بقضاء الله تعالى، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خيرٌ له من قضائِه له فيما يُحبُّ[1] ". اهـ) . من الإمام الحافظ القرطبي

("﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ فإنك شرطت ذلك على نفسك، فلم يَبْقَ الآن عذر، ولا موضعٌ للصحبة.

﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾ أي: سأخبرك بما أنكرت عليَّ، وأنبئك بأن لي في ذلك من المآرب، وما يؤول إليه الأمر. ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ ﴾ التي خرقتها ﴿ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾ يقتضي ذلك الرقة عليهم، والرأفة بهم. ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ أي: كان مرورُهم على ذلك المَلِكِ الظالم، فكل سفينة صالحة تمر عليه، ما فيها عيب ،غصَبَها وأخذها ظلماً، فأردت أن أخرقها، ليكون فيها عيبٌ، فتسلمُ من ذلك الظالمِ.

﴿ وَأَمَّا الْغُلَٰمُ ﴾ الذي قتلته ﴿ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ وكان ذلك الغلام، قد قدر عليه، أنه لو بلغ، لأرْهَقَ أبويه طغيانًا وكفرًا. أي: لحملهما على الطغيان والكفر، إما لأجل محبتهما إياه،أو للحاجة إليه أو يحملُهما على ذلك، أي: فقتلتُه، لاطِّلاعي على ذلك، سلامةً لدين أبويه المؤمنَين، وأيُّ فائدةٍ أعظمُ من هذه الفائدة الجليلة؟!! وهو وإنْ كان فيه إساءةٌ إليهما، وقطعٌ لذريتهما، فإن الله تعالى سَيُعطيهما من الذرية ما هو خيرٌ منه، ولهذا قال: ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾ أي: ولدًا صالحًا، زكيًا، واصلًا لرَحِمه، فإن الغلام الذي قتل، لو بَلَغَ لعقَّهما أشدّ العقوق ،بحملهما على الكفر والطغيان.

(1) تفسير العلاَّمة الإمام الحافظ القرطبي لجزء من الآيات الكريمة [79-82] من سورة [الكهف].

﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ ﴾الذي أقمته﴿ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ أي: حالها تقتضي الرأفةَ بهما ورحمتَهما، لكونهما صغيرين، عَدِمَا أباهما، وحفظهما الله أيضًا، بصلاح والدهما.

﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا ﴾أي: فلهذا هدَّمت الجدارَ، واستخرجتُ ما تحته من كنزِهما، وأعدْتُه مَـجَّانًا. ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ أي: هذا الذي فعلته رحمة من الله، آتاها الله عبده الخضر ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ أي: ما أتيت شيئًا من قبل نفسي، ومجرد إرادتي، وإنما ذلك من رحمة الله وأمره.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الذي فسرته لك ﴿ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾وفي هذه القصة العجيبة الجليلةِ، من الفوائدِ، والأحكامِ ،والقواعد، شيء كثير. " [1] اهـ) . من عَبد الرّحمن بْنِ نَاصِر السَّعدي.

وفي هذا يقول لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: « إِنَّ المؤمنَ إذا أبصر العاقبة أَمِنَ النَّدامة » [2]،و قال أيضًا : «إذا وقع لك ما تحبُّ و ما تكره،فاحذرْ أن يقعَ في قلبك أنَّ صلاحَك في غير ما وقع لك» [3]، وقيل في الأثر : «لو اطلعتم على الغيب لرضِيتم بالواقع».

وواجِبُنَا العملي يسديه لنا حَبَنَكَةُ الميدانيُّ بقوله : " مِنْ طَبِيعَةِ النَّفْسِ السَّمْحَةِ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُهَا هَيِّنًا لَيِّنًا يَتَقَبَّلُ مَا يَجْرِي بِهِ القَضَاءُ وَالقَدَرُ بِالرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ،وَيُحَاوِلُ أَنْ يَجِدَ لِكُلِّ مَا يَجْرِي بِهِ ذَلِكَ حِكْمَةً مَرْضِيَّةً وَإِنْ كَانَ مُخَالِفًا لِهَوَاهُ وَيُرَاقِبُ دَائِمًا قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النِّسَاء: ١٩] ، وَهُوَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَسْتَقْبِلُ

(1)تَفْسير العَلاَّمَة الشَّيخ عَبد الرّحمن بْن نَاصِر السَّعدي لجزء من الآيات الكريمة [79-82] من سورة [الكهْف].

(2)إحياء علوم الدين: 7/ 37، وانظر :وصايا لقمان وحكمه(ص : 29 أحمد بن عاشور).

(3) وصايا لقمان و حكمه (ص : 141 أحمد بن عاشور).

كُلَّ مَا يَأْتِيهِ مِنْ قِبَلِ الله - عَزَّ وَجَلَّ - بِغَايَةِ الرِّضَا، وَيُلاَحِظُ جَوَانِبَ الخَيْرِ فِي كُلِّ مَا تَجْرِي بِهِ المَقَادِيرُ، وَهُوَ لِذَلِكَ يَتَرَقَّبُ المُسْتَقْبَلَ بِتَفَاؤُلٍ وَأَمَلٍ كَمَا يَسْتَقْبِلُ الوَاقِعَ بِانْشِرَاحٍ لِمَا يُحِبُّ وَإِغْضَاءٍ* عَمَّا يَكْرَهُ وَبِذَلِكَ يُسْعِدُ نَفْسَهُ وَيُرِيحُ قَلْبَهُ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ العَقْلِ، لأَنَّ العَاقِلَ هُوَ الشَّخْصُ الوَاقِعِيُّ أَيِ الَّذِي يُسْعِدُ نَفْسَهُ وَقَلْبَهُ بِالوَاقِعِ الَّذِي لاَ يَمْلِكُ دَفْعَهُ أَوْ رَفْعَهُ، وَيُعَامِلُ النَّاسَ بِالتَّسَامُحِ لأَنَّهُ لاَ يَمْلِكُ أَنْ يُطَوِّعَ النَّاسَ جَمِيعًا لِـمَـا يُرِيدُ لأَنَّهُمْ مِثْلُهُ ذَوُو طَبَائِعَ مُتَبَايِنَةٍ وَإِرَادَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ "[1].

❊ ❊ ❊

* وَإِغْضَاءٍ أي: و تسامحٍ.

(1) باختصار وتصرف عن الأخلاق الإسلامية لحبنكة الميداني (2 / 457-459).

الإيـــمان

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾[البَقَرَة: ٢٨٥](*).

عَنۡ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: بَيۡنَمَا نَحۡنُ عِنۡدَ رَسُولِ الله ﷺذَاتَ يَوۡمٍ، إِذۡ طَلَعَ عَلَيۡنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لاَ يُرَىٰ عَلَيۡهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَ لاَ يَعۡرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ.حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَأَسۡنَدَ رُكۡبَتَيۡهِ إِلَىٰ رُكۡبَتَيۡهِ، وَ وَضَعَ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ فَخِذَيۡهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ! أَخۡبِرۡنِي عَنِ الإِسۡلاَمِ.فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « الإِسۡلاَمُ : أَنۡ تَشۡهَدَ أَنۡ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَ تُقِيمَ الصَّلاَةَ،وَ تُؤۡتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الۡبَيۡتَ، إِنِ اسۡتَطَعۡتَ إِلَيۡهِ سَبِيلاً».قَالَ : صَدَقۡتَ. قَالَ : فَعَجِبۡنَا لَهُ. يَسۡأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ ! قَالَ: فَأَخۡبِرۡنِي عَنِ الإِيمَانِ.قَالَ:« أَنۡ تُؤۡمِنَ بِاللهِ ، وَمَلاَئِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَ الۡيَوۡمِ الآخِرِ، وَتُؤۡمِنَ بِالۡقَدَرِ خَيۡرِهِ وَشَرِّهِ ». قَالَ:صَدَقۡتَ. قَالَ: فَأَخۡبِرۡنِي عَنِ الإِحۡسَانِ . قَالَ: « أَنۡ تَعۡبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنۡ لَمۡ تَكُنۡ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».قَالَ : فَأَخۡبِرۡنِي عَنِ السَّاعَةِ .قَالَ: « مَا الۡمَسۡؤُولُ عَنۡهَا بِأَعۡلَمَ مِنَ السَّائِلِ ». قَالَ: فَأَخۡبِرۡنِي عَنۡ أَمَارَتِهَا ، قَالَ: «أَنۡ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنۡ تَرَى الۡحُفَاةَ الۡعُرَاةَ، الۡعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ، يَتَطَاوَلُونَ فِي الۡبُنۡيَانِ».قَالَ : ثُمَّ انۡطَلَقَ، فَلَبِثۡتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: « يَا عُمَرُ، أَتَدۡرِي مَنِ السَّائِلُ؟».قُلۡتُ: اللهُ وَ رَسُولُهُ أَعۡلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبۡرِيلُ . أَتَاكُمۡ يُعَلِّمُكُمۡ دِينَكُمۡ»(*).

❋ ❋ ❋

(1*).. انظر : [البَقَرَة: ١٢٤ -١٣٦].

* وَ وَضَعَ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ فَخِذَيۡ أي : على فخذيّ نفسه.

(2) [رَوَاهُ مُسۡلِمٌ (8)، انفرد به أبو داود (4695)، و النسائي (4990)، ابن ماجه (63)، و أحمد (1/ 51:367..)، و التِّرۡمِذِيّ (2610)].

شرح المفردات : *الأَمَة: الۡجَارِيَةُ: الۡبِنۡتُ الصَّغِيرَة. * الشَّاء: الۡغَنَمُ وَ غَيۡرُهَا.*العالة: الۡفُقَرَاءُ.*رَبَّتَهَا:سَيِّدَتَهَا...و معنى « فَعَجِبۡنَا لَهُ »:وجه العجب أن السؤال يدل على عدم علم السائل ...و التصديق يدل على علمه، وقد زال عجب عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بقوله ﷺ « فَإِنَّهُ جِبۡرِيلُ .أَتَاكُمۡ يُعَلِّمُكُمۡ دِينَكُمۡ» .

الإحسان :

"أحسن إلى النّاس تستعبد قلوبَهُمُ *** فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ "[1].

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾[2]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[3]، وَقَالَ أَيضًا : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾[4].

وفي الحديث« .....قَالَ:فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.....»؛الْحَدِيثَ[5].

---

(1) من منظومة «عنوان الحِكَم» لأبي الفتح البُستي(البحر البسيط).

(2)[البَقَرَة: ١٩٥]

(3)[التَّوبَة: ١٠٠]

(4)[الرَّحْمَنُ: ٦٠] ... الآيات في ذلك : [البَقَرَة: ٨٣]-[آل عِمْرَان: ١٤٨]-[النِّسَاء: ١٢٥]-[الأعْرَاف: ٥٦]-[التَّوبَة: ١٢٠]-[يُونس: ٢٦]-[يُوسُف: ٢٢]-[يُوسُف: ٥٦]-[النَّحل: ٣٠ - ٣٢]-[الإسْرَاء: ٧]-[الإسْرَاء: ٢٣ –٢٨]-[الكهْف: ٣٠، ٣١]-[مَرْيَم: ٤١ - ٦٥]-[الحَجّ: ٣٧]-[الصَّافَات: ٧٤ - ١٣١]-[الزُّمَر: ١٠]-[الزُّمَر: ٣٣، ٣٤]-[الذَّارِيَات: ١٥ - ٢٠]-[النَّجْم: ٣١].

إن الله وعد كل محسن ، أن ينشر له ثناء صادقًا بحسب إحسانه ، وهؤلاء من أئمة المحسنين ، فنشر الله الثناء الحسن الصادق غير الكاذب ، العالي غير الخفي ، فذكرهم ملأ الخافقين ، والثناء عليهم ومحبتهم ، امتلأت بها القلوب ، وفاضت به الألسنة ، فصاروا قدوة للمقتدين وأئمة للمهتدين، ولا تزال أذكارهم في سائر العصور ، متجددة، وذلك فضل الله يوتيه من يشاء ، والله الواحد ذو الفضل العظيم .

(5)[رَوَاهُ مُسْلِمٌ (8)]. فَأَعْلَى دَرَجَةٍ هِيَ الْإِحْسَانُ كما يدل على ذلك حديث سيّدنا عمر المشهور عن الإسلام و الإيمان و الإحسان.

*«....فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، إلى آخر الحديث.الآيات في ذلك بأنه يراك قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾[النِّسَاء: ١٠٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه: ٤٦]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الطُّور: ٤٨] -[البَقَرَة: ١٤٤]-[المَائِدة: ١١١ -١٢٠]-[الأنعَام: ٥٩]-[الأنعَام: ١٠٢ -١٠٤]-[الأعْرَاف: ١٤٣]-[التَّوبَة: ٤٠]-[يُونس: ٦١ -٦٤]-[إبراهيم: ٣٧ -٤٢]-[طـه:٣٥-٥٢]-[الحَجّ: ٧٠]-[القَمَر: ٥٢-٥٥]-[البَلَد: ٥-٢٠].....

فَالْإِحْسَانُ هُوَ الشَّرَابُ الطَّهُورُ الذِي يَسْقِيهِ اللهُ لِعِبَادِهِ الْـمُؤْمِنِينَ الْـمُرْتَقِينَ إِلَى دَرَجَةٍ أَعْلَى وَ هِيَ دَرَجَةُ الْإِحْسَانِ. قَدْ يَعْفُو الْـمَرْءُ وَ يَصْفَحُ وَ يُسَامِحُ وَ يَكْظِم غَيْظَهُ وَ يَدْفَعُ بِالتِي هِيَ أَحْسَـنُ. فَيَسْمُو وَ يَرْتَقِي حَتَّى يَكُونَ مُحْسِنًا .أَوْ رُبَّمَا كَانَ فِي مَنْزِلَةٍ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ فَيَكُونُ مُؤْمِنًا. أَوْ دُونَ ذَلِكَ فَيَكُونُ مُسْلِمًا .فَأَعْلَى دَرَجَةٍ هِيَ الْإِحْسَانُ.لِأَنَّهَا شِيمَةُ الرُّسُلِ -عَلَيْهِمْ السَّلَامُ- وَالْإِحْسَانُ يشقُّ عَلَى النُّفُوسِ الضَّعِيفَةِ فَمَا يَكُونُ إِلَّا لِلْأَنْفُسِ الْـمُطْمَئِنَّةِ، مَا يَكُونُ إِلَّا لِلْأَنْفُسِ الْـمُتَحَرِّرَةِ تَحَرُّرًا تَامًّا مِنَ النَّاحِيَةِ النَّفْسِيَّةِ وَ الشُّعُورِيَّةِ.

... إِنَّ الْـمُحْسِنِينَ تَنْبِضُ فِي قُلُوبِهِمْ وَ دِمَائِهِمْ وَ عُرُوقِهِمْ نَبَضَاتُ رِفْقٍ وَ حَنَانٍ، وَ نُورٍ وَإِيثَارٍ وَ أُخُوَّةٍ وَدِفْءٍ وَ أَمَـانٍ ،وَ بَـهْجَةٍ وَ إِحْسَانٍ، وَ مَحَبَّةٍ وَ نَسَمَاتِ الْوَفَاءِ وَ الْـمَوَدَّةِ وَ الْأَمَانِ، فَأَرْوَاحُهُمْ مَمْزُوجَةٌ مَعَ الْخَلْقِ،وَ قُلُوبُهُمْ مُتَّصَافِحَةٌ مَعَ خَلْقِ اللهِ ،فَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ يَا مُؤَلِّفَ الْقُلُوبِ سُبْحَانَكَ، يَا مَنْ إِذَا رَأَيْتَ صِدْقَ الْإِيمَانِ مِنْ عِبَادِكَ أَوْجَبْتَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا إِخْوَانًا ، أَعْلَاهُمْ إِحْسَانًا ، وَ أَوْسَطُهُمْ إِيمَانًا ، وَ أَدْنَاهُمْ إِسْلَامًا .

أَعْلَاهُمْ إِحْسَانًا: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [ٱلرَّحْمَٰنُ: ٦٠]

وَ أَوْسَطُهُمْ إِيمَانًا : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٧]

وَ أَدْنَاهُمْ إِسْلَامًا : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ﴾ [الحجرات: ١٤]

فَإِذَا هُـمْ رُوحٌ وَاحِـدَةٌ تَسْرِي فِي أَجْسَامٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَ يَنْبَغِي الْعَمَلُ بِمَا أَسْدَاهُ لَنَا الْإِمَامُ الشَّافِعِي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بِقَوْلِهِ :

- إِذَا هَبَّتْ رِياحُكَ فَاغْتَنِمْهَـــا *** فَعُقْبَى كُـــلِّ خَافِقَةٍ سُكُـــونُ

- وَلَا تَغْفُلْ عَنِ الإِحْسانِ فِيهَـــا ❊❊❊ فَلاَ تَـــدْرِي السُّكـونَ مَتىٰ يَكُونُ
- وَ إِنْ دَرَّتْ نِياقُكَ فَاحْتَلِبْهَـــا ❊❊❊ فَما تَـــدْرِي الفَصِيلَ لِمَنْ يَكُـونُ[1].

و قال آخر :

« اِذَا ظَفَرَتْ يَدَاكَ فَلَا تُقَصِّرْ ❊❊❊ فَإِنَّ الدَّهْرَ عَادَتُهُ يَخُونُ ».

❊ ❊ ❊

(1)دِيوان الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص142 مُحَمَّدْ تَبَرْكَانْ أَبُو عبد الله)، (الوافر) .

الْـمُحْسِنُ حُرٌّ وَ لَوْ آذَيْتَهُ، وَ الْمُسِيءُ عَبْدٌ وَ لَوْ عَفَوْتَ عَنْهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الجَاثِيَة: ٢١]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزَّلزَلة: ٦ – ٨](1*).

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّ لُقْمَانَ -عَلَيْهِ السَّلامُ- قَالَ لِابْنِهِ: «يَا بُنَيِّ إِذَا فَعَلْتَ الْخَيْرَ فَارْجُ الْخَيْرَ، وَإِذَا فَعَلْتَ الشَّرَّ فَلا تَشُكَّ أَنْ يُفْعَلَ بِكَ الشَّرُّ»(2):

" إِذَا وَتَرْتَ امْرَأً فَاحْذَرْ عَدَاوَتَهُ *** مَنْ يَزْرَعِ الشَّوْكَ لَا يَحْصُدْ بِهِ عِنَبَا "(3).

إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَىٰ يُحِبُّ أَهْلَ الْعَفْوِ وَ السَّمَاحَةِ وَ الْوَفَاءِ كَمَا يُحِبُّ أَصْحَابَ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ،قَالَ -عَلَيْهِ الصَّلاةُ و السَّلامُ-: «إِنَّ اللهَ-عَزَّ وَجَلَّ- كَرِيمٌ، يُحِبُّ الْكَرَمَ وَمَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ،وَيَبْغَضُ سَفْسَافها»(4)، وَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ دَنِيَّهَا وَسَفْسَافَهَا »(5).

(1*) الآيات في ذلك: [الإسْرَاء: ٧]-[الفُرْقَان: ٦٣ – ٧٧]-[لُقْمَان: ١٦]-[النَّجْم: ٣١]-[القَلَم: ٣٤-٣٨]...

(2) الزهد الكبير للبيهقي.

(3) من كلام صالح بن عَبْدِ الْقُدُّوسِ، أَدَب الدُّنْيَا و الدِّين: 479،(البحر البسيط).وتر الشيئ كالنقص و التعدي.

(4) [رواه الطبراني في «الكبير» (1/ 140/ 1) فَقَال: حدَّثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ، حدَّثنا الحسن بن سفيان الشيباني، حدَّثنا محمد بن سلمة المرادي، حدَّثنا حجاج بن سليمان بن القمري ،ومات قبل ابن وهب، حدَّثنا أبو غسان المدني، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد بِهِ، وابن عدي (1/ 114)]، وانظر: [«السلسلة الصحيحة» (1378)] باب الأخلاق والبر والصلة.

(5) (صحيح): أخرجه ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (1/ 19)، والطبراني في « الكبير»(6/ 181 رقم 5928) و« الأوسط »(2940)، والحاكم في« المستدرك » (152)،والبيهقي في « الكبرىٰ » (10/ 191)، وأبو نعيم في « الحلية »(3/ 255)من طريق محمد بن ثور، عن معمر، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد مرفوعًا، وله شواهد من حديث طلحة بن عبيد الله مرسلاً، وسعد بن أبي وقاص، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، و حسين بن علي موقوفًا، لكن أسانيدها جميعًا ضعيفة، وانظر: [« السلسلة الصحيحة » (1378،1626،1627)].

فَيَا أَخِي مِنْ كَرَمِكَ وَ ارْتِقَاءِ نَفْسِكَ أَنْ تُسَارِعَ لِلصَّفْحِ و السَّمَاحَةِ، وَ الِابْتِسَامَةِ وَ السَّلَامِ وَالْـمَلَاحَةِ ،وَ تَكُونَ أَنْتَ الْـمُبْتَدِئَ لَيْسَ الـمُقْتَدِيَ بِالسَّمَاحَةِ ،تَكُونُ أَنْتَ المصدرَ لَيْسَ الْـمُسْتَوْرِدَ لِلسَّمَاحَةِ ،فَأَنْتَ – إِنْ يشَاءَ اللهُ – ذُو الْجُودِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَلَيْسَ سَفَاسِفهَا.

إِذَنْ فَإِذَا أَسَأْتَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ ازْدَادَ هِيَاجًا وَغَضَبًا وَتَبَجُّحًا وَمُرُودًا(1*)، وَخَلَعَ حَيَاءَهُ نِهَائِيًا ، وَ انْفَلَتَ مِنْهُ زِمامُ أمرِه ، وَأَخَذتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ .

وَإِذَا صَبَرْتَ صَبْرًا جَمِيلاً لَا جَزَعَ فِيهِ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً، وَأَحْسَنْتَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ ، وَتَبَسَّمْتَ بَسْمَةً حَانِيَةً فِي وَجْهِ هَائِجٍ غَاضِبٍ مُتَبَجِّحٍ مَفْلُوتِ الزِّمَامِ فَيَنْقَلِبُ هِيَاجُهُ إِلَى وَدَاعَةٍ ، وَغَضَبُه إِلَى سَكِينَةٍ ، وَتَبَجُّحُهُ إِلَى حَيَاءٍ ، فَسَيَقُودُهُ الْإِحْسَانُ إِلَى بَثِّ الْإِحْسَانِ فَيُصْبِحُ بُغْضُهُ مَحَبَّةً، وبُعْدُهُ قُرْبَةً،وَإِسَاءَتُهُ إِحْسَانًا...فَالْفَضْلُ لِلْمُبْتَدِئِ وَ إِن أَحْسَنَ الْـمُقْتَدِي.

و الـمُبْتَدِئُ هُوَ الْـمُحْسِنُ الْأَوَّلُ وَمَصْدَرُ الْإِحْسَانِ.وَ الـمُقْتَدِي هُوَ الذِي أَحْسَنَ بَعْدَمَا أَسَاءَ إِسَاءَاتٍ قَبْلَ ذَلِكَ وَ أَصْبَحَ يُحْسِنُ، وَ لَكِنْ لَيْسَ الْإِحْسَانُ صِفَتَهُ بَلْ اقْتِدَاءً بِصِفَاتِ الْكِرَامِ مَعَادِنِ الْحِلْمِ وَ الْإِحْسَانِ الذِين قَادُوهُ بِإِحْسَانِهِم

وَ كَمَا قِيلَ : الْـخَيْرُ بِالْخَيْرِ وَ الْبَادِي أَكْرَمُ *** وَ الشَّرُّ بِالشَّرِّ وَ الْبَادِي أَظْلَمُ

اللَّهُمَّ صَلِّ وَ سَلِّمْ وَ بَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْـمُصْطَفَى الْمَثَلِ الْأَعْلَى فِي السَّمَاحَةِ وَ الْوَفَاءِ ﷺ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

❊ فَمُحْسِنٌ يَعْفُو عَنْ مُسِيءٍ

- وَ مُسِيءٌ يَرْجُو سَمَاحَةَ مُـحسِنٍ.

(1*) وَمُرُودًا أي : و تمردا.

❊ سُلْطَانٌ يَعْفُو عَنْ عَبِيدِهِ

- عَبِيدٌ يَرْجُونَ سَمَاحَةَ السُّلْطَانِ.

❊ فَالْـمُحْسِنُ حُرٌّ سُلْطانٌ وَلَوْ آذَيْتَهُ

- وَالْـمُسِيءُ عَبْدٌ وَلَوْ عَفَوْتَ عَنْهُ.

❊ فَالْـمُحْسِنُ يَرْتَقِي بِهِ إِحْسَانُهُ إِلَى نُورٍ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَنَضْرَةُ النَّعِيمِ تَدُلُّ عَلَيْهِ، وَمَنْزِلَةُ الْأَبْرَارِ تَنْتَظِرُهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العَنْكَبُوت: ٦٩].

- وَالْـمُسِيءُ تَهْوِي بِهِ إِسَاءَتُهُ إِلَى النَّظَرِ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَذُلِّ الِاعْتِذَارِ .

❊ الْـمُحْسِنُ هُوَ السُّلْطَانُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

- وَالْـمُسِيءُ هُوَ الْعَبْدُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

❊ الْـمُحْسِنُ صِفَتُهُ يَعْفُو، فَالْيَدُ الْعُلْيَا مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ

- وَالْـمُسِيءُ صِفَتُهُ يَهْفُو، فَالْيَدُ السُّفْلَى مِنْ سَفَاسِفِ الْأَخْلَاقِ.

فَيَا رَبِّ إِنَّنَا عَفَوْنَا عَنِ السُّفَهَاءِ وَالْـمُسِيئِينَ مِنَّا فَاعْفُ عَنَّا نَحْنُ عَبِيدُكَ أَبْنَاءُ عَبِيدِكَ، فَيَا رَبِّ نَحْنُ عِبَادُكَ عَفَوْنَا عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْنَا فَاعْفُ عَنَّا،اللَّهُمَّ نَحْنُ الضُّعَفَاءُ وَأَنْتَ الْقَوِيُّ، اللَّهُمَّ نَحْنُ الْفُقَرَاءُ وَأَنْتَ الْغَنِيُّ ،اللَّهُمَّ نَحْنُ الْأَشِحَّاءُ وَأَنْتَ الْكَرِيمُ ،اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيـمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا،إِلَهَنَا ذُنُوبُنَا إِلَيْكَ صَاعِدَةٌ وَرَحْمَتُكَ إِلَيْنَا نَازِلَةٌ،إِلَهَنَا أَنَخْنَا مَطَايَانَا بِبَابِكَ، فَارْحَمْنَا وَآنِسْ وَحْشَتَنَا إِذَا صِرْنَا فِي ذِمَّتِكَ وَحَبْلِ جِوَارِكَ ، فَقِنَا فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ نَارِكَ ،إِذَا تَقَطَّعَت

الْأَسْبَابُ، وَحِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْأَحْبَابِ، وَ وَارَانَا التُّرَابُ ،وَفَارَقَنَا الْأَهْلُ وَالْأَصْحَابُ ، فَإِنَّهُ لَا تَسَعُنَا إِلَّا رَحْمَتُكَ يَا عَزِيزُ يَا وَهَّابُ.

❊ ❊ ❊

الفصل الخامس :

التسامح وتطبيقاتُهُ

اِزْرَعْ جَمِيلًا وَلَوْفِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ** فَلَا يَضِيعُ جَمِيلٌ أَيْنَمَا زُرِعَا

- لن يضيع عُرْفٌ بين الله و النّاس -

المثل التطبيقي من حياة النّبي ﷺ في «السماحة»

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-،أَنَّ :رَجُلًا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ* فَأَغْلَظَ لَهُ ،فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «[دَعُوهُ،] فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا ». ثُمَّ قَالَ:[« أَعْطُوهُ سِنًّا مِثْلَ سِنِّهِ». قَالُوا :يَا رَسُولَ الله لَا نَجِدُ إِلَّا أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ فَقَالَ : «أَعْطُوهُ ،فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً»] (1)، وعَنْ عَبْد الله بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-،قَالَ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ [فَأَدْمَوْهُ،] وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (2). – و هو ما حدث له ﷺ بالطائف –

ورُوي أَنَّ أعرابيًا جاءهُ يطلبُ منه شيئًا ، فأعطاه؛ ثم قال :«أحسنْتُ إليكَ ؟». قال الأعرابي : لا، ولا أَجْمَلْتَ . فغضِبَ المسلمون وقاموا إليه ، فأشار إليهم : أن كُفُّوا ، ثم قام ودخل منزلَه ، وأرسل إليه ، وزادَه شيئًا ، ثم قال :«أحسنْتُ إليك ؟» قال : نعم ، فجزاكَ الله من أهلٍ وعشيرةٍ خيرًا .

فقال له النبيُّ ﷺ:«إنكَ قلْتَ ماقُلْتَ ، وفي نفس أصحابي من ذلكَ شيء ، فإن أَحْبَبْتَ فقلْ بين أيديهم ماقُلْتَ بين يديّ حتى يذهبَ مافي صدورهم عليك».

قال : نعم . فلما كان الغَدُ – أو العَشِيّ – جاء ، فقال ﷺ: « إنَّ هذا الأَعرابيَّ قال ما قال، فزِدْناهُ فزعم أنه رَضِيَ ، أكذلكَ؟» قال : نعم ، فجزاكَ الله من أهلٍ وعشيرةٍ خيرًا .

---

* يتقاضاه : أي يطلب منه قضاء ماله عنده ... و قوله : فهم به أصحابه أي أن يفعلوا به جزاء إغلاظه ... الأمثل : الأعلى.

(1)(صحيح،متفق عليه): أخرجه البخاري في:40 – كتاب الوكالة : 06 – باب الوكالة في قضاء الديون . [رقم(2306)،مسلم (1601)، وأحمد (2/ 416:9429)، و التِّرْمِذِيّ (1317)]. وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 326 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، باب من استسلف شيئًا فقضىٰ خيرًا منه وخيركم أحسنكم قضاء].

(2)(صحيح ،متفق عليه) :أخرجه البخاري في:60 – كتاب الأنبياء -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-: 54 –بَابُ حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ . [رقم(3477)،مسلم (1792)، أحمد (1/ 380:3611..)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 381 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، باب غزوة أحد]،وانظر: [«السلسلة الصحيحة»(3175)]باب الأخلاق والبر والصلة .

فقال ﷺ: « مَثَلي ومَثَلُ هذا، مَثَلُ رجلٍ ، له ناقةٌ شَرَدَتْ عليه ، فاتَّبعها الناسُ فلم يزيدوها إلاَّ نُفورًا ، فناداهم صاحبها : خَلُّوا بيني وبين ناقتي ، فإني أَرْفَقُ بِها منكم وأعلَمُ ، فتوجَّه لها بين يديها ، فأخذَ لها من قُمَامِ الأَرضِ ، فردَّها حتى جاءت واستناخت ، وشَدَّ عليها رَحْلها ، واستوى عليها ، وإنّي لو تركتُكم حيثُ قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار»[1].

❊ ❊ ❊

(1) قِف انظر الحديث في الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ المصْطَفَى ﷺ للعَلاَّمَةِ القَاضِي أَبِي الفَضْل عِيَاضِ بن مُوسَى اليَحْصُبِي/ الباب الثاني« فصل في شَفَقَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ﷺ وَرَأْفَتِهِ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ ص 73 ».

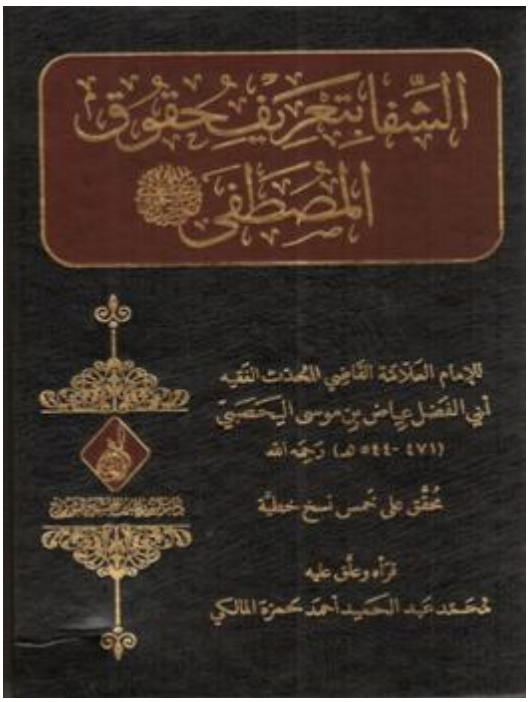

وهذه نماذج في تسامح الأصحاب ، لعل فيها تبصرة لأولي الألباب

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزُّمَرُ: ٢٢ ، ٢٣].

(عَنْ عَطَاءِ بْنِ فَرُّوخَ مَوْلَى الْقُرَشِيِّينَ :أَنَّ عُثْمَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- اشْتَرَى مِنْ رَجُلٍ أَرْضًا فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَلَقِيَهُ فَقَالَ لَهُ: مَا مَنَعَكَ مِنْ قَبْضِ مَالِكَ ؟ قَالَ : إِنَّكَ غَبَنْتَنِي ،فَمَا أَلْقَى مِنَ النَّاسِ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ يَلُومُنِي ، قَالَ : أَوَ ذَلِكَ يَمْنَعُكَ ؟ قَالَ :نَعَمْ ، قَالَ : فَاخْتَرْ بَيْنَ أَرْضِكَ وَمَالِكَ ،ثُمَّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :« أَدْخَلَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الْجَنَّةَ رَجُلاً كَانَ سَهْلاً، مُشْتَرِيًا وَبَائِعًا، وَقَاضِياً وَمُقْتَضِيًا» (1).

... و كانت لأبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- جاريةٌ زنجيةٌ فأساءت إليه، و غمَّت أهله،فرفع السوط عليها ليضربَها به،ثم توقفَ و قال:لو لا القصاص يومَ القيامةِ لأوجعتُكِ كما آذيتِنا، و لكن سأبيعُكِ ممن يوفيني ثمنَكِ و أنا أحوجُ ما أكونُ إليه،اذهبي فأنت حرةٌ لله – عزّ و جلّ –(2).

... ذات ليلة خرج أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى المسجد ومعه أحد حراسه فمرَّا برجل نائم على الطريق فعثَر به عمرُ .

فقال له الرجل في غضب : أمجنونٌ أنت ؟

فقال عمرُ : لا .

---

(1) أحمد (1/ 58) واللفظ له وقال الشيخ أحمد شاكر (1/ 335): «إسناد صحيح» ،ورواه النسائي (7/ 318، 319) وصحيح النسائي (4379)، (4705) وابن ماجه (2202)، جامع المسانيد (17/ 219/ 136)، وقال الألباني «حسن» .

(2) انظر قصص أصحاب الرسول ﷺ ،حياة أبو هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ،حلمه، و عفوه عمَّن أساء إليه.

(ص:414 الشَّيخ مَحْمُودٌ المصْرِي أبو عمار).

فهمَّ الحارس أن ينال من الرجل ؛ لأنه أخطأ في حق أمير المؤمنين .

فقال له عمرُ : مه فإنه سألني أمجنون أنتَ ؟ فقلت : لا .

... ذكر ابن كثير في سيرة عمر بن عبدِ العزيزِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- أنه صعِد المنبر يومًا فقام إليه رجل من الناس ونال منه وأغضبه .

فقال له عمر : يا هذا أَرَدْتَ أَنْ يَسْتَفِزَّنِي الشَّيْطَانُ مَعَ عِزّة السُّلْطَانِ وأن أفعل بك اليوم ما تفعل بي غدًا ؟ اذهبْ غفَرَ اللهُ لي ولك[1].

... دخلَ مجاهدُ بْنُ جبير على أميرِ المؤمنين عمرَ بن عبد العزيزِ في مرضه ، فسأله عمر : ما يقولُ الناسُ فِـيَّ ؟

قال : يقولون إنك مسحورٌ .

قال : ما أنا بمسحورٍ ولكني سُقيتُ السّمَّ .

ثم دعا غلامًا فقال له : ما حملَكَ على أن سقيتَني السّم ؟

قال الغلام : أُعْطِيتُ ألفَ دينار وعلى أن أُعْتَقَ .

فقال عمر : هاتِ الألفَ دينار .

فجاء بها فألقاها في بيت المالِ .

ثم قال للغلامِ : اذهب حيث شئتَ فأنت حُرٌّ[2].

فهيا أحبابنا نعوِّد أنفسَنا كظمَ الغيظِ والتحلِّي بالحلم عسى أن يملأَ اللهُ قلوبَنا إيمانًا وحكمة ويزيدنا يوم القيامة رفعة .

❊ ❊ ❊

(1) انظر حيَاة عُمَر بن عَبْد العَزِيز « محمد صِدِّيق المنشاوي ص: 61 حلم العظماء»، و انظر أَدَب الدّنيا و الدّين : 354.

(2) انظر حيَاة عُمَر بن عَبْد العَزِيز « محمد صِدِّيق المنشاوي ص: 74 عمر يُسقى سُمًّا».

طرق علميّة وسلوك ناجح ،لاكتساب مهارةِ التّسامحِ

إنَّ كظمَ الغيظِ وحدَه لا يكفِي لإطفاءِ غضب النَّفسِ والوصولِ إلى الرِّضى الدَّاخلي، ولكن يجب أن يتبعَه عفوٌ وتسامُحٌ، وأنْ يؤكِّدَ الشّخص ذلك بإحسانٍ يقدِّمُه للطَّرَفِ الآخر المعني بالمشكلة (الزّوج أو الزّوجة أو الأخ أو الصَّديق أو الجار أو زميل العمل، الخ) وهذا ما جاء به علمُ النَّفسِ الحديثُ، وهو ما أكّده القرآنُ الكريمُ قبلَ ذلك بكثير.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عِمۡرَان: ١٣٣ ، ١٣٤].

و يتبادر إلى أذهاننا سؤالٌ مهمٌّ ..سؤال بمثابةِ حجر الزَّاوية في هذا الموضوع، وإليك السّؤالَ: هل النّفسُ قابلةٌ للتّغيير؟ إن النّفس كالجسدِ..فالجسدُ يُخلَق ناقصًا (طِفلًا)، كالمولود الجديد يتعهّده أبواه فينمو ويكبر بالغِذاءِ..وكذلك النَّفس تُخلق ناقصةً، وتروَّضُ بالمجاهدة.و تنضَج بالعلم و المعرفة و رياضة العقل، وإذا مرِضَ الجسدُ فعليه بالدّواء لِيُشْفَى، وأحيانا يكون الدّواء مرًّا .. وكذلك النَّفس بها عيوبٌ تحتاج إلى المجاهدة والصَّبر، و التربية و التخليةِ .

و سؤالٌ آخرُ : هل الشخص العصبي الغضوب يُمْكِنُ أن يتغيَّر ويصبح حليمًا؟ الإجابة الوافية نجدها في حديث الرّسول ﷺ حيث قال : « إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ

بِالتَّحَلُّمِ ، مَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ...»؛[1] الْحَدِيثَ ... و قال أحدهم : لسْتُ بحليم و لكني أتحالَمُ.

وهكذا وضع النبيُّ ﷺ قاعدةً تنصُّ على أَنَّ الأخلاق قابلةٌ للتّغيّر، وأنَّ الإنسانَ يُمْكِنُهُ أن يطوِّر نفسَه بالمجاهدةِ وأن يكتسبَ مهارةَ الحلم وكظم الغيظ والعفو والتَّسامح، وإيَّاك أن تُقْنِعَ نفسَك باستحالةِ تغيُّرِكَ. فتجد من النَّاس من يقول: هذا طبعي ولن أتغيَّر، و هذا كلام خاطئ.

مهارةُ اكتساب الصِّفات الحميدة :

"يقول (أنتوني روبنز) –و هُو مِنْ أبرز الكُتَّابِ والمدرِّبين في مجال التّنمية الذّاتيَّة – في كتابه (قُدُراتٌ غيرُ محدودةٍ –علمٌ جديد للإنجاز الشّخصي): "إذا أردت أن تكون قويًّا فتظاهَرْ بأنَّك قويٌّ". وهو يشرحُ للقارئِ بأنَّ هناك علاقةً تبادليَّةً بين سلوك الجسم وتصوّراته الداخليّة، فالحالةُ النّفسيَّةُ تؤثِّرُ في وضعيةِ جسمِ الإنسانِ وطريقةِ تنفسه وتوَتُّرِ عَضَلاتِهِ، وبالمقابلِ فإنّ تغييرَ الإنسان لسلوك جسمِه يغيِّرُ من حالته النّفسيّة. مثال: المكتئبُ يحني كَتِفَيْه،و يتنفّس تنفّسًا ضعيفًا، ويجلس تلك الجِلسة الدّالّة على حال الاكتئابِ الشّديدِ لديه. ولكن، إذا غيَّر من وضعية جسمه، فوقف منتصبًا، مائلاً بكتفيه إلى الخلْف، متنفِّسًا بعُمْق من الصَّدر، ناظرًا إلى الأعلى، أي إذا ما وضع جسمه في سلوك جسميّ آخر فلن يشعرَ بالاكتئاب.

---

* .. لاكتساب مهارة التّسامح .. أو ملكية التّسامح.

(1)[المعجم الأوسط ، باب الألف ، باب من اسمه ابراهيم ، ابراهيم بن احمدبن عمر الوكيعي ، الجزء 3 ، الصفحة 321]من حَدِيث إِبْرَاهِيمُ قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عُمَرَ الْمُؤَدِّبُ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ الْهَمْدَانِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، بِهِ . و أخرجه ابن ابي الدنيا في كتابه " العقل و فضله" ص : 62 .

لو أمعنَّا النظر في كلام الكاتب، لوجدنا أنَّ الدِّراسةَ العميقةَ، والتّجارِبَ الإنسانيّةَ والتَّمعُّنَ فيها قد تكون هي ما قاد هذا الكاتبَ – وغيرَهُ من الكُتَّابِ الغربيين – إلى حقيقة معروفةٍ لدينا منذ قرونٍ، قد وردت في أحاديث رسول الله ﷺ، كقوله : «إِنَّمَـا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ...»[1] الْـحَدِيثَ، وقوله :« من يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِه الله، وَمَنْ يَتَصَبّرْ يُصَبِّرْهُ الله»[2]. يعطينا رسولُ الله - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ - هنا وصفةً لاكتساب صفاتٍ حميدةٍ إذا كانت هناك صعوبة في اكتسابها والتَّحلي بها، فهو ينصحك أنْ تَتَظاهَرَ – في هذه الأحوال أو غيرِها من المواقف – وكأنّك تتمتّع بها، فتتظاهرُ بالصَّبرِ وإنْ كانت آلامُك مضْنِيّةً، وتتظاهرُ بالحلم وإنْ كان الغيظُ يكاد يفجِّرُ قلبَك. كذلك يمكن أنْ تُظهِرَ سلوكَ أصحابِ العِفّةِ وإنْ كانت الشَّهوةُ تغرِيك، وتسلك سلوكَ أصحاب العفوِ والإحسان وإنْ كان حبُّ الانتقامِ يَمْلأُ نفسَك. وبتكرار هذه الأحوال – مع الإخلاص لله تعالى في القصد من ذلك، تبدَأُ النّفسُ بالتّغيّر والطِّباعُ بالتّحوّلِ وتغدو هذه الصِّفاتُ الحميدةُ صفاتٍ مكتسبةً. وصدق من قال: «فالحلم يحتاج إلى رياضة نفس وصبر على الأذى مرةً بعدَ مرةٍ حتى يصيرَ صفةً لها وخُلُقًا من أخلاقِها».

التّخلّصُ من الغضبِ أهمُّ خطوةٍ في طريقِ التَّسامحِ لذلك أثنى الله –جلَّ وعلا– على الكاظمين ، فقال : ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٣٤] ...لَقَدْ وَجَدْنَا أنَّ القرآنَ الكريمَ اعترفَ بـأنَّ الْغَيْظَ هو شعورٌ فطريٌّ طبيعيٌّ لانستطيعُ تجنّبَهُ في بعضِ المواقِفِ، وأمام بَعضِ الأشخاصِ، ولكنّ المذمومَ الغضبُ

* و التَّمعُّنَ فيها .. أو التدبّر فيها.

(1) [المعجم الأوسط ، باب الألف ، باب من اسمه ابراهيم ، ابراهيم بن احمدبن عمر الوكيعي ، الجزء 3 ، الصفحة 321] من حَدِيث إِبْرَاهِيمُ قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عُمَرَ الْـمُؤَدِّبُ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُبْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ الْـهَمْدَانِـيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ عَبْدِ الْـمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، بِهِ . و أخرجه ابن ابي الدنيا في كتابه " العقل و فضله" ص : 62 .

(2) [المعجم الأوسط ، باب الألف ، باب من اسمه ابراهيم ، ابراهيم بن احمدبن عمر الوكيعي ، الجزء 3 ، الصفحة 321] .

أنْ يتحوَّل إلى سلوكٍ سلبي غيرِ مقبول، كلامٌ بذيءٌ مثلا أو حركاتُ اعتداءٍ وانتقامٍ للنّفسِ. ومن خلالِ ما ذُكِر نستطيعُ القولَ أنَّ ضبطَ النّفسِ في مثل هذه الحالة، يكونُ بمنعِها من التّصرّفِ الخاطِئ في المواقِفِ الطّارئةِ والمفاجئةِ الّتي تتطلّبُ قدرًا من الشّجاعةِ والحكمةِ لكبْتِ الغضبِ وحسنِ التّصرّفِ. وقد وردت أحاديثُ كثيرةٌ عن المصطفى ﷺ فيها بيانُ فضلِ كظم الغيظ وعدمِ الغضبِ ومن ثَمّ ضبط النّفسِ، منها قوله -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ- : « مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ، كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله »[1].

من أنواع الغضب:

(1) الغضبُ المحمودُ: ويظهر هذا النّوع عِندمَا تُنْتَهك محارم الله تعالى فَهُوَ ثمرةٌ من ثمراتِ الإيمانِ إذ أنّ الذي لا يغضب في هذا الموقف ضعيف الإيمان، قال تعالى عن موسى -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- بعد علمه باتخاذ قومه العجل : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

... وكان غضب النّبيّ ﷺ لا يُعرف إلّا عند انتهاك محارم الله تعالى، عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ : « مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ. وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا. إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي

(1) أخرجه ابن ماجه في: 37 - كتاب الزهد: 18 - بَابُ الحِلْمِ. [رقم (4189)، إسناده صحيح. أحمد (2/ 128:6122..)]. قال: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَخْزَمَ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ عُمَرَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنِ الحَسَنِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، بِهِ.

سَبِيلِ اللهِ. وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ. فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ. إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ. فَيَنْتَقِمَ للهِ -عَزَّ وَجَلَّ-»[1].

... وكذلك الغضب المحمود يكون عند المحافظةِ على النّفسِ، المحافظة على الدّين، المحافظة على العرض، وعندما تُنْتَهَكُ حرمات المسلمين وبلادهم.

(2) الغضب المذموم: هو أن يَغضَبَ المرءُ انتقامًا لنفسه، أو لأجل المصالح الشّخصيّة، أو لِأَتْفَهِ الأسباب ،فيُعْمِي الشّيطانُ عينَه عن ذكر اللهِ، فلا يستطيع أن يذكرَ الله وهو في حالة الغضب ،بل يزداد غضبًا إن قام وذكّره أحد.

ولا يخفى ما في هذا النّوع من الغضب من تمزُّق لِلْوَحْدَةِ، وتصدُّع للجماعة، واستئصال لمعاني الأخوَّة والمحبَّة والصَّفاء، والتي هي أساسيات المجتمع الإسلامي المتماسك المستقرّ. فلا عَجَبَ أن يهتمّ الإسلامُ بظاهرة الغضب هذا الاهتمام الشَّديد، فتأتي الآيات والأحاديث لِتَمْتَدِحَ وتعظِّم من شأن الكاظمين الغيظ الذين يَملكون أنفسَهم عند الغضب، وتحذِّر من سوءِ عاقبةِ هذه الصِّفةِ على الفردِ والجماعةِ.

(1)أخرجه مسلم في :43- كِتَاب الفَضَائِلِ : 20- بَاب مُبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلْآثَامِ وَ اخْتِيَارِهِ مِنَ الْـمُـبَاحِ أَسْهَلَهُ وَ انْتِقَامِهِ لله عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرُمَاتِهِ. [رقم (2328)]. و قال حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -.

أثر العفو والتّسامح في النّفس

تقول الكاتبةُ والصّحفيَّةُ (سيبل إيفانز -المتخصصة في الدّراسات الاجتماعيّة والنفسيّة)، في كتابها (مفاتيح الغضب -كيف تفصل في النِّزاعات وتقوم بتهدئة الجميع): "على الرّغم من أنّ القدرة على التّسامح رائعةٌ ،فلا يمكن لشخصٍ أن يغفر وينسى ما لم تكنْ لديه هذه القدرة على التّسامح. في الحقيقة محاولة كَبْتِ الألم بنسيانه قد يزيد من غضبك، في حين أنَّ التّسامح والعفوَ سيقلِّل من حِدّةِ الذِّكرى المؤلمةِ هذه حتى دون النّسيانِ، وسوف يشعر الإنسانُ المتسامح بتحسّنٍ كبيرٍ، وسوف ينال كثيرًا من الفضل و الرِّضا من نفسه ومن النّاس".

وتسأل الكاتبةُ: "لماذا يجب علينا أن نحاول بشدَّة في أمر التّسامح هذا؟ لأن التّمسُّك بالغضب يمكنه أن يصيبَ الإنسانَ بمرضٍ جسديٍّ، كما يمكن أيضًا أن يجعله حادَّ الطِباع ومستاءً طولَ الوقت. يجب أن نتسامحَ لأنَّ التّسامحَ يصفه الكثيرون من الخبراء النَّفسيين بأنّه تصريف للغضب وتخفيف من الألمِ. وعندما تحمل ضغينةً لشخصٍ قريبٍ أو صديقٍ أو أخٍ أو زميلٍ يظل صدرك ضيّقًا حرجًا ، مجروحًا و متألِّمًا كأنّما تصّعّدُ في السّماء؛ وهذا يقودنا إلى حقيقة أن ما من أحد كامل:

"وَ لَسْت بِمُسْتَبْـقٍ أَخًـا لَا تَلُمُّـهُ *** عَلَى شَعَثٍ * أَيُّ الرِّجَالِ الْـمُهَذَّبُ "؟[1]

"هُمُ النَّاسُ وَ الدُّنْيَا وَ لَا بُدَّ مِنْ قَذَى *** يُلِمُّ بِعَيْنٍ أَوْ يُكَدِّرُ مَشْرَبَا

وَ مِنْ قِلَّةِ الْإِنْصَافِ أَنَّك تَبْتَغِي الْـ *** مُهَذَّبَ فِي الدُّنْيَا وَ لَسْتَ الْـمُهَذَّبَا "؟![2]

و الأجمل و الاقرب رُحـما ما قال الشاعر:

"خُذْ مِن خليلِك ما صفَـا ** و دَعِ * الَّذي فيـه الكَدَرْ

---

* عَلَى شَعَثٍ أي : على خطأ.

(1) من كلام النَّابِغَة الذُّبْيَانِيّ : (ص : 234 أَدَبُ الدُّنْيا وَ الدِّين)،(البحر الطّويل).

(2) من كلام ابْن الرُّومِيِّ : (ص : 235 أَدَبُ الدُّنْيا وَ الدِّين) ،(البحر الوافر).

فالعـمـرُ أقـصـرُ من معـــا ** تَبَةِ الـخليلِ على الغِيَـرّ "[1].

... وأن الحياةَ الحقيقيَّةَ تتطلّب خيارات". وتطرح الكاتبةُ مثالاً على هذه الخيارات تقول: "هل علاقة بها عيب مع صديق غير كامل أفضل من عدم وجود أيِّ علاقة على الإطلاق؟ عادةً نعم". وتستشهد الكاتبةُ في نهاية بحثِهَا هذا بالحكمة الصّينيّة القديمةِ والتي تقول: "الذي يسعى إلى الانتقام –للنّفس– هو الذي يجب أن يحفر قبرين".

طرق عملية لاكتساب مهارة التّسامح

ثمّ تطرح الكاتبة (إيفانز) في كتابها هذا (مفاتيح الغضب) عدَّة طرق وتوصيات لمن أراد تعلُّم واكتساب مهارة العفو والتَّسامح، أذكر منها:

(1) اسألْ نفسَك بداية: "هل أنا على استعداد للتَّسامح؟ هل لديَّ الرَّغبة الحقيقيَّة في التَّسامح؟"، وهذا التَّساؤل يعني أنَّ التَّغييرَ يبدأ من داخل النَّفس. فإذا لم تكن لديك الرّغبة الحقيقيَّة في ذلك فإنَّك لن تتغير، و على هذا يدل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرّعد: ١١].

ثُمَّ تنصح المؤلِّفةُ من أراد التّسامحَ ولكنّ تنقصه العزيمةُ، أنْ يبحث عن حافز حقيقيٍّ يدفعنا للتَّسامح، تقول: "تحدث إلى أشخاص آخرين تحبُّهم عن المشكلة التي تحتاج أن تعفو وتسامح فيها، أحيانًا يمكننا أن نستمد القوةَ من الآخرين الذين يتمنون لنا حقًّا السَّعادةَ. فقد يساعدونك – هؤلاء الأصدقاء المخلصون – بأفكار عن كيفيَّة التَّسامح". أمَّا نحن كمسلمين فقد وضع لنا القرآن الكريم أكبرَ وأعظمَ حافزٍ للتَّسامح والعفو عن الآخرين، هو رضوانُ

---

* ودَعِ الَّذي فيه الكَدَرُ أي: أعرض عما لا يعجبك من خليلك ... ** الغِيَرّ أي: الفساد و الظلم.

(1) للاستزادة انظر: إِحْيَاءَ عُلُومِ الدِّينِ، ج2 / كتاب آداب الألفة و الاخوة و الصحبة و المعاشرة مع أصناف الخلق و هو الكتاب الخامس من ربع العادات الثاني، الباب الثاني في حقوق الأخوة و الصحبة ...،(البحر الكامل).

اللهِ تعالىٰ والسّعادةُ الأبديَّةُ في جنّةِ الخلدِ[1*]، وهل هناك أعظم من هذا الحافز؟!

(2) لا تنتظرْ توقف شعُورك بالاستياء حتَّىٰ تسامحَ، فالتّسامحُ يبدأ كقرارٍ واعٍ وليس كشعورٍ. اخترْ أن تسامحَ، ثمَّ بالتَّدريجِ يبدأ المرءُ في الشُّعور بالتَّسامحِ.

(3) استبْعد كلمةَ "لَكِنّ" أو "أسامحك ولَكِنّ .." فهذا لن يُشعِر أيًّا من الطَّرفيْن بالتّسامح. إذا ما قرّرت التّسامح، افعلْ ذلك بدون مقيِّداتٍ[2*] أو شروطٍ.

(4) إذا ما حَملت * نفسك علىٰ التَّسامح ضعْ الماضيَ خلفَ ظهرك. وعلىٰ الرَّغم منْ أنَّه – في بداية الأمر – قد لا يمكنك نسيانُ الخطإِ بسهولةٍ، يجب ألّا تكرِّر الحديثَ عن هذا الخطأ في كلّ لقاء أو مناسبةٍ. وهذا من الأمور المساعدة علىٰ الوصول إلىٰ تجنّب الغضب، ونسيان الخطإِ، والتّسامح المنشودِ.

(5) لا تنتظِرْ كلمةَ "أنا آسِفٌ"، فالتَّسامحُ لا يعني أن نجعل الآخرَ يحطُّ من قدر نفسه.

(6) لا تجعل الاعتذارَ – فيما إذا كنت أنت الطّرف المسبّب للمشكلة – عادتك، فهذا أبغض من عدم الاعتذار علىٰ الإطلاق. فالشّخص الذي يأسف" في كلِّ مرَّة، يستنفد حقوقه في التّسامح.

(7) إنَّ التّسامحَ لا يعني الضَّعف كما يعتقد بعض منّا، ولا يعني أيضا التّسامح عن الأمور العظيمة كالخيانةِ والأذىٰ المتعمّدِ وغيرها من الأمور الَّتِي لا يقبلها عقلٌ ولا دينٌ. ولكنّنا هنا نتحدّثُ عن الأخطاءِ الَّتِي يمكن أنْ تصدرَ من أيِّ بشرٍ لا يتّصف بالكمال، لأنَّ الكمال لله وحده – جلَّ وعلا –. وبذلك يكون التَّسامحُ مصدرَ قوّةٍ للإنسانِ، فيستطيعُ أنْ يتعايشَ مع نفسه ومع مَنْ حَولَه بسلامٍ وطُمَأْنِينَةٍ، وهو بذلك كلّه يكون قد وصل إلىٰ الغايةِ المنشودة وهي رضا اللهِ تعالىٰ.

(1*)للاستزادة والبشارة الكبرىٰ انظر صفحات.....شفاء قلوبنا و عقولنا و أنفسنا و أبداننا وليد سماحتنا من هذا الكتاب .

(2*)بدون مقيِّداتٍ أي : بدون قيود ... * جَبَلْتَ نفسك أي : طبعت نفسك.

(8) وأخيرا اسألْ نفسَكَ، لماذا لا أريد أن أسامح؟ واطرحْ بدائلَ لِكُلِّ سبب أو هدف من أسباب أو أهداف عدم التّسامح، وإليك الأمثلة التّالية للتّوضيح :

- سببُ عدم التَّسامحِ قد يكون: لأنّه سيعيد السُّلوكَ مرَّة أخرىٰ إذا سامحته.

❊ البدائل: (هو المسؤول عن خطئه وهو الذي سيكسب الإثم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿كُلُّ ٱمۡرِيٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطُّور: ٢١]...الآية. سأفكِّر كيف أتعامل مع هذا النَّوع من الأخطاء أو السُّلوك بحيث لا أسمح له بأنْ يُغضبَني).

- سببُ عدم التَّسامحِ قد يكون: إذا سامحته يعني أنِّي أوافقه علىٰ سلوكه الخاطئ.

❊ البدائل: (أنا أسامحُ الشّخصَ نفسَه وهذا لا يعني أني أوافقه علىٰ سلوكه الخاطئ) (ثمَّ أفكِّر في طريقةٍ أنصح بها هذا الشَّخص) وتذكَّرْ دائمًا بأنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ ﴾[البَقَرَة: ٢٧٢]، و يقول أيضا : ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ٩٥﴾ [المَائِدَة: ٩٥].

- سببُ عدم التّسامحِ قد يكون: لن أسامحه لأضع حاجزًا بيني وبينه.

❊ البدائل: (التّسامح يعني كسب الأجر الكبير من الله تعالىٰ و لا يعني أن نعود – أنا والشّخص المسيء – كالسَّابق) (أنا من يختار نوع العلاقة التي أريد) (أستطيع مسامحة الشّخص وترك العلاقة بهدوء في الوقت نفسه) .

- سببُ عدم التَّسامحِ قد يكون: أعتبر نفسي ضعيفاً إذا سامحته.

❊ البدائل: (التّسامح يعني أنني انتصرت علىٰ نفسي) (التّسامح سلاحٌ لا يملكه إلّا الأقوياء العظماء ومن تمكّن من هزيمة نفسه الأمّارة) (لن أكون قائداً إذا لم أتمكّن من التّسامح) (في

ظاهر التَّسامح ضعفٌ ولَكِنْ في داخله قوَّة خفيَّة لا يعلمها إلّا من جرَّبها عن عِلْمٍ ودراية واقتناع).

- سببُ عدم التَّسامحِ قد يكون: إذا سامحت فإنّني أؤذي نفسي.

❊ البدائل: (أنا واثق من نفسي ومن مكانتي ولن أتأذىٰ بإساءة غيري) (فأنا كالشَّجرة المثمرة التي إذا رُميت بالحجارة أعطت ثمرًا) (1*) (عدم التّسامح معناه ضعفي أمام نفسي) (الأذىٰ الحقيقي بالسّعي وراء الانتقام للنّفس).

- سببُ عدم التّسامحِ قد يكون:إذا سامحته فلن أنتقم.

❊ البدائل: (لم ينتقم رسول الله ﷺ لنفسه قطُّ، وكذلك الصّحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- والتّابعون وكبار (2*) الشَّخصيات والنَّاجحون علىٰ مرِّ التّاريخ) (أنا أختار المسامحة بدل الانتقام لنفسي) (نجاحي في حياتي يعتبر أكبر انتقام).

(1*) وكن كالنخيل مترفعا عن الأحقاد فيرمىٰ بالحجارة فيعطي أطيب الثمار.

و قال حَسَن البنا -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: «كُونوا مع النّاس كالشّجر، يَرمونَهُ بالحجَر، فَيرميهم بأطيب الثَّمر».

(2*) لاَ يَحْمِلُ الحِقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ *** وَ لاَ يَنَالُ العُلاَ مَنْ طَبْعُهُ الغَضَبُ :

وَلَا أَحْـمِـلُ الحِـقْـدَ القَـدِيـمَ عَلَـيْـهِـمُ *** وَلَيْسَ كَرِيمَ القَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الحِقْـدَا

يُعَاتِبُنِي فِـي الـدِّيـنِ قَـوْمِـي وَإِنَّـمَـا *** دُيُونِـي فِـي أَشْيَـاءِ تُكْسِبُهُـمْ حَمْـدَا

أَلَـمْ يَـرَ قَـوْمِـي كَـيْـفَ أُوسِـرُمَـرَّةً *** وَأُعْسِرُ حَتَّـىٰ تَبْلُغَ العُسْـرَةُ الجُهْـدَا

فَـمَـا زَادَنِـي الإِقْـتَـارُ مِـنْـهُـمْ تَـقَـرُّبًـا *** وَلَا زَادَنِي فَضْـلُ الغِنَـىٰ مِنْهُمُو بُعْـدًا

أَسُـدُّ بِـهِ مَـا قَـدْ أَخَـلَّـوْا وَضَـيَّـعُـوا *** ثُغُورَ حُقُوقٍ مَـا أَطَـاقُـوا لَـهَـا سَـدَّا

وَفِـي جَفْنَةٍ مَـا يُغْلَـقُ البَـابُ دُونَـهَـا *** مُـكَـلَّـلَـةٍ لَـحْـمًـا مُـدَفِّـقَـةٍ ثَـرْدَا

وَإِنِّـي لَعَـبْـدُ الضَّـيْـفِ مَـا دَامَ نَـازِلاً *** وَمَا شِيمَةٌ لِي غَيْرُهَـا تُشْبِـهُ العَبْـدَا

وَفِـي فَـرَسٍ نَـهْـدٍ عَـتِـيـقٍ جَعَـلْـتُـهُ *** حِجَـابًـا لِبَيْـتِـي ثُـمَّ أَخْدَمْـتُـهُ عَـبْـدَا

وَإِنَّ الَّـذِي بَيْـنِـي وَبَـيْـنَ بَـنِـي أَبِـي *** وَبَـيْـنَ بَـنِـي عَـمِّـي لَـمُـخْـتَـلِـفٌ جِـدَّا

أَرَاهُـمْ إِلَـىٰ نَـصْـرِي بِـطَـاءً وَإِنْ هُـمُ *** دَعَـوْنِـي إِلَـىٰ نَـصْـرٍ أَتَيْـتُـهُـمْ شَـدَّا

إِذَا قَـدَحُـوا لِـي نَـارَ حَـرْبٍ بِزَنْـدِهِـمْ *** قَدَحْـتُ لَـهُـمْ فِـي كُـلِّ مَكْـرُمَـةٍ زَنْـدَا

فَـإِنْ يَأْكُـلُـوا لَحْـمِـي وَفَـرْتُ لُحُومَـهُـمْ *** وَإِنْ يَهْدِمُوا مَجْدِي بَنَيْـتُ لَـهُـمْ مَجْـدَا =

- سببُ عدم التَّسامحِ قد يكون: الله أذن لي بالانتقام لماذا لا أنتقم؟

❊ البدائل: (الله يحبُّ العافين عن النَّاس ويَرْحَمُهُم ويغفرُ لهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النُّور: ٢٢].

- سببُ عدم التَّسامحِ قد يكون: هو المخطئ فلماذا أسامحه؟

❊ البدائل: (أنا أسامحه لِأُحَصِّلَ على الأجر وَلِأُرِيحَ نفسي وأحافظ على صحتي).

- سببُ عدم التّسامحِ قد يكون: لأنّه سيكرّر الخطأ مرّة أخرىٰ.

❊ البدائل: (سأفكّر بطرق إبداعيّة للتّعامل مع أخطائه في المستقبل): «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ »[1]. (لسنا من نُحَاسِبُ ولكنّ حسابُهُ على الله، وما علينا إلّا التّذكيرُ والنّصيحةُ والبلاغُ[2*]).

= وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيِّي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ *** وَإِنْ هُمْ هَوَوْا غَيِّي هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدَا

وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرًا بِنَحْسٍ تَمُرُّ بِي *** زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمُرُّ بِهِم سَعْدَا

فَذَلِكَ دَأْبِي فِي الحَيَاةِ وَدَأْبُهُمْ *** سَجِيسَ الليالِي أَو يزيرُونَنِي اللَحْدَا

لَهُمْ جُلُّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غِنًى *** وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أُكَلِّفْهُمُ رِفْدَا

عَلَى أَنَّ قَوْمِي مَا تَرَى عَين نَاظِرٍ *** كَشِيبِهِم شِيْبًا وَلَا مُرْدِهِمُ مُرْدَا

بِفَضْلٍ وَأَحْلَامٍ وجُودٍ وَسُؤْدَدٍ *** وقَوْمي ربيعٌ في الزَمَانِ إِذا شَدَّا،(البحر الطّويل)... نسبة هذه الأبيات تختلف من ناقل لآخر و كذلك من زيادة ونقص و هذا لا يضرّ فالمعنىٰ واحد ... ذكرت هذا للتّوضيح فقط .. قد تكون لعنتر ، و قد تكون للمقنع الكندي..

(1) أخرجه ابن ماجه من حديث أنس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في: 37 - كتاب الزُّهْدِ: 30 - بَابُ ذِكْرِ التَّوْبَةِ. [رقم (4251)، أحمد مطولاً (3/ 198: 13048..)، و التِّرْمِذِيّ (2499)، (2667)].

(2*) و البلاغ أي: و التبليغ.

وهذا يؤكِّدُ لنا أنَّ الْعَفْوَ والتّسامحَ مهارةٌ يمكن للمرء تعلُّمها واكتسابُها، وهذا ما أكّدتْهُ البحوثُ النّفسيّةُ الحديثةُ. فالإنسان من الممكن أنْ يختارَ العفوَ والتّسامحَ فيرضِي نفسَه ومن حولَهُ ويُؤْجَرُ على ذلك،أو يتركَ نفسَهُ فريسةً سهلةً للخيار الثّاني – الغضب والانتقام – فلا يضرّ إلّا نفسَه ويأثم[1]...«اللّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ،أَنْتَ وَلِيُّهَا وَ مَوْلَاهَا ...»[2].الْـحَدِيثَ.

❊ ❊ ❊

(1) الخميس، 30 ديسمبر 2010 .01:00 د. محمد بهجت الحديثي.

(2) [رواه مسلم]،وللاستزادة انظر : «رياض الصالحين للنووي» كتاب الدعوات.

سامح زوجَتَكَ

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾[النِّسَاء: ١٩].

سامح زوجتك لأنَّ الرسول ﷺقال : « ... وَ اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ...»(1) الْحَدِيثَ .

وقال - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ - :«خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَ أَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي »(2).

روىٰ البخاري عن أنس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -،أن النَّبِيّ ﷺ كان في بيت عائشة مع بعض أصحابه فأرسلت له زينبُ بنتُ جحشٍ إحدىٰ زوجاتِه قصعةً فيها طعامٌ مع خادمٍ لها ، فضربتْ عائشةُ بيدها فكسرتِ القصعةَ ، فماذا صنعَ النّبيُّ ﷺ ؟

ضمَّ أجزاءَ القصعةِ المكسورةِ وجعلَ فيها الطعامَ وقال: «كُلُوا ؛ غَارَتْ أُمُّكُمْ» ، فلما فرغوا من الطعام أتىٰ بقصعةٍ صحيحةٍ ودفعَها إلىٰ الخادم بدلًا من المكسورةِ(3).

فنلاحظ أن النّبي ﷺ اعتذرَ لعائشة بأن الذي حملها علىٰ كسر الإناء هو الغَيْرَةُ التِّي تكون بين الضرائر ،لكنه ﷺ أنصَفَ زينبَ فبعث لها بإناءٍ جديدٍ صحيحٍ ، ويكون قد احتوىٰ الموقفَ والمشكلةَ وانتهتْ عند هذا الحدِّ ... صلّىٰ الله عليك و سلّم يا سيّدي يا رسول الله ما أحملك و أعظمك علّمتنا الأخلّاق كما علّمك الخلّاق.

... سامح زوجتَك و «شريكَتَكَ» التي امتزجت بها و امتزجت بك، سامح أمّ أبنائك(**4)

---

(1) [رواه البخاري (5186)،و مسلم (1468،47)].

(2) أخرجه التِّرْمِذِيّ في : 46 - كِتَاب الـمَنَاقِبِ عنْ رَسُول الله ﷺ : 63/ 137 - باب فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ .[رقم (3895)، وَ قَالَ : « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ »، أبو داود (4899) ، و الدارمي (2306) ، و ابن حبان في صحيحه].

(3)[انظر الحديث في فتح الباري 5(ح 2481) ، أحمد (3/ 105) ، البخاري (2481 و 5225) ، أبو داود (3567) ، ابن ماجه (2334)، و التِّرْمِذِيّ (1359)].

(4**) عن عبد الله بن بكر المزني قال : سمعت أبي يحدث ، عن لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلاَمُ -قال : « ضَرْبُ الْوَالِدِ لِلْوَلَدِ كَالسَّمَادِ لِلزَّرْعِ » الزهد لأحمد والنفقة علىٰ العيال لابن أبي الدنيا،و الآداب الشرعية:4/ 265 ، وانظر :وصايا لقمان و حكمه(ص:132 أحمد بن عاشور).

و شريكةَ حياتِك و سكنَ نفسِك فهيَ حارستُ مالك، و منظمةُ معاشَك ، و مربيةُ أولادَك، و ملبيةُ رَغَبَاتِك، وهي من رضيتَكَ زوجًا و حاميًا و سندًا و أملًا و ملاذًا لها، سامح من تُفنِي في سبيلك و سبيلِ أبنائِك شبابَهَا و جمالَها و حياتَها، سامح التِّي اعتمدت عليك دون أهلها، و أغضبتُهُم في سبيل إرضائِك حتى تخلَّوا عنها ؟ حاوِلْ أن تسامِحَهَا على ما مضَى وَ اصْرِفْ ذَلِكَ إِلَى فَتَرَاتِ النُّفُوسِ ، وَ اسْتِرَاحَاتِ الْخَوَاطِرِ، فإنها أمٌّ أولادِك وَ قَدْ تَغَيَّرَتْ عَنْ مُرَاعَاةِ نَفْسِهَا التِّي هِيَ أَخَصُّ النُّفُوسِ بِهَا، وَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ التغيّر عن قصد، و لعله أغلبُ الظّنِّ نتيجتُهُ من المصادر المتنوعة من الضغوط الخارجية بما فيها ضغوطِ العمل ،وضغوطِ تربيةِ الأولاد، و هذه الأحداث اليومية أصبحت و كأنها مصنعٌ لِقَلَقِها.

فيا أخي العزيز لا تُعِن الشيطانَ على زوجتِكَ المسكينةِ فسامحْها، وألقِ لها بحبل المودةِ والرحمةِ و الحنان فهي بحاجة إليك، و بحاجة إلى حنانِكَ ،فهي بحاجة إلى ابتسامتِك، فيا أخي الرحيم:أيُّ جوّ أجمل من إدخال السرور و الأمل و إرجاعِ الابتسامةِ إلى أولادِك، فيا أخي من واجبك أن تُـجْبِرَ قلبَها الكسيرَ و تُضَمِّدَ نفسَها الجريحَة و تفرجَ كَرْبَها و ترجعَ الابتسامةَ إلى أولادِك ؟و تقولَ لها هيا بنا نرجعُ ابتسامةِ أولادِنا معًـا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ ﴾[البَقَرَة: ٢٣٧].

و واجِبُنَا العمليِّ يسديه لنا أبو بحر – رحمه الله تعالى رحمة واسعة – و جمَعَنا به في الفردوسِ الأعلَى – آمين – : "...أولادُنا هم قرّةُ أعينِنا ، و ثمارُ قلوبِنا ، و عمادُ ظهورِنا ، و نحن لهم أرضٌ ذليلةٌ ، و سماءٌ ظليلةٌ ، و بهم نصولُ على كلِّ جليلة ؛ فإن طلبوا فأعطِهم ، و إن غَضَبُوا

فأرضِهم ، يَمنحُوكَ وُدَّهُمْ و يحبوك جُهدَهُمْ ، و لا تكنْ عليهم ثَقَلًا ثَقيلًا ، فيمَلُّوا حياتَك و يودّوا وفاتَك و يكرهوا قُرْبَكَ ....."[1].

❊ ❊ ❊

(1)للاستزادة انظر : إِحْيَاء عُلوم الدِّينِ للإمام أبي حَامِد محمَّد بن محمَّد بن محمد الغزالي / كتاب آداب الألفة و الأخوة حقوق الوالدين و الولد ج2/ ص 310،311.

سامحـــي زوجكِ كي لا تُيتّمي أولادَكِ

لقد تألمتُ للصبيان الذين يعيشون محرومين من الحنان ومن الأحضان و من الرعاية و الدِّفءِ و الأمانِ؛ فهم أبرياءُ لا ذنبَ لهم في هذا الحرمان الذي سببه الطلاق ،و هذه الأحزانُ التِّي سَبَبُها الطلاقُ أيضًا. فماذا تريدين يا أختاه أكثرَ من هذا ؟ (*1).

فيا أختي بدلاً أن تلعني الظلام ألف مرة أوقدي شَمْعةً و افعلي شيئًا لكسرِ روتين حياتِكِ، و أثيري عواطفَ زوجك من جديد، فإذا أردتِ التغييرَ في زوجك فلابد أن تبدِئي أنتِ بنفسِكِ أولًا ...و استعملي فنون التعاملِ مع زوجكِ كما استعملتها منيرةُ. تَفَضَّلِي هذا المثالُ : منيرةُ كانت تشكُو زوجَهَا لأنّ تعاملَه جافٌّ معها و مع الأولادِ ، أرشدَها أحدُ المختصين بالاستشارات الأُسَرِيَّةِ بأن تَتَودَّدَ إليه أولًا بالكلام الودود و الحبّ و اللمس ، فإن قَبِلَ

(*1)

عندما تعتريني الأحزان
أبحث عن إنسان
يكون صديقا
يكون رفيقا
فلا أجد سوى أمي
(يا أبي سامح أمي من أجلي
لأني من كبدها)

لا لِلْفِتْنَة لا لِلْفراقِ
لا لِلْحزن
الحزن دولة لا تعيش فيها سوى الدّموع؟
والحزن دولة الدّموع؟

حان الوقت يا
أمي كي تسامحي
أبي قبل أن يفرقنا
الموت.

الأب

أمي سامحي أبي لأنه
دائما يبقى أبي، وتبقين
أمّي تسامحا كي أسعد
بـــــــــــكما

الأم

زادَتْ و إذا نَفَرَ خفّفَتْ . فعلت ذلك لمدّة ثلاثةِ أشهرٍ بعدها بدأ الزوجُ و للمرةِ الأولى يفعلُ معَها نفسَ الشيءِ ، بل صارَ يقول لها كلامًا في غاية الرقةِ و العاطفةِ. إن منيرةَ لم تستمرَّ في اللَّومِ بل فعلت شيئًا : غيرتْ في نفسِها و بالتالي تغيرَ زوجُها [1].

حتى نغيِّرَ لا بد أن نتغيَّر نحن، و واجبكِ العمليّ أن تستعملي فنونَ التعاملِ والحكمةَ مع زوجِكِ كما استعملتها منيرةُ، "...وكوني له أرضًا يكن لكِ سماءً ، و كوني له مهادًا يكن لكِ عمادًا و كوني له أمة يكن لكِ عبدًا ،لا تُلْحِفِي به فيقلاكِ ،ولا تبَاعدي عنه فينساكِ ، إن دنا منك فاقرَبِي منه ، و إن نَأَى فأبْعِدِي عنه، و احفظي أنفَه و سمعَه و عينَه ، فلا يشمّنّ منكِ إلا طيبًا، ولا يسمع إلا حسنًا ، ولا ينظر إلا جميلًا[2]"...قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ - : «الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا» [3]... وكلمة المؤمن تشمل المؤمنة ، وكلمة المسلم تشمل المسلمة، كما قال علماء الأصول لأنه التشّريع العام.

❊ ❊ ❊

(1) نشرت مجلة النور في العدد 193 (تجربة ناجحة في الإصلاح بين الزوجين).

❊ كلمة يقلاك «أي يبغضك».

(2) من أجمل نصائح أسماء بنت خارجة الفزاري لابنتها و جميع نساء المسلمين، وللاستزادة انظر : إحياء علوم الدين كتاب آداب النكاح/ الباب الثالث في آداب المعاشرة و ما يجري في دوام النكاح و النظر فيما على الزوج ،وفيما على الزوجة ج2/ ص :86، 87،و انظر الأغاني / دار صادر للطباعة ، ط2 / 2004 مج 20 ، ص 237.

(3) أخرجه التِّرْمِذِيّ في : 39 – كتاب العلم عن رسول الله ﷺ : 19 – بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الفِقْهِ عَلَى العِبَادَةِ. [رقم (2687) ، ابن ماجه (4169)]. وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ : « هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ » ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْوَلِيدِ الْكِنْدِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ ،عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْفَضْلِ، عَنْ سَعِيدٍ الْـمَقْبُرِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ،بِهِ.

سامح جارك

و إليك وصية الله – عزَّ وجلّ – بالجار :

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النِّسَاء: ٣٦].

سامح جارك الذي كان جبرائيل -عَلَيْهِ السَّلامُ- يوصي الرسول -عَلَيْهِ الصَّلاةُ و السَّلامُ- به حتىٰ قال : (ظننت أنه سيورّثه) كما هو مبسوط في البخاري و مسلم و غيرهما،فقد قال -عَلَيْهِ الصَّلاةُ و السَّلامُ- :«مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ ،حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ »[1]، وَ قَالَ ﷺ:«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[2].

... وليكن العفوُ و المغفرةُ شعارَ التعاملِ بين الجيران،و لقد اهتم القرآن العظيمُ و السُّنةُ المطهّرة بحقوق الجار اهتمامًا عظيمًا ، و الآياتُ و الأحاديثُ في حقِّ الجار كثيرةٌ جدًّا، منها ما رواه أبو هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رجلٌ : يا رسول الله إنَّ فلانة يذكر من كثرة صلاتها

---

(1)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري من حديث ابن عمر-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- في: 78 – كتاب الأدب: 28 –بَابُ الوَصَاةِ بِالجَارِ .

[رقم(6015)،مسلم (2625) ، أحمد (2/ 160:6506..)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 561، 562 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، باب الوَصِيَّةِ بِالجَارِ وَالإِحْسَانِ إِلَيْهِ].* يوصيني بالجار: مسلمًا كان أو كافرًا ، عابدًا أو فاسقًا، صديقًا أو عدوًّا، غريبًا أو بلديًّا، ضارًّا أو نافعًا، قريبًا أو أجنبيًّا، قريب الدَّارِ أو بعيدها. سيورثه أي: يأمر عن الله بتوريث الجار من جاره. قال الحافظ في الفتح: (قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: حفظ الجار من كمال الإيمان ، وكان أهل الجاهلية يحافظون عليه). ويحصل امتثال الوصية به بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة كالهدية، والسلام، وطلاقة الوجه عند لقائه، وتفقد حاله، ومعاونته فيما يحتاج إليه، إلى غير ذلك وكف أسباب الأذىٰ عنه، على اختلاف أنواعه، حسية كانت أو معنوية.

* «أَوْ لِيَصْمُتْ» : أي ليسكت.

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في: 78 – كتاب الأدب: 31 –بَابُ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ.[رقم(6018)، مسلم (47)،و أحمد(2/ 267:7660..)، التِّرْمِذِيّ(1974)،أبو داود(3748)،ابن ماجه(3672)].

وصيامها و صدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ، قال ﷺ : «هيَ في النّارِ». قال : يا رسول الله إنّ فلانة يذكرُ من قِلةِ صيامها،و صَدَقَتِها وصلاتها ، و إنها تَصَّدَّق بالأَثْوَار من الْأَقِطِ * و لا تؤذي جيرانها بلسانها . قال : « هِيَ في الجَنَّة»[1].

و في الأخير عن الحسن قال : قال لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لابنه :« يَا بُنَيَّ : حملت الجَنْدَلَ والحديدَ و كُلَّ حِمل ثقيل ، فلم أجد شيئًا أثقل مِنْ جارِ السُّوءِ»[2]...وبذلك ندرك خطر إيذاء الجار،وواجِبُنَا العمليّ يسديه لنا حجة الإسلام شيخنا الإمام أبو حامد الغزالي –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– بقوله :

" و جملة حقّ الجار : أن يبدأَه بالسلام، و لا يطيلُ معه الكلامَ، و لا يكثرُ عن حاله السؤالَ، و يعودُه في المرَضِ و يُعزِّيه في المصيبةِ، و يقوم معه في العَزَاء، و يهنّئُهُ في الفرَح، و يُظْهِرُ الشرْكةَ في السرورِ معَه ، ويصفحُ عن زلّاتِه ، و لا يتطلَّعُ من السطحِ إلى عوراتِه ، و لا يضايقُه في وضْعِ الجذعِ على جدارِه ، و لا في مصبّ الماءِ في ميزابه ، و لا في مطرح التراب في فنائه، و لا يضيّق طرقه إلى الدار ، و لا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، و يستر ما ينكشف له من عوراته، و يُنْعِشُه من صَرْعَتِهِ إذا نابته نائبةٌ، و لا يغْفُلُ عن ملاحظة دارِهِ عند غيبتِه ، و لا يسمع عنه كلامًا، و يغضّ بصرَه عن حرمتِهِ، و لا يديم النظر إلى خادمتِه ، و يتلطّف بولده في كلِمته،و يُرشِدُه إلى ما يجهله من أمر دينه و دنياه. هذا إلى جملة الحقوق التي ذكرها الإمام الغزالي لعامة المسلمين " [3].

❊ ❊ ❊

* الأقط : ما جُمِّدَ من مخيض اللبن الخاثر.

(1) [رواه أحمد (2/ 440:9722) و البزار ، و ابن حبان في «صحيحه » (5764)، و الحاكم (4/ 166) و قال : «صحيح الإسناد»].

(2) الزهد لأحمد بن حنبل، والزهد والرقائق لابن المبارك ، ومكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا، وانظر :وصايا لقمان و حكمه(ص:123 أحمد بن عاشور).

(3) إحياء علوم الدين كتاب : آداب الألفة و الأخوة و الصحبة و المعاشرة مع أصناف الخلق/ الباب الثالث (في حق المسلم والرحم والجوار والملك ،حقوق الجار: « جملة حقوق الجار» / ج2/ ص:304).

- الرفق بالأرحام

ارفق و اعطف و سامح أرحامَك لعلّ الله يسامـحُك.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النَّحل: ٩٠](1*).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-،قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ،و يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ »(2)...«و يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ»«أي يبارك الله في عمره بالصّحّة و العافية و الحفظ من الأفات و يصرف عنه جميع الهموم، و قيل : يزاد له في عمره بنصّ الأية الكريمة ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ ﴾[الرعد: ٣٩].»

وقال لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لابنه : « يَا بُنَيَّ : من أرضَى وَالِدَيْهِ فقد أرضى الرَّحمن ، ومَن أسخطهما فَقَد أسخط الرَّحمن . يَا بُنَيَّ : إنَّما الوالدان بابٌ من أبواب الجنَّة ،فإن رَضِيَا مضيت إلى الجِنان، وإن سَخِطَا حجبت عنها».(3)

... تباركت ربّنا ما أكرمك و ما أرحمك بعبادك ! يسّرت يا ربّ للناس هذه النعمة الصفح و السماحة لعبادك المظلومين المسامحين لتكون لذنوبهم كفّارةً ، و عندك شفاعةً، و في جنّة الخلد منزلةً ، و من النار حجابًا.فإنَّ الله – عزَّ وَجَلّ – يُحبّ الليّنين مع خلقه، المسامحين

(1*) الآيات في ذلك : [البَقَرَة: ٢٦ ، ٢٧]-[النِّسَاء: ١]-[النِّسَاء: ٣٦]-[الأنعَام: ١٥١]-[الرَّعْد: ٢١]-[الإسْرَاء: ٢٣ -٣٤]-[مَرْيَمَ: ١٤]-[مَرْيَمَ: ٥٥]-[طه: ١٣٢]-[الشُّعَرَاء: ٨٩]-[الشُّعَرَاء: ٢١٤ - ٢١٦]-[الأحْقَاف: ١٥ -١٩]-[محَمَّد: ٢٢ - ٢٤]-[التَّحْرِيم: ٦]...

* و معنى «و يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ» : أي يؤخر له في أجلهِ و عمرِهِ.

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:34 – كتاب البيوع: 13 – بَابُ مَنْ أَحَبَّ البَسْطَ فِي الرِّزْقِ .[رقم(2067)،مسلم (2557)].

وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 551، 552 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب البِّر والصِّلة والآداب ، باب صِلَةِ الرَّحِمِ وتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا].

(3)البر والصلة للحسين بن حرب ، وانظر :وصايا لقمان و حكمه(ص:132 أحمد بن عاشور)،(ص:98 محمد عبد الرّحيم)،و عن مسلم بن وازع التميمي، قال : قال لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ-لابنه : « أي بنيّ واصل أقرباءك وأكرم إخوانك وليكن أخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم»ابن أبي الدنيا في "الإخوان"

لهم ، ومن ثمَّ كان ألينُ البشر النّبي المصطفى الأكرم -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ- كان أسهلهم معاملة وأحَبَّهُم للّين ، فقد قال -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ- :« أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ... »؛[1] الْحَدِيثَ.

فما هذا الحظّ الذي ناله أبو بكر الصدِّيق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-

لماذا لم يقل أكثرهم صياما ؟

لماذا لم يقل أكثرهم قياما ؟

لماذا لم يقل أكثر كم صلاةً ؟

لماذا قال :« أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ... » الْحَدِيثَ؛ ؟ لأنّ: الرّحمة و اللّين و الحلم، و الأناة و السماحة و الصفح صفاتٌ يحبّها الله و رسوله ﷺ

كما قال عنه الصحابي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-أبو بكر لم يفتكم بكثرة صيام و لا بكثرة صلاة و لكن بشيءٍ وقر في قلبه [2*]فقال له أحدهم : يا أبا بكر الصدِّيق ما لي نصيبك و حظك !:

من لي بمثل سيرك المدلّلِ تمشي رُويدًا و تَجِي في الأوّلِ

فـأبو بكر الصدِّيق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يمتاز بدرجة عظيمة من اللّين و الإحسان فأنزل الله في حقه:

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النُّور: ٢٢].

---

(1) أخرجه التِّرْمِذِيّ في : 46 – كِتَابُ الـمَنَاقِبِ عَنْ رَسُول الله ﷺ : 32 / 106 – باب مَنَاقِبِ مُعَاذِبْنِ جَبَلٍ وَ زَيْدِبْنِ ثَابِتٍ وَ أُبَيِّبْنِ كَعْبٍ، وَ أَبِي عُبَيْدَةَبْنِ الجَرَّاحِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- . [رقم (3791)، وَ قَالَ:« هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ »، ابن ماجه (154)،و أحمد (3/ 13992:281..)].

(2*) قال لقمان -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- : «يَابُنَيَّ :لا يُستطاع العمل إلاَّ باليقين، ولا يعمل المرء إلاَّ بقدر يقينه، ولا يقصر عامل حتَّى ينقص يقينه »،الإحياء للغزالي:1/ 140،وانظر :وصايا لقمان و حكمه(ص:146، 147 أحمد بن عاشور)، وفي رواية« يَابُنَيَّ :لا يُستطاع العمل إلاَّ باليقين ،ولا يعمل المرء إلاَّ بقدر يقينه ،ولا يقصر عامل حتَّى يقصر يقينه ، وقد يعمل الضعيف إذا كان متيقنا أفضل من عمل القوي الضعيف في يقينه، ومَنْ يضعف يقينه تغلبه المحقرات من الإثم » قوت القلوب.

(" يقـولُ تَعَـالَىٰ:﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾ ، أي : من الأَلِيَّةِ و هـي : الـحَلِفُ، أي: لا يَـحْلِفُ ﴿ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ ﴾،أي: الطَّوْل و الصدقةِ و الإحسان ﴿ وَٱلسَّعَةِ ﴾،أي: الجِـدَةِ، ﴿ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾، أي: لا تَـحْلِفُوا ألاَّ تَصِلُوا قراباتِكم من المساكين و المهاجرين. و هذه في غايةِ الترفُّق و العطف، و لهذا قال:

﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ﴾،أي:عما تقدَّم منهم في الإساءةِ و الأَذَىٰ؟ و هذا من حِلمه تعالىٰ و كَرَمِه و لُطفِهِ بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم . و هذه الآية نزلت في الصدّيق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -،حين حَلَف ألَّا ينفعَ مِسْطَحَ بن أُثَاثَةَ بنافعةٍ أبدًا بعد ما قال في عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - ما قال،كما تَقَدَّم في الحديث، فلما أنزل اللهُ براءةَ أُمِّ المؤمنين عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -، و طابت النفوسُ المؤمنةُ و استقرَّت، و تاب اللهُ – عزَّ وجلّ – عَلَىٰ من كان تكلّم من المؤمنين في ذلك ، – فكيف بنا نحن لا نغفر و لا نسامح و لا نصفح عمّن ظلمنا و اغْتَابنا فأين نحن من ذلك النور؟ –. وأُقِيم الحدُّ علىٰ من أقيم عليه – شَرَع الله تبارك وتعالىٰ –وله الفَضْلُ والـمِنَّةُ – يُعَطِّفُ الصِّدِّيقَ علىٰ قَريبه ونسيبه، وهو مِسْطَحُ بنُ أُثَاثة ، فإنه كان ابن خالةِ الصدِّيق، وكان مِسكيناً لا مالَ له إلا ما يُنفِقُ عليه أبو بكر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -،وكان من الـمُهاجِرين في سبيل الله ، وقد زَلَقَ زَلْقَةً تاب الله عليه منها ، وضُرب الحدّ عليها ، وكان الصِّديق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - معروفاً بالمعروف ، لهُ الفضلُ و الأيادي علىٰ الأقارب و الأجانب، فلما نزلت هذه الآيةُ إلىٰ قوله : ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، أي :فإن الجزاء من جنس العمل ، فكما تَغْفِرُ عن المذنب إليك نغفرُ لك ، وكما تَصفحُ نَصفحُ عنك .فعند ذلك قال الصدِّيق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: بلىٰ، والله إنا نُحِبُّ – يا ربَّنا – أنَّ تغفِرَ لنا. ثم رَجَع إلىٰ مِسْطح ما كان يَصِلُه من النفقة ، و قال :و الله لا أَنزِعُها منه أبداً ،في مقابلة ما

* وقد زَلَقَ زَلْقَةً ..لعل صوابه وقد زلّ زلّة.

كانَ قال :«و الله لا أنفعه بنافعةٍ أبدًا ».فلهذا كان الصدِّيقُ هو الصدِّيقُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-،وعن بنته"[1].

ا هـ).من ابن كثير.كفىٰ بالصِّدّيق فخرًا أن ذكره الله وأثبتَ له الصُّحبة.لم تذكر الصّحبة لأحد سوىٰ الصّدّيق ما أعضمها منقبة ؟ ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ ﴾ الأية.

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :« حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الخَيْرِ شَيْءٌ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ*، وكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الـمُعْسِرِ. قَالَ :قَالَ اللهُ – عزَّ وجلّ -:«**نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ:تَجَاوَزُوا عَنْهُ**»[2].

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ : قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ :أَيُّ الأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ ؟ قَالَ:«الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»[3]،وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَجْلاَنَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَيَعْجِزُ

---

(1)تفسير العالم الفقيه المفتي المحدث الحافظ ابن كثير للآية الكريمة [22]من سورة [النُّور]،وللاستزادة انظر: [صحيح: البخاري (4757)، و مسلم (2770)، أبو داود (5219)، وأحمد (6/ 59)، و التِّرْمِذِيّ (3180)].

* «يُخَالِطُ النَّاسَ»: أي يعاملهم بالبيوع و المداينة.

(2)[رواه مسلم (1561)، و أحمد (4/ 120:17082..)، و التِّرْمِذِيّ (1307)]. وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ : « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ».

(3)أحمد (1/ 236:2107) ورد في البخاري (باب الدين يسر)رقم (29)، الفتح (1/ 116) بدون إسناده بلفظ« أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة » وقال الحافظ ابن حجر –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– قوله (أحب الدين) أي :خصال الدين؛ لأن خصال الدين كلها محبوبة ،لكن ما كان منها سمحًا (أي سهلاً) فهو أحب إلى الله ويدل عليه ما أخرجه أحمد (3/ 479) بسند صحيح من حديث أعرابي لم يسمه أنه سمع رسول الله ﷺيقول «إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ». أو الدين يُسْر ، أي أحب الأديان إلى الله الحنيفية . والمراد بالأديان الشرائع الماضية قبل أن تبدل وتنسخ . والحنيفية ملة إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ، و الحنيف في اللغة ما كان على ملة إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وسمي إبراهيم حنيفًا لميله عن الباطل إلى الحق لأن أصل الحنف الميل، والسمحة السهلة، أي إنها مبنيّة على السهولة ،لقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٠]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المَائِدة: ٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [الأنعَام: ١٦٠ –١٦١]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [التَّوبَة: ٩١]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الحَجّ: ٧٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [الفَتْح: ١٧] ..... وهذا الحديث المعلق لم يسنده المؤلف في هذا الكتاب ، لأنه ليس على شرطه ، نعم وصله =

أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ أَبِي ضَمْضَمٍ؟ »، قَالُوا : وَمَنْ أَبُو ضَمْضَمٍ ؟ قَالَ :« رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ »، بِمَعْنَاهُ، قَالَ: «عِرْضِي لِمَنْ شَتَمَنِي »، وفي رواية أخرىٰ كَانَ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِعِرْضِي عَلَى عِبَادِكَ » (1).

و قال الإمام أحمد حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ:كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: « يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ،تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى .فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ. قَالَ: نَعَمْ قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِيَ الثَّلَاثَ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ. قَالَ عَبْدُ اللهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا. فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ ، وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ ؛فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ. قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ؛ غَيْرَ أَنِّي لَا

= في كتاب الأدب المفرد، وكذا وصله أحمد بن حنبل وغيره من طريق محمد بن اسحاق عن داود بن الحصين وعن عكرمة عن ابن عباس وإسناده حسن لكونه تقاصر عن شرطه، وقواه بما دل على معناه لتناسب السهولة واليسر، فتح الباري (1/ 116،117)، و انظر: [تاريخ بغداد: (5/ 459/ 2178)، و ذيل تاريخ بغداد لابن النجار: (2/ 176/ 260)].دار الفكر .

(1) أخرجه أبو داود في: 35 -كِتَابِ الأَدَبِ: 43 -بَابُ مَا جَاءَ فِي الرَّجُلِ يَسْتَحِلُّ الرَّجُلَ قَدِ اغْتَابَهُ. [رقم (4886،4887)].

أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ غِشًّا،وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَىٰ خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ . فَقَالَ عَبْدُ اللهِ : هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ [1]. و في روايةٍ أخرىٰ ... «فقال الرجل: آوِي كل ليلة إلى فراشي وليس في قلبي حِقدٌ على مسلم ...» ؛ الْـحَدِيثَ.

و واجِبُنَا العمليّ يسديه لنا الإمام ابن قيم الجوزية -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- بقوله : "يا ابن آدم إن بينَك وبـينَ الله خطايـا وذنـوبًا لا يعلمُها إلا هو، وإنك تحبُّ أن يَغفِرَها لـك...وإن أحببت أن يغفرها لـك...فاغفرْ أنت لعباده...وإن أحببت أن يعفوَ عنك... فاعف أنت عن عباده...تعفو هنا...يعفو هناك... تنتقم هنا...ينتقم هناك ... تطالب بـــالحق هنا..يطالبك بالحق هناك...لهذا عوّد نفسَك أن تقولَ كلّ ليلة..(اللهم أيُّما عبدٍ أو أمة من أمة محمد ﷺ يحبّني ويـدعو لي ...فأسـأل لـه الفردوس الأعلىٰ..والملك يرد عليك ويقول...و لـك مثلُ ذلـك ثم تقول ..و أيما عبدٍ أو أمةٍ من أمة محمد ﷺ اغتابني أو ظلمني أو بهتني ... أو قذفني ...أو قال فـيّ ما ليس فـيّ فإني عفوت عنه ...وتركتها لـك ..ويقول الملك و لـك مثل

(1)[(أحمد 3/ 166:12697)،جامع المسانيد (23/ 392/ 3108)، و عبد الرزاق في «مصنفه»، وابن المبارك في «الزهد»، و النسائي في «الكبرىٰ»، و البيهقي في «الشعب»] .

ذلـــك..أي لـك العفو من الله "-عزَّ وجلّ- [1*].

❊ ❊ ❊

(1*) مَـنْ نَالَ مِنِّي أو عَلِقْتُ بِذِمّتِهِ *** أَبــرأْتُـهُ للّـه شَـاكِرَ مِنَّتِهْ

أَأُرَىٰ مُعَوِّقَ مؤمنٍ يومَ الْـجَزَا *** أَوْ أنْ أسُوءَ محمّدًا في أُمَّتِهْ.

دِيوانُ الإمَامِ الشَّافِعِي (ص:42مُـحَمَّدٌ تَبَرْكَانُ أَبُو عَبد الله)، (الكامل) .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾[إبراهيم: ٢٤ - ٢٧]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[الزُّمَر: ٤٢]، قال عبد الرزَّاق ، عن معمرٍ، عن ابن طاووس ، عن أبيه : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، قال : لا إله إلا الله، ﴿وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾، المسألة في القبر .

لأن أحسن الأعمال خواتمها و خاتمة اليوم عند النوم .

لهذا عوّد نفسك أن تقول كل ليلة عند النوم :

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ٨] ، ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ [طه: ٢٥] ... الآية،﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحَشْر: ١٠]... الآية .

1- اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ عَفَوْتُ -لوجهك الكريم-عَمَّنْ ظَلَمَني -السّماح -.. -السّماح -..

2- اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِعِرْضِي عَلَى عِبَادِكَ .

3- أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ﷺ.

الإحسان إلى الحيوان من أسباب دخول الجنّة

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النِّسَاء: ٣٦](1*).

﴿ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ ﴾ : هم العبيد حينما كانت ويدخل في هذا المعنى كلّ ما يملكه الإنسان من حيوانات فهو مطالَبٌ بالاحسان إليها من طعام وشراب وعدم الضّرب والإهانة.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ،فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ*، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ البئر فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»(2).

(1*) وإليك بعض الحيوانات الَّتِي ذكرت في القرآن الكريم وكذلك الحشرات ... الآيات في ذلك : [المَائدة : ٣١] -[الأنعَام :٣٨] - [النّحل: ٨٠] -[الإسْرَاء: ٤٤] -[الحَجّ: ٧٣، ٧٤] -[النُّور: ٤٥] -[السَّجْدَة :٢٧] -[سَبَإ: ١٤] -[النَّازعَات ٣١-٣٣] -[الغَاشِيَة: ١٧] ، وانظر : كتاب الشيخ حسنين مخلوف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-،(كتاب الرفق بالحيوان في الشريعة الإسلامية).

* ... فهو مطالب بالاحسان إليها فيطعمها و يسقيها ولا يضربها ولا يهينها.

*« يَلْهَثُ» : أي يخرج لسانه من شدة العطش ... و الثرى : التراب الندي ... «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ» : أي في إرواء كل حي ثواب..

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في: 42 -كِتَابُ الـمُسَاقَاةِ: 9 -بَابُ فَضْلِ سَقْيِ الـمَاءِ.[رقم(2363)،مسلم (2244)].

وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 471 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب السلام ، وانظر : [«السلسلة الصحيحة» (29)] باب السفر والجهاد والغزو والرفق بالحيوان].

أحسنوا إلى الكائنات الحيّة الَّتِي قال عنها المصطفى المثُل الأعلى في السَّماحة و الوفاء رسول الله ﷺ : «فِي كُلِّ ذاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»(1).

سبحان الله ما أعظم رسول الله ﷺ و ما أرأفه حتّى بالكائنات الحيّة رسول الله ﷺ : ﴿ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾؛ [التّوبَة ١٢٨] ...الآية.

... فعليكم أن تحسنوا إلى الكائنات الحيّة ، و تفكروا فيما عليكم فعله كي تكونوا محبين لمخلوقاته سبحانه – عزَّ وجلّ – لِأَنَّ من حُبِّ الله أن تحبّ خلقه ولنا في أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَقفةٌ وَلَـمْسَةُ وفاء: – ومن نافلة القول أن النّبي ﷺ كنّى أحد كبار صحابته ، وهو عبد الرّحمن بن صخر الدوسي بأبي هريرة ، وذلك لعطفه ورفقه بهرَّة كانت تلازمه – . فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :«بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ * مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا ،فَسَقَتْهُ ،فَغُفِرَ لَهَا بِهِ»(2).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ،قَالَ :«عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ ، سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ؛لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلَا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا ،وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا

---

(1) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- .[رقم (2/ 375 :8913) ، البخاري (2363) ، مسلم (5752/ 2244) ، و أبو داود (2550) ، جامع المسانيد (1/ 146/ 737)] ، و انظر : [«السلسلة الصحيحة» (29)] باب التوبة و المواعظ و الرقائق.

* «بَغِيٌّ» البغي : الزانية ... «الـمُوقُ» : الخفُّ ... « وَ يُطِيفُ » يدور حول البِئر.

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:60 – كتاب الأنبياء: 54 –بَاب حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ.[رقم(3467)،مسلم (2245)].

وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 471 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب السلام ، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها]، وانظر : [«السلسلة الصحيحة »(30)] باب السفر والجهاد والغزو والرفق بالحيوان.

تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»[1]. و قال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ و السَّلَامُ -: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»[2].

... و من هنا نعلم أن الإسلام دين الرحمة و السماحة يدعو للرفق بمخلوقات الله – عزَّ وَجلّ – و واجِبُنَا العمليّ علينا الرفق بكلّ المخلوقات و اتباعِ سيد الكائنات ﷺ.

❊ ❊ ❊

❊ «سَجَنَتْهَا» «أي ربطتها».

(1)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:60 –كِتَاب الأَنْبِيَاءِ: 54 –بَاب حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ.[رقم(3482)،مسلم (2242)، و أحمد (2/ 9529،424..)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 471 ، محمد فؤاد عبد الباقي)كتاب السلام ، باب تَحْرِيمِ تَعْذِيبِ الهِرَّةِ وَنَحْوِهَا مِنَ الحَيَوَانِ الَّذِي لاَ يُؤْذِي]، وانظر : [«السلسلة الصحيحة»(28)] باب السفر والجهاد والغزو والرفق بالحيوان.

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري من حديث جَرِير بن عبد الله في: 78 – كِتَابُ الأَدَبِ: 27 –بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ.[رقم(6013)،مسلم (2319)]. وانظر: اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 491 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب الفضائل ، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك].

سامحوا إخوانَكم و أزواجَكم و زوجاتِكم و أولادَكم و الذين فَقَدُوا عقولهم

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ٩٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-،قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ»(1).

وعن كعب، قال: قال لُقْمَان الحكيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فيما يعظ به ابنه:«..... وكن عبدًا لمن صاحبك يكن لك عبدًا، ولا تصعّرْ خدك للناس فيبغَضوك، والله أشد منهم مقتًا، وتصدّق يا بنيّ من فضل ما أعطاك ربّك يزدْك من فضله ويطفئْ عنك غضَبَه، وارحم الجار الفقير والمسكين والمملوك والأسير والخائف، واليتيم فأَدْنِه وامسح رأسه فإن الله يرحَمُك إذا رحِمْت عباده»(2).

---

(1)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:69-كِتَابُ النَّفَقَاتِ: 01-بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَى الأَهْلِ.[رقم(5353) طرفاه في(6006)،(6007)،مسلم (2982)،و أحمد(2/ 361: 8770)]. وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 649، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب الزهد والرقائق ، باب الإحسان إِلَى الأرملة والمسكين واليتيم] .

(2)حلية الأولياء.

... سامحوا إخوانكم و أزواجكم و زوجاتكم و أولادكم وأيضًا أولئك الذين فقدوا عقولهم ساعةَ الغضب، سامحوا الذين فقدوا عقولهم و اعلموا أنّهم كانوا يبذلون أقصىٰ ما في جهدهم كي يُرضوكم،و الله إنّ موقفهم وحالهم ليدعو إلىٰ البكاء والأسىٰ،فهم بحاجة إلىٰ حنانكم ... فهم بحاجة إلىٰ عفوكم عنهم ... فهم بحاجة إلىٰ مسامحتكم لهم ... فهم بحاجة إلىٰ طيب قلوبكم عنهم و مواساتكم و عطفكم ، و كلامٍ طيب يكون بَلْسَمًا لجراحهم.

إن موضوعَ التسامح له جوانبه الايمانية و الاخلاقية و النفسية و الاجتماعية و التربوية، و الالمام بهذه الجوانب صعب المنال، تنوء به همم الرجال،و المؤمل من القارئ الكريم العذر و اكمال النقص، بالبحثِ و التركيزِ و المقارنة و الفحْصِ، ثم السلوكُ المدفوعُ بالارادة و الحِرْصِ .

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَ السَّلاَمُ : «إِنَّ هَذَا القُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ،فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَابْكُوا،فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا ،...» [1] الْحَدِيثَ.

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحَدِيد: ١٦]

﴿ أَلَمْ يَأْنِ ﴾: أي ألم يحن؟

❊ ❊ ❊

﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ ﴾ وما ذلك على الله ببعيد

خلاصة القول :

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٢٥ ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٥]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩ ﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٨ ، ٨٩]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣ ﴾ [قٓ : ٣٣]

صَدَقَ اللهُ العَظِيمِ

و في هذا الأخير يقول المصطفى البشير النذير طبُّ القلوب و دواؤُها ، و عافيةُ الأبدان و شفاؤُها ، و نورُ الأبصار و البصائر و ضياؤُها ، و قُوتُ الأرواح و غذاؤُها ﷺ :« إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا*، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ »(1). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلى قُلُوبِكُمْ »(2). وَعَنْهُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « ....، التَّقْوَى هَاهُنَا، - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - ....»(3)؛الْحَدِيثَ.

وَ فِيمَا رَوَاهُ أَبُو عَبْدِ الله النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ،أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺيَقُولُ :«....

(1)[صحيح : البخاري (6689)، مسلم (1907)، و أبوداود (2201)، والنسائي (75)،و ابن ماجه (4227)، و أحمد (1/ 25: 168..)، و التِّرْمِذِيّ(1647)]. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ : أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ : حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ : قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ، بِهِ.

(2)[رواه مسلم]، وللاستزادة انظر : «رياض الصالحين للنووي » باب الإخلاص و إحضار النية في جميع الأعمال و الأقوال و الأحوال البارزة و الخفية ، ابن ماجه (4143)، أحمد (2/ 284: 7862..)].

(3)[رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2564)،و أحمد (2/ 277: 7761..)].

أَلاَ وَ إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَ إِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَ هِيَ الْقَلْبُ»؛الْـحَدِيثَ[1].

وقال لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلاَمُ-:«ليس من شيءٍ أطيب من اللِّسان و القلب إذا طابا.....»[2].

... و نستنتج مما سبق أنَّ الانتصار للنفس و عدم الصفح عن غيرنا يُلصِقُ بعقولنا فكرة أو دافعًا ما ،و قد يتولد من ذلك ضجيجٌ وصراعٌ نفسيٌّ غيرُ واعٍ في العقل الباطني، وقد أوضحت الدِّراسة السالفةُ الذكر أنَّه يجب قطعُ الطريقِ على إعادةِ تذكّرِ تلك المواقفِ الّتي ثار فيها غضبُ الشخص. والعلاجُ يكون بتوجيهِ انتباههِ وتركيز فكرِه على أشياءَ أخرىٰ إيجابيةٍ ذات جمال حسّي و معناوي حتّىٰ تنسيه ما تركه الغضب في نفسه و أحواله.

ونستنتج بِأَنَّ تزكيةَ النفسِ واطمئنانِها، وراحةَ القلب وإنابته، وسلامته ورجاحةَ العقل وصفاءَه لا تقومُ إلا على كظمِ الغيظ والعفو والصفحِ، لأنَّ كظمَ الغيظِ والعفوِ لتزكيةِ النفوسِ واطمئِنانها ، والصفحُ لصفاءِ العقول ورجاحتِها ، وطهارةِ القلوب وحفظِها.

ولا يقوم كظم الغيظ والعفو والصفح إلَّا بالإدراك الحقيقي للتسامح وفوائده، فالسلامةُ والعافيةُ والطمأنينة وراحة القلب والعقل والنفس والبدن ... كلُّها وليدةُ : نجمِ التسامحِ ، والتسامحُ نجم ينبغي أن يتهلّلَ و يبزُغَ و يسطعَ في حياتنا . فليكن هذا الكتابُ نبراسًا وضَّاءً يدعو إلى التسامح والعفو والتفاؤل والإصلاح، والخير والبرِّ والفلاح و ما توفيقيَ إلّا بالله عليك و إليه أنيب.

اللّهمّ انفعنا و انفع بنا – آمين –

(1)[رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ (الْبُخَارِي(52)،وَمُسْلِم(1599)].

(2) تفسير ابن كثير : 3/ 536 ، و انظر : و صايا لقمان و حكمه (ص : 105 أحمد بن عاشور).

* ينبغي أن يتهلّل أو يهلّ في حياتنا.

ا
ا
مح
س
ل
ت

❊ ❊ ❊

بسم الله الرّحمن الرّحيم

ترتيب المصادر لهذا المنجز الـمُبَارك – إن شاء الله – أي مصادر التشريع من أحكام و حلال و حرام و أعمال و معاملات و أخلاق ...

1 المصدر الأول كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم و خبر ما بعدكم.

2 المصدر الثّاني السّنّة المطهّرة من أقوال المصطفىٰ ﷺ و أفعاله و إقراراته من مصدرها الموثوق كالموطأ و الصحيحين و باقي السّبعة ...

3 المصدر الثالث إجماع الأمّة «لا تجتمع أمّتي على ضلالة » من علماء و صلحاء و حكماء و من بينهم علماء التّفسير كالقرطبي و الصّاوي ...

باتّفاق الأمّة خلفها عن سلفها في كلّ تشريع و تأليف و تصنيف و ترتيب أحكام و ترجيح و توضيح و غيرها. و لا يأسىٰ بإضافة بعض الفوائد الأخرىٰ بعد ما سبق ذكره فلا يخلو عصر و مصر من فتح و سرّ و موهبة إلهية علّمنا الله ما ينفعنا و زادنا علما و وفّقنا لكلّ خير ءامين ءامين ءامين و الحمد لله ربّ العالمين.

كلمة .. إلى حملة كتاب الله تعالى

فيا إخواني، وخاصةً أبناءنا المقبلين على حفظ كتاب الله – عزّ وجلّ – عليكم بقراءةِ القرآنِ العظيمِ مع التدبرِ والفَهْمِ لمعانِيهِ ، والتعرضِ لنفحاتِه، اعتمادًا واستعانةً بما تَرَكَهُ لنا أسلافُنَا من تفاسيرَ متنوعةٍ غيرِ متشابهةٍ ولا يُغْنِي بعضُها عن بعض، لأَنَّ كتابَ الله لا تنقضِي عجائبُهُ، مهما كانت قَدَمُ المُفَسِّرِ رَاسِخَةً في علومِ العربيةِ والدِّينِ، وقد حزَّ في نفسي ما رأيتُهُ من عَدَمِ الفهمِ لبعض حفظة القرآن لِـمَا يتلون من كتاب الله – عزّ وجلّ – :

" نَقْرَؤُهُ وَ الْقَلْبُ عَنْهُ لَاهٍ * ** كَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ

وَ لَيْسَ لِلْقُرَّاءِ فِيهِ مُزْدَجَرٌ * ** إِلَّا كَصَوْبٍ وَابِلٍ عَلَى حَجَرْ

يَا أَسَفَى يَا حَسْرَتَى يَا لَهْفَا * ** وَ حُرْقَةٌ فِي مُهْجَتِي لَا تَطْفَا "[1]

... وإليكَ أخي الكريم أهم التفاسير المشهورة والمتداولة مع سَرْدٍ لأسماءِ كتبٍ أخرى لها علاقةٌ بمباحثِ القرآنِ الكريمِ .

(1) من كلام العلامة الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الابراهيمي الديسي – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –،(بحر الرجز).

* وَ حُرْقَةٌ فِي مُهْجَتِي لَا تَطْفَا .. على ذهاب الخير و الحياء *** من أكثر الرجال و النساء.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنبيَاء: ٧].

الإمام القرطبي:

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسِّر ولد في قرطبة أوائل القرن السابع الهجري (ما بين 600 – 610 هـ)، وعاش بها،ثم انتقل إلى مصر حيث استقر بِمُنْيَة بني خصيب في شمال أسيوط، ويقال لها اليوم: المنيا، وبقي فيها حتى تُوفِّي..

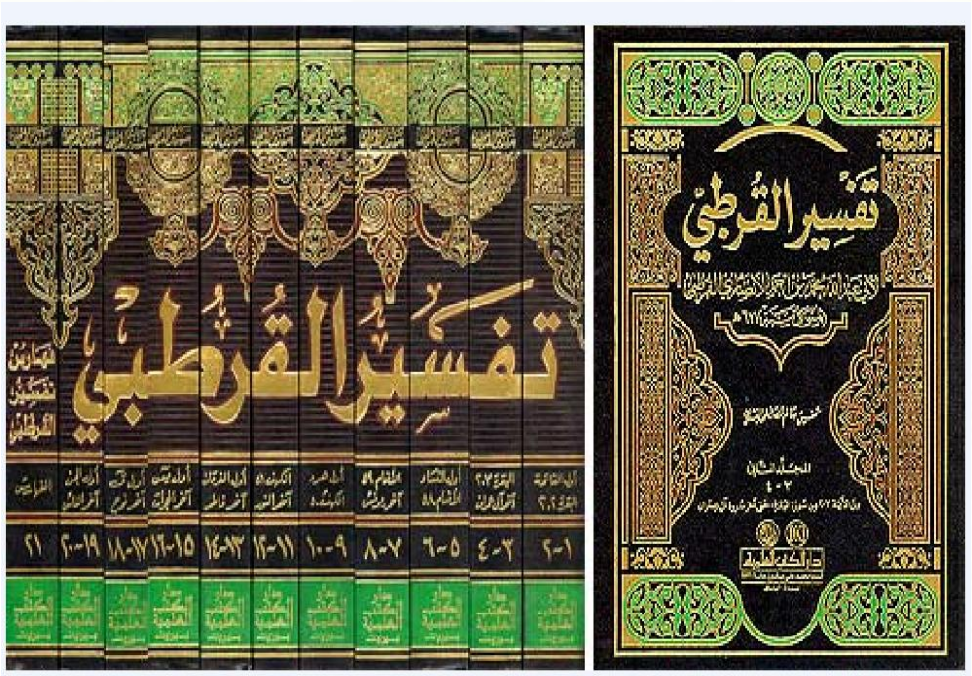

قناديلُ دينِ اللهِ يسعَى بحملِها *** رجالٌ بهم يحيا حديثُ محمدِ =

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنبيَاء: ٧].

ترجمة الإمام ابن كثير: هو الشيخ العالم الحافظ المفيد البارع عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن درع البُصروي الأصل الدمشقي الشافعي، ولد بـ«مُجيدل»، قرية من أعمال مدينة بُصرىٰ سنة إحدىٰ وسبعمائة، وكان أبوه خطيباً بها، ثم انتقل إلىٰ دمشق سنة ست وسبعمائة، ثم تفقه علىٰ الشيخ برهان الدين الفزاري المعروف بالفِركاح وغيره، وسمع ابن السويدي البدر محمد بن إبراهيم، والقاسم بن عساكر وخلقاً، وصاهر الشيخ الحافظ المزي فأكثر عنه، وأفتىٰ ودرس وناظر وبرع في الفقه والتفسير والنحو، وأمعن النظر في الرجال والعلل، وولي مشيخة أم الصالح والتنكزية بعد الذهبي، ذكره الذهبي في مسودة طبقات الحفاظ، وقال في المعجم المختص: هو فقيه متقن ومحدث محقق، ومفسر نقاد وله تصانيف مفيدة. قلت: فمن تصانيفه كتاب «التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل» جمع بين كتاب التهذيب، والميزان، وهو خمسة مجلدات. وكتاب «البداية والنهاية» في أربعة وخمسين جزءًا، وكتاب «الهدىٰ والسنن في أحاديث المسانيد والسنن» جمع فيه بين مسند الإمام أحمد والبزار وأبي يعلىٰ وابن أبي شيبة إلىٰ الكتب الستة، وله غير ذلك اهـ. ذيل تذكرة الحفاظ ص 57-58. وجاء أيضاً في ذيل التذكرة ص 361-362 للسيوطي: الإمام المحدث الحافظ ذو الفضائل إسماعيل بن عمر بن كثير، سمع الحَجَّار والطبقة، وأجاز له القرافي والختني، وتخرج بالمزي ولازمه وبرع، له التفسير الذي لم يؤلف علىٰ نمطه مثله، والتاريخ، وتخريج أدلة التنبيه، وتخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب، وشرع في كتاب كبير في الأحكام لم يتمه، ورتب مسند أحمد علىٰ الحروف، وضم إليه زوائد الطبراني وأبي يعلىٰ، وله مسند الشيخين، وعلوم الحديث، وطبقات الشافعية، وغير ذلك، توفي في شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة، وقال الذهبي في المختص: الإمام المفتي المحدث البارع ثقة متفنن محدث متقن. وقال ابن حجر: كان كثير الاستحضار، وسارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع الناس بها بعد وفاته، ولم يكن علىٰ طريق المحدثين في تحصيل العوالي، وتمييز العالي من النازل، ونحو ذلك من فنونهم، وإنما هو من محدثي الفقهاء. قلت: العمدة في علم الحديث معرفة صحيح الحديث وسقيمه وعلله، واختلاف طرقه ورجاله جرحًا وتعديلاً، وأما العالي والنازل ونحو ذلك، فهو من الفضلات لا من الأصول المهمة اهـ. وقال ابن قاضي شهبة في «طبقاته»: كانت له خصوصية بابن تيمية؛ ومناضلة عنه واتباع له في كثير من آرائه، وكان يفتي برأيه في مسألة الطلاق، وامتحن بسبب ذلك وأوذي، وتوفي في شعبان ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية.

(انظر الدرر الكامنة 1/ 374، وطبقات المفسرين للداودي 1/ 112، وكشف الظنون 1/ 439، والبدر الطالع 1/ 153 للشوكاني، وهدية العارفين 1/ 215):

هُمُ حملوا الآثار عن كل عالـمٍ *** تَقيٍّ صدوقٍ فاضلٍ مُتعبِّدِ =

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنبيَاء: ٧].

عبد الرحمان الثعالبي:

هو أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف بن طلحة بن عامر بن نوفل بن عامر بن موصور بن محمد بن سباع بن مكي بن ثعلبة بن موسى بن سعيد بن مفضل بن عبد البر بن فيسي بن هلال بن علمر بن حسان بن محمد بن جعفر بن أبي طالب ولد عبد الرحمن الثعالبي سنة786 هـ1384/ م بوادي يسر بمدينة يسر الواقعة حاليا بولاية بومرداس و القريبة بخمس كيلومترات من مدينة برج منايل شمال شرقي العاصمة الجزائرية، وهذه المدينة هي موطن آبائه وأجداده الثعالبة،يقال أبناء ثعلب بن علي من عرب المعقل الجعافرة. :

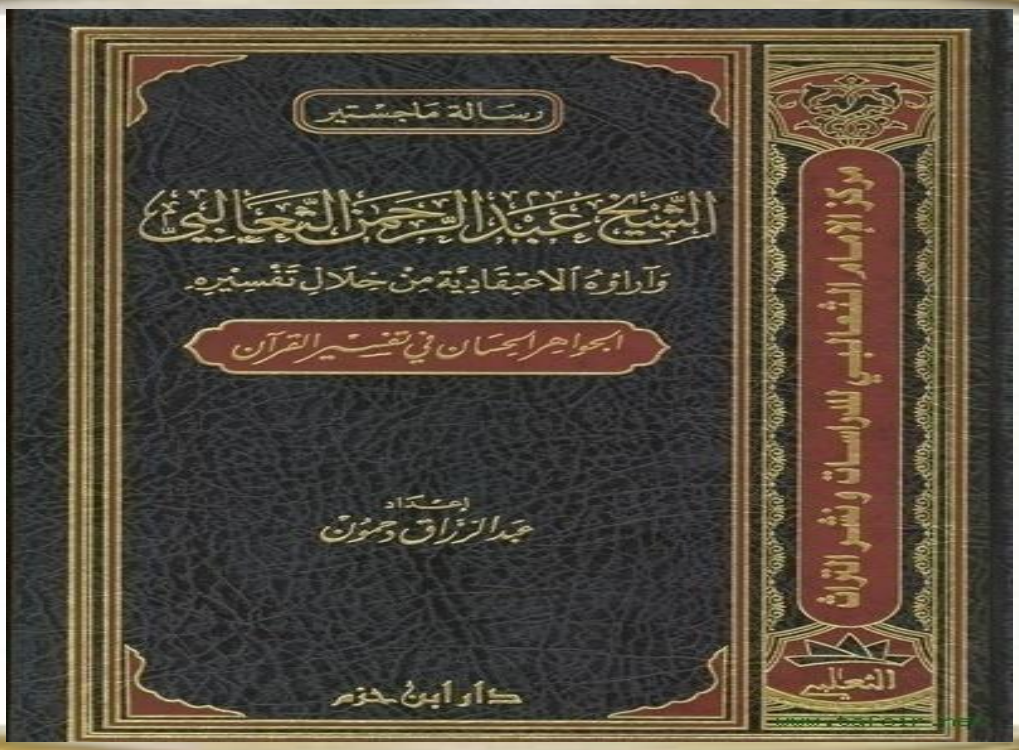

مَحابرهم زُهْرٌ تُضيء كأنها ❊❊❊ قناديل حَبْرٍ ناسكٍ وسط مسجدِ =

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنبيَاء: ٧].

جلال الدين السيوطي:

عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين خن الخضيري الأسيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي،(القاهرة 849 هـ 1445/م- القاهرة 911 هـ 1505/م) من كبار علماء المسلمين.

جلال الدين المحلي

هو الإمام جلال الدين أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن كمال الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم العباسي الأنصاري المحلّي الأصل – نسبة للمحلة الكبرى من الغربية – القاهري الشافعي . ولد في مستهل شوال سنة إحدى وتسعين وسبعمائة 791هـ الموافق سنة 1389 م بالقاهرة ونشأ بها

تُساقُ إلى من كان في الفقه عالمًا *** ومَن صنَّف الأحكام من كل مُسْنَدِ ، (البحر الطّويل).

- تفسير مجاهد (104هـ)
- تفسير مقاتل (150هـ)
- تفسير الثوري (161هـ)
- تفسير يحيى بن سلام (200هـ)
- معاني القرآن للفراء (207هـ)
- تفسير عبد الرزاق (211هـ)
- معاني القرآن للأخفش (215هـ)
- تفسير سعيد بن منصور (227هـ)
- تفسير عبد بن حميد (249هـ)
- تفسير ابن وهب (308هـ)
- تفسير الطبري (310هـ)
- معاني القرآن للزجاج (311هـ)
- تفسير ابن المنذر (318هـ)
- تفسير ابن أبي حاتم (327هـ)
- معاني القرآن للنحاس (338هـ)
- أحكام القرآن للجصاص (370هـ)
- بحر العلوم للسمرقندي (375هـ)
- تفسير ابن أبي زمنين (399هـ)
- تفسير ابن فورك (406هـ)
- المصابيح في تفسير القرآن لابن الوزير (418هـ)
- تفسير الثعلبي (427هـ)
- تفسير المهدوي (حدود430هـ)
- تفسير الهداية لمكي (437هـ)
- النكت والعيون للماوردي (450هـ)
- البسيط للواحدي (468هـ)
- الوسيط للواحدي (468هـ)
- درج التفسير لعبد القاهر الجرجاني (471هـ)
- النكت لابن فضال (479هـ)
- تفسير السمعاني (489هـ)
- تفسير الفقهاء للغزنوي (723هـ)وقيل : (حدود 500هـ)
- لباب التفسير للكرماني (505هـ)
- غرائب التفسير للكرماني (505هـ)
- تفسير البغوي (516هـ)
- تفسير ابن برجان (536هـ)
- الكشاف للزمخشري (538هـ)
- المحرر الوجيز لابن عطية (541هـ)
- أحكام القرآن لابن العربي (543هـ)
- مفاتيح الأسرار ومصابيح الأسرار لمحمد الشهرستاني (548هـ)

- ـ تفسير الخزرجي (582هـ)
- ـ زاد المسير لابن الجوزي (597هـ)
- ـ أحكام القرآن لابن الفرس (597هـ)
- ـ تفسير الرازي (606هـ)
- ـ مباحث التفسير لابن المظفر (630هـ)
- ـ تفسير السخاوي (643هـ)
- ـ رموز الكنوز للرسعني (661هـ)
- ـ تفسير القرطبي (671هـ)
- ـ تفسير الاستغناء للأدفوي (679هـ)
- ـ تفسير أحمد بن يوسف الكواشي (682هـ)
- ـ تفسير البيضاوي (685هـ)
- ـ تفسير ابن أبي الربيع (688هـ)
- ـ تفسير الراغب الأصفهاني(689هـ)
- ـ مدارك التفسير للنسفي (710هـ) وقيل (701هـ)
- ـ غرائب الفرقان للنيسابوري (728هـ)
- -البستان في علوم القرآن لهبة الله البارزي (738هـ)
- ـ تفسير الخازن (741هـ)
- ـ التسهيل لابن جزي الكلبي (741هـ)
- ـ البحر المحيط لأبي حيان (754هـ)
- ـ تفسير ابن كثير (774هـ)
- ـ كشف التنزيل للحداد (المنسوب للطبراني) (800هـ)
- ـ عيون التفاسير للسيواسي (803 هـ)
- ـ تفسير الفيروز آبادي (816هـ)
- ـ التقييد الكبير للبسيلي (830هـ)
- ـ تبصير الرحمن وتيسير المنان لعلي المهايمي (835هـ)
- ـ اللباب لابن عادل (880هـ)
- ـ نظم الدرر للبقاعي (885هـ)
- ـ غاية الأماني للكوراني (893هـ)
- ـ تفسير الإيجي (905 هـ)
- ـ نواهد الأفكار على البيضاوي للسيوطي (911هـ)
- ـ حاشية الكازروني (940هـ)
- ـ تفسير أبي الحسن البكري (952هـ)
- ـ السراج المنير للشربيني (977هـ)
- ـ إرشاد العقل السليم لأبي السعود (982هـ)
- ـ حاشية الخفاجي (1070هـ)
- ـ حاشية زادة على البيضاوي (1078هـ)
- ـ حاشية الجمل على الجلالين (1204هـ)
- ـ حاشية أحمد الصاوي على الجلالين (1221هـ)
- ـ روح المعاني للألوسي (1270هـ)
- ـ محاسن التأويل للقاسمي (1332هـ)
- ـ تفسير المراغي (1371هـ)
- ـ التحرير والتنوير لابن عاشور (1393هـ)
- ـ أضواء البيان للشنقيطي (1393هـ)

. . . . . .

فهرس المصادر و المراجع

المصدر الأول كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم و خبر ما بعدكم.

المصدر الثّاني السّنّة المطهّرة من أقوال المصطفى ﷺ و أفعاله و إقراراته من مصدرها الموثوق كالموطأ و الصحيحين و باقي السّبعة ...رواة الحديث عنه ﷺ .

1 – الـمُوطَّأ لإِمَامِ دَارِ الْهِجْرة مَالِك بن أَنَس -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-، خرج أحاديثه أَحْمَد عَليّ سُلَيمَان .

دَارُ الغَدِ الجَديد ، القاهرة ، ط 1 ، عام 1435هـ 2014م .

2 – صَحِيح البُخَارِيّ ، تَرْقِيم و تَرْتيب محمّد فؤاد عبد البَاقي .

دَارُ التَّقْوى ، 8 شارع البيطار – خلف الجامع الأزهر ، ط1 ، عام 1434هـ – 2012م.

-اللّؤلُؤ و الـمَرْجَانُ فِيمَا اتّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيخَانِ البُخَارِيِّ ومُسْلِم .

اعتنى به و وَضَعَهُ: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–.

حقَّقَه واستدرك عليه فريق بيت الأفكار الدولية الأردن والمؤتمن للتوزيع السعودية : مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض – ط1 ، 1434هـ.

3 – صَحِيح مسلم ، تَرْقِيم و تَرْتيب محمّد فؤاد عبد البَاقي .

دَارُ الحَدِيثِ ، القاهرة 140 شارع جوهر القائد أمام جامعة الأزهر عام 1431هـ – 2010م.

4 – سُنن أبي دَاوُد ، خَرَّجَ أَحَادِيثَهُ وَ عَلَّقَ عَلَيْهِ ياسر حسن ، عزّ الدّين ظلي ، عماد الطيار .

مؤسسة الرسالة ناشرون دمشق – سوريا ، ط 1 ، عام 1434هـ – 2013م .

5 – سُنَن التِّرْمِذِيّ (الجَامعُ الصحيح) ، تحقيق و تخريج أحمد زهوة أحمد عناية .

دار الكتاب العربي بَيْروت –لبْنان ، ط1 ، عام 1426هـ – 2005م .

6 – سنن النسائي..

7 – سُنن ابن ماجـــه ، خَرَّجَ أَحَادِيثَهُ وَ عَلَّقَ عَلَيْهِ عماد الطيار، ياسر حسن ، عزّ الدّين ظلّي . مؤسسة الرسالة ناشرون دِمَشق – سُورِيَّا ، ط 1 ، عام 1434هـ – 2013م .

8 – مسند الإمام أحمد بن حنبل

راجَعَهُ و علّق عَلَيْه ، و وضع فهَارسَه : محمَّدٌ صدّقي محمّد جَمِيل العَطَّارٌ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – دار الفكر للطبَاعَة و النشر و التوزيع – لبْنان – بَيْروت ط 1 ،عام 1429 –1430هـ – 2009م.

9 – مجمع الزوائد للهيتمي .

10 – الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ المصْطَفَى ﷺ للقاضي عياض – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –.

دار ابن حزم بَيْروت – لبنَان 1423هـ –2002م/ ط :1 .

المصدر الثالث إجماع الأمّة «لا تجتمع أمّتي على ضلالة » من علماء و صلحاء و حكماء .....

– جمع و ترتيب محمد رضَا، للصحابي الجليل عَليّ بْن أبي طالب – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –، دار ابن حزم – بيروت – لبنان ط1، عام 1426هـ 2005م .

– ديوان الإمام الشافعي – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – اعتنى به: مُحَمَّد تَبَرْكَانٌ أَبُو عبد الله، دَارُ الإِمَامِ مَالِك لِلْكِتَاب – الجزائر – باب الوادي – ط 1، عام 1430هـ – 2009م .

ابن قيم الجوزية – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –

– كتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين ، دار ابن الجَوزيّ – المملَكَة العربية السَّعودية جدة الرياض – ط1، عام 1433 رجب .

الإمام الغزالي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

- إحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينْ ، الأزهر الشريف ،دَارُ التَّوْفِيقِيَّة للطِبَاعَة – مصر – 130 شارع جوهر القائد أمام جامعة الأزهر 2015م/ ط:7 .

الأستاذ الشيخ محمد عبد العزيز الخولي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- المدرس بمدرسة دار العلوم :

- إصْلاحُ الوَعْظِ الدّينيّ ، المكتبة التجَارية الكبرىٰ بمصر ص ب 578، ط:7 ، عام 1388 هـ – 1969 م.

الشيخ مَحْمُود المصري أبو عمار -حفظه الله تعالى-:

- قصص التابعين ، دار التقوىٰ ، ط: 1 ، عام 1432هـ – 2011م.

علي الجاموس -حفظه الله تعالى - :

- كتاب إِصْلاَحُ ذَاتِ البَيْن أَفْضَلُ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ والصَّلاَةِ والصَّدَقَةِ ،الدار الدمشقية – دمشق – حلبوني – ط1 ، عام 1427هـ – 2006م.

- موسوعة في سماحة الإسلام (1/ 425-442)

- زهران حامد عبد السلام :

- الصحة النفسية والعلاج النفسي ، عالَـم الكتبِ ، الإسكندرية والقاهرة ، ط2، عام 1977 .

ومن نافلةِ القولِ:أن موضوعَ التسامح من الموضوعاتِ الَّتِي تلازمُ الإنسانيةَ وترافقُ الاجتماعَ البشرِي أيا كان نوعُه، أو درجةُ تطوره ،وسيبقى البحث فيه مفتوحا على آفاقٍ تـتجدد ما بقيت البشريةُ . فنرجو لمن يتصدَّى له بعدَنا : التوفيقَ والسدادَ.

و أخيرا كما قال سيّدي خليلٌ عليه الرّحمةُ و الرّضوانُ : « فما كان من نقصٍ كَمَّلوه، ومن خطأ أصلحوه ، فقلّما يخلُص مُصنِّف من الهفوات ، أويَنجو مُؤَلِّفٌ من العثرات » :

..." فَانظُرْ إِلَـيْهِ نَظَرَ الْمُسْتَحْسِنِ ❊❊❊ وَأَحْسِنِ الظَّنَّ بِه وَحَسِّنِ

وَإِن تَجِدْ عَيْبًا فَسُدَّ الـخَلَلاَ ❊❊❊ فَجَلَّ مَنْ لا فِيهِ عَيْبٌ وَعَلَا " [1].

❊ ❊ ❊

❊ فَسُدَّ الخَلَلَا أي : فأصلحه.

(1) انظر : خاتمة ملحة الإعراب للشيخ أبي القاسم بن علي الـحريري البصري -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- (بحر الرجز) .

الفهرس

الإهـــــــداء

المقدمة 7

التمهيد 16

الإصلاح بين الناس يتناول ما يأتي 22

الفصل الأول :في معنى التسامح ومقاصده وفوائده 24

مفهوم التسامح لغةً واصطلاحًا.....25

حسنُ الظّنِّ 30

تشخيص الدّاء واللجوء إلى الدّواء.....32

كيف لِعابرِ السبيلِ أَنْ لا يكظِمَ غيظَه ولا يعفوَ عمَّن ظلمه وكيف له في كلِّ الظروفِ والأحوال ،أَنْ يغفُلَ وينسى المعادَ والمآل ؟ 35

أعداء في الجاهليةِ إخوةٌ في الإسلامِ.....50

الإصلاح بين الناسِ.....53

الفصل الثاني :أضرارُ الغضبِ أشدُّ خطرًا من أسبابه.....57

المبحث الأول : تأثير الغضب على القلب 59

المبحث الثاني :تأثير القلب على ملامح الوجه 61

المبحث الثالث : «وصايا ذهبيّة لإطفاء نار الغضب».....62

الفصل الثالث : التسامح وسيلة وغاية 67

الطرق التي تجعل عقل خصمك يتهلّل ترحيبًا،طرق بصرية حسية وسمعية.....68

العفو عند المقدرة.....76

كيف تقدم إمامًا كنت له إمامًا بدلًا أن تؤُمَّك نفسك يُصبِحُ يؤُمُّك عَقْلُكَ بدلاً أن يؤُمَّك غضبُك يُصْبِحُ يؤُمُّك حِلْمُكَ.....83

﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾.....89

شفاءُ قلوبِنَا و عقولِنَا و أنفسِنَا و أبدانِنَا وليدُ سماحتِنَا.....91

القصاص حق وعدل ، والتسامح والعفو سُموٌّ وفضْلٌ: وقد يجمعُ اللهُ الشَّتيتَينِ بَعْدَمَا ❊❊❊ يَظُنَّان كُلَّ الظَّنِّ أن لا تَلَاقِيَا 95

الفصل الرابع : التسامح حياة 100

أمراضُ قلوبِنَا و عقولِنَا و أنفسِنَا و أبدانِنَا وليدةُ أحقادِنَا (العقل المضطرب).....101

حسن الخُلُقِ : «و إنما الأممُ الأخـــلاقُ ما بقِيَـــتْ ❊❊❊ فإن هُمُ ذَهَبَتْ أخـــــلاقُهم ذهبوا» «أحمد شوقي» 106

كيف نعيش إيجابيًا مع الحياة و نعالج نتائجَها السلبيـــةَ.....109

«إنَّ المؤمنَ إذا أبصر العاقبةَ أَمِنَ النَّدامةَ».....119

الإيـــمان 124

الإحســان.....125

المحسنُ حرٌّ و لو آذيتَه و المسيءُ عبدٌ و لو عفوتَ عنه.....128

الفصل الخامس :التسامح وتطبيقاتُهُ 132

المثل التطبيقي من حياة النّبي ﷺ في «السماحة».....133

نماذج في تسامحِ الأصحابِ ، لعلَّ فيها تبصرةً لأولي الألباب.....135

طُرُقٌ علمية وسلوكٌ ناجحٌ ، لاكتسابِ مهارةِ التسامحِ.....137

سامح زوجتك 149

سامِحي زوجَكِ كي لا تُيتمِي أولادَكِ 152
سامحْ جارَك الذي كان جبريلُ -عَلَيْهِ السَّلامُ- يوصِي الرسولَ -عَلَيْهِ الصَّلاةُ و السَّلامُ- به حتىٰ قال (ظننتُ أنه سَيُوَرِّثُهُ) 154
الرِفْقُ بالأرحام ارفُقْ و اعطِفْ و سامحْ أرحامَك لعل اللهَ يسامحُك.....156
الإحسانُ إلىٰ الحيوان من أسبابِ دخولِ الجنّةِ.....163
سامحوا إخوانَكُم و أزواجَكُم و زوجاتِكُم و أولادَكُم والذين فقدُوا عقُولهم.....166
﴿ خِتَـٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ ﴾ وما ذلك على اللهِ ببعيدٍ 168
فِهْرِسُ المصادرِ والمراجعِ 179
الفهرس.....183

... خَتَمَ الله لنا و لكم بالحسنَى و زيادةٍ و رزَقَنا جميعًا العملَ الصّالحَ و التّقوَى و السّعادةَ و جعلَنَا ممن علِمَ و علَّمَ فأفادَ و استفَادَ آمين.

﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾

المسامح كـــريـــم